جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة ماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب حديث ومعاصر

رقم: ح/28

إعداد الطالب (ة):

راضية جرمون

يوم: 2023/06/19

مدارات القصدية ومباحثها في تحليل الخطاب من منظور الفكر التداولي

لجنة المناقشة:

نصر الدين بن غنيسة	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	رئيسا
أحمد مداس	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
عبد الحميد جودي	أستاذ محاضر - أ -	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

"اللهم اجعل لنا من خزائن

رحمتك نصيباً عظيماً، لا يكون

لنا من بعده نصيب من

العذاب بالدنيا والآخرة"

آمين يارب

مقدمة

نحن نتشاركُ العالم من خلال رموز عامة أو علامات مشتركة. ومن المتعذر أن نشارك أي شخصٍ واقعهُ إلا من خلال وساطة عالمنا الرمزي، وهذه الوساطة تتمثل في: المحاورة التي تعد ممارسة اجتماعية ضرورية، تحمل في عمقها رسالة تبليغية تداولية تواصلية سواء أكانت مقصودة وغير مقصودة، تلازم الإنسان في كل أنشطته اليومية والمهنية، بوصفها مساعدة على تنظيم حياته وترتيبها وتوجيه مساره نحو الأمام والنمو المنطقي. بقدر ما تزداد قدرة الإنسان على النمو الحضاري، الذي يعد ضرورياً وغاية مثلى مرجوة من أشكال السلوك الإنساني الذي يجب أن تحمله في طياتها.

هذا الاهتمام الكبير بالمجال التواصلي الإنساني أدى بالخطاب الانتقال من الجملة إلى النص، وظهرت نصوص وخطابات متنوعة؛ من حيث النصية والتماسك.

وقد لخص ياكبسون فواعل العملية التواصلية فيما يلي: إن المرسل يبعث برسالة معينة إلى المتلقي، ولكي تكون هذه الرسالة فاعلة تحتاج سياقاً (مرجعاً) تحيل إليه، قابلاً للإدراك من قبل المتلقي، وهو سياق لغوي أو قابل لكي يكون كذلك. كما تتطلب هذه الرسالة سننا يشترك فيها المرسل والمتلقي كلياً أو جزئياً، تقتضي هذه الرسالة (قناة تواصل) وفق ترابط فيزيقي أو نفسي، تمكن كلا من المنتج والمستمع إقامة التواصل السليم بينهما والحفاظ عليه.

طالما عرف التواصل على أنه رسالة موجهة للغير بغية تغييره أو إقناعه بشيء ما؛ فإن نجاحها يتوقف عند إيصال المعنى الضمني لها، بينما يصبح فشلها في ذلك التضارب بين المعنى الصريح والمعنى الضمني.

وبناء على ما تم ذكره من عرض أولي للبحث جاء هذا الموضوع ليعالج الإشكالية التي مفادها: كيف نتعامل مع النصوص لتحصيل المعنى المقصود؟ وأساس الإشكالية هو: كيف تتم القصدية إنتاجاً عند المتكلم وإدراكاً عند المتلقي والجامع بينهما؟ هذه الإشكالية تستدعي طرحاً علمياً موسعاً محملاً بإشكاليات منهجية منها:

إن كان المتكلم مداراً من مدارات القصدية المحورية على أي أساس يُنتج خطابه؟ وإن كان المتلقي مداراً من مدارات القصدية الأساسية، فما هي معايير فهم النصوص والخطابات عنده؟ كيف يتم استثمار مبدأ التعاون في الخطابات والنصوص؟

وفي ظل هذا التصور اتضحت فكرة البحث التي يمنحها المعنى من خلال المضمر والمسكوت عنه في الأجناس الأدبية المختلفة والمتنوعة، وهي الغاية المثلى التي تجمع بين المرسل بوصفه منتجاً متجدداً في معانيه وألفاظه ومقاصده، وبين المتلقي لهذه الخطابات في تأويل ما يجب فهمه وإدراكه، ولعل طموح البحث في الوصول إلى هذه العاقبة التي جعلتنا نختار النماذج المتنوعة، تستدرج وتتعلق بالمؤلف والقارئ معاً وفق سياقات سياسية، واجتماعية، وفكرية وهو صميم البحث التداولي، فجاء الموضوع موسوماً بعنوان: "مدارات القصدية ومباحثها في تحليل الخطاب من منظور الفكر التداولي" ويطمح البحث أن يكون قد استفاد وأفاد من هذا الفتح المعرفي الجديد في فهم النصوص والخطابات الحديثة المعاصرة، وتفسيرها، اعتقادا منه أن المعنى لا يكتمل بالمنطوق فحسب؛ بل لا بد من الكشف عن المسكوت والمضمر وهذا الأخير هو المقصود.

تلك كانت من أبرز الأسباب التي دفعتنا للخوض في إشكالية الفعل القصدي والعلاقة بين أطرافه التواصلية، والذي استدرجنا للخوض في هذا البحث كينونة وقصدية هذا المكون التداولي، وكان ذلك سببا آخر في اختيار هذا البحث وبالتحديد الميول الذاتي في هذا الميدان وتحليله الخطابي، الواقع بين استراتيجية الإدراك والإنتاج، والكشف عن الحقيقة القصدية التي تحمل مكانة عظيمة وتضيف فائدة للدراسات الأدبية عامة.

إن أهمية هذا البحث تكمن في:

_ معرفة التيار التداولي، وسيرورة اللغة الطبيعية التي تحكمه.

_ التعرف على المكانة الرئيسية للمتكلم الذي يقوم بإنجاز أفعال كلامية متعددة في وقتاً واحداً، بوصفه جزءاً لا يتجزأ من القصدية، وأحد عناصرها المحورية، وكيفية إنتاج النصوص.

_ كيفية فهم مقاصد المتكلم من طرف المتلقي وتفسير الأقوال المستعملة، باعتباره مبحثاً قصدياً.

_ إبراز العلاقة التخاطبية التي تجمع بين العناصر القصدية: المتكلم ولوازمه الإنتاجية، والمتلقي ومعيناته المساهمة في إدراك مجريات النص وفهمه، ومعالجة العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات.

إضافة إلى هذا، استفادتنا من الدراسات الأكاديمية والرسائل الجامعية التي أدلت بدلوها في هذا الموضوع نذكر:

_ السياق الشعري عند المتنبي من منظور النقد الثقافي لـ: سميرة فرطاس، شهادة ماجستير في النقد الأدبي، زينب بو صبيعة.

_ ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية) لـ: عزيز عز الدين، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص اللسانيات واللغة العربية، بلقاسم دفة.

ولعل معالجة القضايا المتنوعة في مشاربها ومفاهيمها وغاياتها وتعلقها بالاستعمال اللغوي ومقاصده من أجل فهم النصوص وحيويتها على التأقلم مع هذا التيار أسهمت في بروز مدخل مفاهيمي وثلاثة فصول رئيسية تندرج تحتها مباحث متعددة بين التنظير والتطبيق، وخاتمة وملحق مما أدى إلى رسم الخطة التالية:

_ مقدمة

_ جاء في المدخل المفاهيمي تحت عنوان "المناخ التداولي وسيرورة تأسيسه". مما أدى إلى تفرعه إلى ثمانية عناصر نظرية أساسية، العنصر الأول يحتوي على التداولية منهجاً فلسفياً، أما العنصر الثاني بعنوان: سيرورة اللغة واستراتيجية بنائها ورحلة البحث عن دلالة المعاني. العنصر الثالث عبارة عن محطة عربية وأمارات الاستعمال اللغوي عند النحاة المحدثين، والعنصر الرابع بعنوان: الروافد الفلسفية والمشارب المعرفية لتشكيل الفكر التداولي، والعنصر الخامس بعنوان: مباحث التداولية من أفعال الكلام والحجاج ومتضمنات القول والمقصدية والسياق، أما بالنسبة للعنصر السادس موسوماً بـ: في حدود التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى، والعنصر السابع معنون بـ: مهام التداولية ومجالها التحليلي. أما العنصر الثامن بعنوان: أهمية الدراسة التداولية.

_ الفصل الأول: أتى بعنوان: " تفعيل حد المتكلم ولوازمه"، وتم تقسيمه إلى خمسة مباحث رئيسية، يحتوي المبحث الأول على: العقل المدرك بوابة للولوج في عالم المقصدية الطبيعية، فالوعي لا يمكن أن يقع في مكان منفصل عن المخ. أما المبحث الثاني قد خُصص للبحث في الأفعال الكلامية ومدى حضورها وبقوة في الخطابات وكل فعل كلامي يرمي إلى التواصل يجب أن يحتوي على نطق صحيح، ويجب أن يتوفر على شروط إشباع للقصد المطلوب من اللفظ، هذا ما توفر في ديوان محمد العيد آل خليفة، الذي تحتوي لغته والنماذج الموظفة على النقطة التمريرية الإخبارية والتعبيرية. أما المبحث الثالث ورد بعنوان: مقاصد المتحدث ومشكلة المعنى: يتناول في تفاصيله قصدية العقل التي

تنبثق منها قصدية الرموز واللغة والصور وغيرها وتسمى هذه الظاهرة بـ: القصدية المشتقة. تلك القصود المتمثلة في القصد الإخباري والقصد التبليغي من خلالها عرفنا مقاصد المتحدث في رواية "صقيع" لـ: محمد سناجلة. أما بالنسبة للمبحث الرابع اتسم بعنوان: العلاقة التي تجمع بين العقل والجسد، فالمرء إذ لم يتمكن التعبير عن نفسه تعبيراً صريحاً؛ فإن هذا علامة على أنه لا يعرف ما يتكلم عنه. بالنسبة للمبحث الخامس جاء تحت عنوان: الآليات الحجاجية المساهمة في بلورة هوية المتكلم، على أساس أن الحجاج ألية حوارية تداولية قائمة على الحوار والمناظرة. تلك معاني الكلم التي جاءت مناسبة في آية "وقيل يا أرض ابلعي ماءك".

_ أما الفصل الثاني: أقْبَلَ ليعالج مبحثاً قصدياً بعنوان: "حد المستمع ومعيناته على الفهم والإدراك"، وقد تضمن هذا الفصل خمسة مباحث رئيسية، الأول في: نظرية المزج التصوري المساهمة في عملية الإدراك الذهني، هذا ما توفر في الحالة الانفعالية الوجدانية في شبكة المزج في رواية "ليس لهافانا ربّ يحميها" لـ: لياسمينة خضرا، من خلالها عرفنا أننا نستطيع القيام بالإسقاط الانتقائي الذي يخلق مزيجاً للفكرة. أما المبحث الثاني حول: البحث عن التأويل التداولي، الذي يسير وفق مفاهيم وتصورات مسبقة تغوص ضمنها تصورات متناسبة ومتلائمة. والمبحث الثالث جاء بعنوان: الصيغة المنطقية للقول لرفع اللبس وتعيين المراجع وتدقيق معنى بعض العبارات. أما بخصوص المبحث الرابع جاء بعنوان سلطة القارئ ومكانته في بناء المعنى وولادة النص الأدبي؛ إذ نجد النص متعدد الدلالات والمعاني والتفسيرات والتأويلات وهذا يعود لكثرة القراء والمتلقين. المبحث الخامس من الفصل الثاني اندرج عنوانه تحت: من الافتراض المسبق إلى الفهم المسبق، وهذا ما توفر في مقتطف من القصص القصيرة جدا بعنوان "تراتيل الجراح على الأجساد المهترئة".

_ أما بالنسبة للفصل الثالث: جاء بعنوان: "العلاقة بين المتحدث والمستمع" وانقسم إلى ستة مباحث أساسية أولها: ميكانيزمات الكفاية التواصلية، والثاني: في مفهوم الخطاب القصدي وعلاقته الوثيقة بالتيار التداولي، أما المبحث الثالث ورد بعنوان: السياق النصي ودوره في تحديد العلاقة التخاطبية، والمبحث الرابع جاء على شكل سؤال: هل المعاني في الدماغ؟ أما المبحث الخامس يحتوي على: الاستلزام الحواري كونه محرك تواصلي فعال في رواية "لو" لـ: مراد بوكرزازة، والمبحث السادس بعنوان: ظاهرة الالتباس ودلالتها التواصلية في شعر تميم البرغوثي. يتحدث هذا الفصل في محتواه على

العلاقة التخاطبية (ميتاتبليغ) التي تجمع بين المتكلم والمخاطَب، وأيضاً لا وجود لتأويل خارج الفهم، ولا تكون ولادة النصوص من فراغ؛ بل تحتاج إنتاجاً واعياً.

_ أما الخاتمة تبلورت على شكل نتائج وتوصيات وآراء مقترحة في سبيل التغيير على مستوى اللغة لتجمع شتات القضايا المطروحة في عناصر وفصول من خلال تصور يفتح نوافذه وتجذراته للدراسات اللاحقة. تم ختم دراستنا هذه بملحق تضمن تعاريف لبعض أعلام الغرب.

بما أن التداولية تهتم بفهم المقاصد خاصة المضمرة وأفعال الخطاب والافتراضات والآليات الحجاجية والإقناع والاقتناع وحل النقاش النقدي؛ فإن طبيعة الظاهرة التي تطرحها إشكالية الدراسة وطبيعة الخطة تستدعي حتماً تطبيق المنهج التداولي والمنهج المركب، معتمدين في ذلك على طريقة التحليل؛ لأن النصوص والخطابات التي قمنا بتناولها تحتوي على اللغة الطبيعية وعلى كل مؤشرات هذا المنهج الجديد المتعدد المهام والمجالات إن صح التعبير الذي يهتم بالمعنى، وما يقصده الإنسان بكلامه ومراميه، ودراسة الرموز، والإيمائية، لكي يظهر لنا مبحثاً مستقلاً له أركانه وأسسه كباقي المباحث الأخرى ألا وهو: المقصدية من خلال تكريس مرامي المعرفة الإنسانية.

من بين المراجع العربية والمترجمة المعول عليها في هذا البحث وكانت بوابة لدراسة جديد نذكر:

_ الوظائف التداولية في اللغة العربية لـ: أحمد المتوكل.

_ الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية لـ: إدريس مقبول.

_ النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة لـ: أحمد فهد صالح شاهين.

_ مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي لـ: أحمد كروم.

_ نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام لـ: أوستين، تر: عبد القادر قينيني.

_ القصدية، بحث في فلسفة العقل لـ: جون سيرل، تر: أحمد الأنصاري.

_ الأخلاق والتواصل، يورجين هابرماس، تر: أبو النور حمدي أبو النور حسن.

وفي الأخير يمكن الإشارة إلى عنصر في مقدمة البحث وهو: الصعوبات التي لم نعثر عليها ولله الحمد والفضل والمنّة. ونختم القول بالحمد والثناء لله عز وجل على توفيقه لاستكمال هذا البحث،

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تتنزل الخيرات والبركات. ولا أنسى أنتم جميعاً أصحاب السيادة والريادة من قسم اللغة العربية وآدابها تستحقون الشكر والتقدير والثناء.

في نهاية هذا نأمل أن يكون بحثنا نافذة من النوافذ المهمة للقراء وفي الدراسات الأدبية عامة والفلسفية النقدية خاصة التي تضيء للسير على نهج هذا المنهج الجديد.

- والله ولي التوفيق.

مدخل مفاهيمي:

المناخ التداولي وسيرورة تأسيسه

01. التداولية منهجاً فلسفياً (التداولية مبدأ السيميوزيس)

02. سيرورة اللغة واستراتيجية بناءها ورحلة البحث عن دلالة المعاني

03. محطة ورؤى عربية، ملامح تداولية وأمارات الاستعمال اللغوي عند النحاة المحدثين

04. الروافد الفلسفية والمرجعيات الغربية والمشارب المعرفية النقدية والخلفيات الثقافية لتشكّل وبناء الفكر التداولي

05. مباحث ومستويات وموضوعات التداولية

06. في حدود التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى

07. مهام التداولية ومجالها التحليلي

08. أهمية الدراسة التداولية

تختص اللغة بدراسة الجنس البشري دون سواه، وتتمثل في قدرته الفطرية على التواصل المشترك والتبليغ اليومي قصد تيسير حاجياته.

عرّف ابن جني اللغة بقوله: ("وحدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم").[1]

فإن كانت اللغة أداة لتغيير العالم، وإعادة بنائه، تطرح قواعد لعب تختلط اختلاطاً كبيراً بالحياة اليومية، وأن العالم الذي يعيش فيه الإنسان عبارة عن بناء لغوي، ووسيلة للتعبير عن مقاصد يسعى إليها المرسل في خطابه، ووظيفتها تداولية، رمزية أو (سيميائية)؛ حيث تنتقل من الذات التي لا تعرف أفعالها إلى الذات التي تعرفها وتقوم بتبطين خطاطات العمل (أو الفعل)[2].

(ويعرف أندري مارتيني اللغة بأنها: عبارة عن تمفصل مزدوج وضيفتها[3] التواصل، ويعني هذا أن اللغة يمكن تقسيمها إلى تمفصل أول وهو المونيمات، وبدورها تنقسم إلى فونيمات ومورفيمات التي تشكل بدورها التمفصل الثاني. لكن الأصوات لا يمكن تقسيمها إلى وحدات أخرى لأن الصوت مقطع لا يتجزأ. وإذا جمعنا الكلمات كونا جملا، والجمل تُكونُ الفقرات والتواليات، والفقرات تُكونُ النص، ويَكونُ النص تأليفا واستبدالا).[4]

فما هي استعمالات اللغة؟ كيف تعمل اللغة؟ كيف ترتبط اللغة بالواقع؟ كيف يخلق العقل واقعاً اجتماعياً موضوعياً؟ كيف يتحقق الفعل بالقول؟ ما حقيقة الأفعال القولية في العملية التواصلية؟ كيف نتجنب الغموض في عملية التواصل؟ ما هي الوسائل التي تساعدنا للوصول إلى تأويل محدد للمعنى؟ ما هي الغايات التي يجب أن تتوفر في ذاتية وموضوعية المتكلم لتشكيل خطاباً معيناً؟ من هو المتكلم في النص؟ ماذا نقول عندما نتكلم؟ من هو المتلقي في النص؟ هل المعاني في الدماغ؟ هل الشعور عملية ضرورية في تبليغ المقاصد؟ ماذا علينا فعله حتى يزيل الإبهام والغموض عن جملة أو أخرى؟ كيف للعقل أن يؤثر في الجسم؟ كيف ننجز خطاباً بالأشياء؟ ما هو السبيلُ لبلوغ إلى هذه المقاصد

---

[1]. أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2015، ص3.

[2]. عمر أوكان: اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2001، ص24.

[3]. احتراماً للأستاذ والباحث في اللسانيات وتحليل الخطاب بالمغرب، الدكتور يوسف تغزاوي، تأتي وظيفتها بدل وضيفتها.

[4]. يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، شارع الجامعة، ط1، 2014، ص 40.

وإنتاج خطاباً، وتشكيل ملفوظا؟ لماذا التلميح أبلغ من التصريح؟ كيف يفهم المخاطب غاية المرسل وإنتاجه؟ هل يكفي الاعتماد على المعنى الحرفي للغة لفهم كلاماً ما، أم هناك استراتيجيات وإشارات جسمية مساعدة لعملية الإدراك؟ والعديد من التساؤلات تسعى التداولية الإجابة عنها وفك شفراتها، نحن بدورنا سنحاول الإجابة عنها.

01. التداولية منهجا فلسفيا (التداولية مبدأ السيميوزيس)

- **الفضاء التداولي ودائرة السميوزيس/ التداولية أساس النشاط السيميائي**

استخدمت لفظة البراغماتية لدى الفلاسفة اليونان، فقد اشتقت من الكلمة اليونانية:

Pragma، وقد ظهر استخدامها لدى العديد من فلاسفة اليونان أمثال: "أفلاطون""براغما"، أو براجما، و "أرسطو"، أوغسطين، و "دانز سكوت" ، و"كوبرنيكوس" ، و"جاليليو" ، "كانط" الذين تصوروا البراجماتية بصورة نشاط فعلي يعتمد على التجربة والممارسة العملية للوصول إلى نتائج.

التداولية لغة من التداول، والتداول تفاعل، وكل تفاعل يلزمه طرفان على الأقل مُرسل ومُستقبل، متكلم وسامع، كاتب وقارئ، على أساس أن مدار اشتغال التداولية هو مقاصد المتكلم، وكيف توصل فكرتك للمستمع؟ وكل تداول تحكمه ظروف تحيط به.

فالتداولية هي دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام، بمعنى دراسة اللغة في مقاماتها أو سياقاتها الواقعية.[1]

أما الفكر البراجماتي المعاصر فقد ارتبط اسمه بالفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس"، فقد كان بيرس الواضع الأول لكلمة براجماتية التي تعني بالمفهوم العربي التداولية؛ إذ ربط بين الدال والمدلول، وبين مستخدم تلك الدوال للوصول إلى الحقيقة النفعية[2] من خلال تفاعل عملي بين الدوال داخل فضاء ودائرة السميوزيس.[3]

---

[1]. بهاء الدين محمد مزيد: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص18.

[2]. ينظر: أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص5، 7، 9.

[3]. Sémiosis السميوزيس: لقد أشار إليه شارل سندرس بيرس كمفهوم سيميائي؛ أي أول من أدخل مفهوم السميوزيس إلى ميدان السميائيات؛ بل كان أول من أرسى دعائم نظام التدليل والإنتاج الذي يمر عبر ميكانيزم خاص=

لقد كان بيرس من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة، انطلاقاً من مفاهيمها الفلسفية التأملية المنطقية؛ إذ يعتبرها (التداولية) أساس النشاط السيميائي، فهو يرى أن السيميوطيقا الذي أطلق عليه دوسوسير إسم: السيميولوجيا، تعتبر بمثابة علامة لسانية (لغوية وغير لغوية)، حتى أثناء تفكيرنا يعد هذه الفعل علامة، والإنسان في حد ذاته بمثابة علامة، والعلامة لا تأتي بمفردها؛ بل تأتي في مجموعات، لا تكتسب قيمتها إلا من خلال تعارضها مع علامات أخرى، وصولاً إلى ما يسمى بـ: قصدية الاتصال والدلالة بين المتخاطبين.

(وهو يربط فهم اللغة بحال التواصل، ويقرن المعنى بظروف الاستعمال، على نحو ما مر مع فيتغنشتاين وأوستين. ومن أهم ما أسهم به في نشأة الدرس التداولي).[1]

كان أقدم تعريفاً للتداولية، تعريف شارل موريس سنة (1938م) حين قال: "إن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات".[2]

كان هذا حينما شرح أبعاد السيميائية الثلاثة:

. علاقة العلامات بالموضوعات، يهتم بعلم الدلالة.

. علاقة العلامات بالناطقين بها، وبالمتلقي، وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها، هذا هو البعد التداولي.

=أطلق عليه اسم السميوزيس، ففي نظره أنه عبارة عن سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، تستدعي في بناء نظامها الداخلي، ثلاثة عناصر: ما يقول بالتمثيل (ماثول أو مصورة) وما يشكل موضوع التمثيل (موضوع أو المرجع) وما يشتغل كمفهمة تقود إلى الامتلاك الفكري " للتجربة الصافية" (مؤول أو مفسرة)، لتوضيح أكثر يمكن الرجوع لـ: إمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، د د، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2004، ص138. وللمراجعة أكثر لثلاثيات بيرس: الممثل_ الموضوع_ المؤول يمكن العودة لكتاب: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010، ص48.

(إن السميوز في هروبها اللامتناهي من علامة إلى علامة ومن توسط، تتوقف لحظة انصهارها في العادة، لحظتها تبدأ الحياة ويبدأ الفعل)، الأمر يتعلق بامتداد العلامة نحو الفعل، مع رصد أثر ذلك الفعل. فهي تحيل على مخارجها وتموت، ومن موتها تنبعث القاعدة والقانون والعادة. الرجوع لكتاب: سعيد بنكراد: السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س. بورس، مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص31.

[1]. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص55.

[2]. المرجع نفسه، ص67.

. علاقة العلامات فيما بينها، وذلك بعد تركيبي، يهتم به علم التراكيب.

الملاحظ أن تشارلز موريس كان متأثر بالتحليل السيميائي الذي مهد لظهوره فرديناند دوسوسير والذي أرسى دعائمه، وأصبح علم مستقل على يد بيرس. كما يميز موريس بين التداولية المحضة، والتداولية الوصفية. وتحيل " المحضة " على إنجاز اللغة، أو الكلام على البعد التداولي للسيميوزيس.[1]

أما بالنسبة لمفهوم التداول ظاهرة خطابية تواصلية واجتماعية في وقت واحد، القاسم المشترك بين التداول والدلالات هو مضمون النص، فالتداولية تدرس كل شيء إنساني في العملية التواصلية سواء أكان نفسياً، بيولوجياً، اجتماعياً.[2]

تتسم التداولية بالتعدد المفاهيمي والخاصية الزئبقية التي تعتري المناهج اللغوية الحديثة، فقد عرفت على أنها: اتجاه في الدراسات اللسانية، يُعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف محدد، هذا التفاعل يقوم بدراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ. ولا سيما المضامين والمدلولات التي يخلقها الاستعمال في السياق. وتشمل هذه المعطيات ثلاثة محاور أساسية؛ إذ سنحاول الإجابة عن كل هذا في الفصول اللاحقة، في السطور التالية:

. معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.

. الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

. المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيها.[3]

---

[1]. فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، ص30.

[2]. سناء هادي عباس وساهرة عدنان وهيب: أساليب الإقناع في سورة لقمان، دراسة تداولية، مجلة العلامة، تصدر عن مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع4، جوان، 2017، ص185.

[3]. بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب (لندن)، بغداد، ط1، 2012، ص32.

يؤكد "فان ديك" في كتابه "علم النص" على (أن علم البراغماتية (التداولية) تطور على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة، له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى. وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنثربولوجيا[1]، بل علم النفس والاجتماع أيضا).[2]

تعتبر الأنثروبولوجيا فرع من فروع المعرفة الإنسانية، إذ كانت متداخلة ومساعدة ومتشاركة مع التداولية من خلال الأصل اليوناني والمنطلق الفلسفي والدراسة الإنسانية الطبيعة التساؤلية نحو بناء تأسيسي لفكر فلسفي جديد، جوهره المشاركة والزمالة.

بدورها انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي:

شكل رقم 01: خطاطة توضح المناخ الفلسفي الذي انبثقت من رحمه التداولية

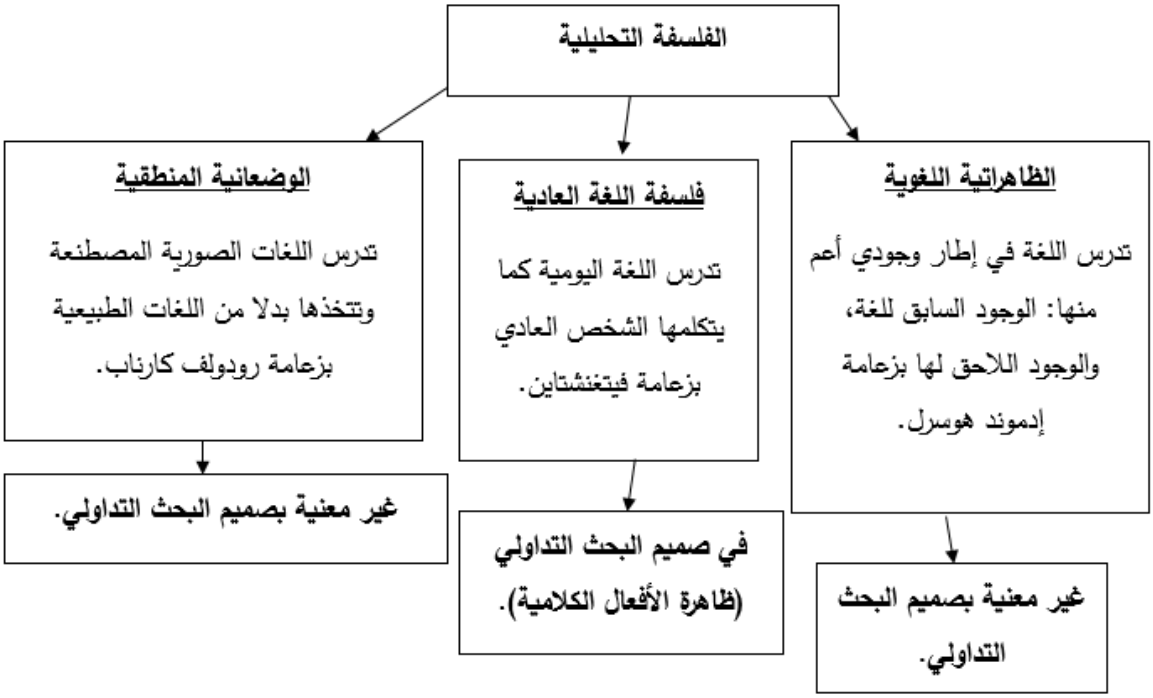

إذ لم يبق من هذه الفلسفة (التحليلية)؛ إلا تيار واهتمام واحد في إطار تداولي ألا وهو: "فلسفة اللغة العادية" الذي أسسه فيتغنشتاين، الذي يرى أن المادة الأساسية للفلسفة هي: اللغة التي تعتبر

[1]. كان كانط أول من تعرف على الأنثروبولوجيا لمعرفة المزيد_ توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون: تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، تر: لاهاي عبد الحسين، دار أوما، بغداد، العراق، ط1، 2013، ص29.

[2]. فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص114.

المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، وراح يطور فلسفته الجديدة التي ينكب اهتمامها بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها.

(كان تراث فيتغنشاين لم يكتسب مكانته الحقيقية إلا بعدما تبناه فلاسفة مدرسة أوكسفورد ولا سيما:ج. ل. أوستين، وقد بدأ أثر فيتغنشاين عليه واضحا في كتابه عندما يكون القول هو الفعل، وتلميذه ج. سيرل في استلهامه لبعض أفكار هذا الفيلسوف واتخاذها معايير في دراسة "القوى المتضمنة في القول").[1]

يمكن القول إن البداية الفعلية للتداولية تبلورت من أعمال فلاسفة اللغة، لا سيما مناقشات جون أوستين سنة 1950م في جامعة هارفارد، وتلميذه سيرل الواضعين بذلك النواة لدرس التداولي، وفي العام 1957م نشر بول غرايس مقالاً في الدلالة، مما فتح أفاقاً أرحبُ وأنتجُ أسئلة جديدة للاعتراف بوجود التداولية كونها أحدث بحث أفرزته اللسانيات الحديثة. البحث الذي يولي أهمية قصوى متعلقة بالمتكلمين ومقاصدهم، وبعبارة التوليديين أصبحت جزءا من دراسة الإنجاز.[2]

يوضح مسعود صحراوي كيفية التجاوز أي أن الدرس اللساني كيف تجاوز البنيوية والمواريث السوسيرية في مرحلة لسانية جديدة هيأت الأجواء لبروز اللسانيات التداولية وهذه المرحلة تدعي بـ: المرحلة المعاصرة من منجزات اللسانيات صنعت أسسها وبنت قواعدها انطلاقا من رحم الفلسفة، وأبحاث المدرسة التحليلية، وبصفة خاصة تأثر الفيلسوفان ج. ل. أوستين، وتلميذه ج. سيرل.

هذا وقد اكتشف فلاسفة التحليل عدة ظواهر لغوية من وجهة نظر تداولية ودرسوها، ويتميز تحليلهم لها بالجدة والعمق. والظواهر المدروسة كثيرة وأهمها: الإحالة والاقتضاء والافتراضات المسبقة وظاهرة الأفعال الكلامية ونظرية المحادثة التي انبثقت من الفلسفة الغرايسية في مبدأ التعاون، ومسلماته الحوارية. أما الملاءمة التي ولدت من رحم علم النفس المعرفي؛ إذ هي مسلمة من مسلمات مبدأ التعاون الغرايسية، وخاصة تلك التي تنص على ضرورة ملاءمة الملفوظ لنفسية مخاطبه كما

[1]. مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص24،25.

[2]. بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، 35، 36.

سنطرق لها لاحقا؛ إذ تعد التداولية حلقة وصل قوية بين العلوم الإنسانية. وهذا ما يمكن طرحه في الخطاطة التالية:

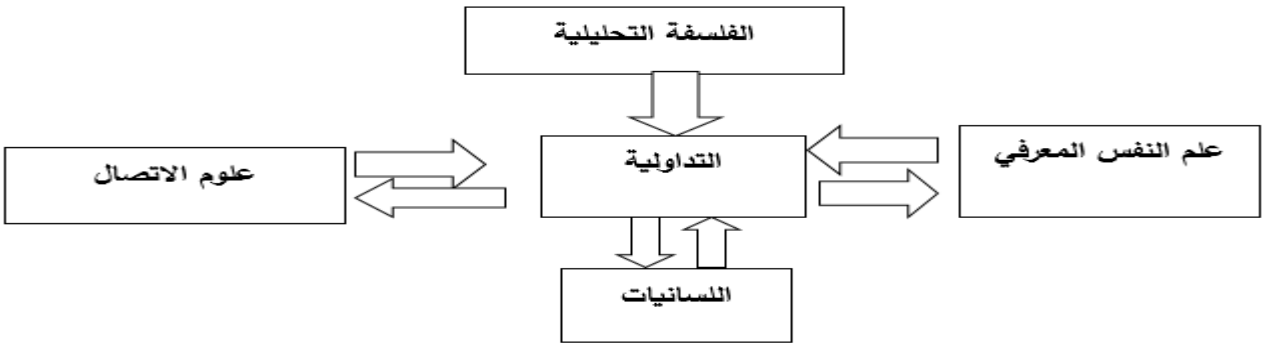

شكل رقم 02: خطاطة تمثل مسار الدرس التداولي وعلاقته التواصلية مع العلوم الإنسانية الأخرى

كانت الفلسفة ومنذ القديم تهتم باللغة، وكان البلاغيون القدامى تداوليين؛ إذ كانوا يفكرون في الصلات القائمة بين اللغة والمنطق (خاصة المنطق الحجاجي) من جهة، وآثار الخطاب في السامع، من جهة أخرى. مروراً بأفلاطون وأرسطو[2]، وصولاً إلى سيناك وشيشرون وكونتليان، مما شكل فكراً كلاسيكياً للبلاغة، يقوم على معرفة الانفعالات والطبائع.

وهذه الأعمال والإنجازات قد اشتغل عليها أوستين وسورل.[3]

---

[1]. مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص 24، 25.

[2]. تطرق أرسطو في كتابه: "الخطابة" وبالتحديد في الفصل الثالث الذي جاء بعنوان: "الأجناس الخطبية"، وإلى عددها الثلاثي؛ إذ لا يوجد إلا ثلاثة أنواع من المستمعين. ينبغي أن نميز في كل خطاب ثلاث عناصر مكونة أساسية، من يتكلم والموضوع الذي يقع فيه الكلام؛ والذي يوجه إليه الكلام وبهذا الأخير، نقصد المستمع الذي به تتصل الغاية؛ فهو يرى أن الخطاب ينتج الإقناع (الوظيفة الإقناعية). لتوضيح أكثر يمكن الرجوع لـ: أرسطو: الخطابة، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2008، ص23.

يتضح من خلال قول أرسطو أن الخطاب يعتمد على خاصية الإقناع، أما حالياً انتقل الفكر الجدلي الذي يرمي إلى الإقناع الممكن، والدخول في الفكر التداولي (الممارسة البراغماتية) الذي يهدف إلى إنجاز الفعل.

[3]. لقد وضع أوستين وتلميذه سورل نواة التداولية، في حقل فلسفة اللغة العادية، ومن خلال المنطق التحليلي طورا مفهوم "العمل اللغوي". وقد كان أوستين (1911-1961م) أستاذ الفلسفة بجامعة أوكسفورد. يمكن الاطلاع على كتاب: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007، ص20.

الملاحظ أن التداولية تعرضت لتعددية، شهدت ظهور تداوليات مثلها مثل البنيوية والمناهج النصانية الأخرى، والسؤال الذي حام حول التداولية، هل هناك تداولية واحدة أم تداوليات؟

ميز أورشيوني بين ثلاث تداوليات أساسية متجاورة هي:

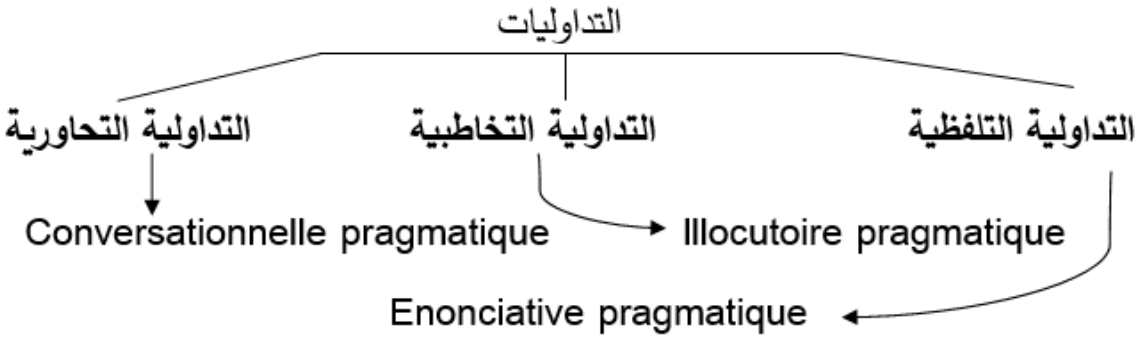

1-التداولية التلفظية، أو لسانيات التلفظ مع شارل موريس، التي تهتم بوصف العلاقات الموجودة وبعض المعطيات الداخلية للملفوظ، مع الجهاز التلفظي (مرسل-متلقي-وضعية التلفظ) التي يندرج ضمنها الملفوظ.

2-التداولية التخاطبية، أو نظرية أفعال اللغة مع أوستين وسيرل.

3-التداولية التحاورية تهتم بدراسة أشغال النمط التفاعلي التواصلي(الحوارات)، باعتبارها تبادلات كلامية تقتضي خصوصيتها التي تنجز بمساعدة دوال تلفظية، ولفظية مُوازية.[1]

02. سيرورة اللغة واستراتيجية بناءها ورحلة البحث عن دلالة المعاني

يرى الدرس التداولي للغة أنها تملك وظيفتين رئيسيتين ترتبطان بمقاصد الإنسان الذي يستعملها بوضعه الاجتماعي وأهدافه؛ فالناس عندما يتحدثون لا يفعلون ذلك لمجرد تحريك أعضاء

_ أشار محمود عكاشة في كتابه: النظرية البراجماتية اللسانية إلى أن: البراجماتية اللسانية أو التداولية اللسانية، منهج غربي حديث في البحث اللغوي تأثر بالفلسفة الواقعية المادية في بحث أعيان الأشياء وما يتعلق بها، وهدفها القصد اللغوي، والبراجماتية اللسانية هي نفسها التداولية التي شاعت في البحوث العربية، وقد ترجم الأخير إلى البراجماتية والفوائدية والنفعية والعملية_ محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية {التداولية} "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص3.

[1]. إدريس مقبول: الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص9.

النطق، ولكن ليؤدوا من خلال كلامهم هاتين الوظيفتين، وهما الوظيفة التعاملية المتمثلة في: نقل فعلي للمعلومات فيضع المتكلم جهده نحو بناء الخطاب، والوظيفة التفاعلية المبنية على إقامة العلاقات وتثبيتها، وقد تتجاوز إلى التأثير وغيره[1] ومن الذين اشتهرت بحوثهم حول الاستعمال اللغوي النابعة من الفلسفة اللغوية، الموزعة بين الفلسفة والمنطق، الذين قمنا بذكرهم سابقا في هذا الموضوع:

1.2_فيتغنشتاين وألعاب اللغة ونظرية المعنى[2]:

يعد الفيلسوف فيتغنشتاين من الفلاسفة الأوائل الذين حافظوا على طبيعة اللغة العادية، التي ترتبط بأشكال الحياة والممارسات التي نحياها، ذلك بدءا من أعماله التي كانت تنصب جلها حول المنطق والفلسفة والمنتهية في (1918م) إلى مساومات المنطق_ فلسفية، أما بعدها فقط اهتم بدراسة العلاقة بين الفكر واللغة، وأنهما غير منفصلين؛ إذ ركز على فكرة أن اللغة لها وظيفة تعبيرية تأثيرية في التواصل.[3]

يرى فيتغنشتاين أنه علينا أن نوضح نقطتين:

. لا وجود للفكر في جهة وللغة[4] في جهة أخرى: متفرقين، بل يتوالد أحدهما من الآخر.

. لا وجود للغة خاصة بالفرد: لأن اللغة تركيبيا عمومية، فالتكلم يعني إتباع قواعد، ولا يتم هذا إلا كنشاط عمومي، مراقب من خلال ممارسة التواصل.[5]

---

[1]. ينظر: يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص1.

[2]. (تكشف نظرية المعنى عند الفيلسوف فيتغنشتاين عن طبيعة اللغة، التي هي طبيعة اسفنجية مطاطة، ولعل هذه الصفات هي صفات اللغة العادية نفسها؛ إذ وجد فيتغنشتاين لكل لفظ من ألفاظ اللغة العادية معاني مختلفة تتبدل بحسب السياق أو الاستخدام. ولذلك نجده يطرح شعاره المعروف: "لا تسأل عن المعنى وإنما اسأل عن الاستخدام")، أما بالنسبة للفظة ألعاب اللغة هي صورة من صور الحياة، وما تتضمنها من أساليب كثيرة للكلام، وما أكثر الألعاب في حياتنا، ومن هذا نلاحظ أن المعنى مرتبط بالدرجة الأولى بقصد معين، هذا الأخير يتصل بطبيعة الشخص في حد ذاته، فلا تتشكل الكلمات ومعانيها خارج دائرة قصدية محددة فهذا هو مجال العملية الذهنية التي تتم إما عن طريق الحواس مثل: "الأفعال الرامزة" أو "الإشارية"، أو عن طريق "الوعي" من خلال أفعال القول المباشرة أو الغير المباشرة، وهذا ما فصل فيه أوستين في نظرية "الأفعال الكلامية" ومن بعده تلميذه سيرل في كتابه "القصدية بحث في فلسفة العقل".

[3]. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص51.

[4]. التصويب: احتراما لترجمة سعيد علوش لـ: كتاب فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تأتي واللغة بدل وللغة.

[5]. ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص22.

تنسب فكرة ألعاب اللغة أو التلاعب بالكلام إلى فيتغنشتاين، الذي يهتم بالدرجة الأولى بسياق الملفوظية[1] ويتعلق هذا الأمر بفهم دلالة التعبير اللغوي وشرحه.

أصبحت أفكار فيتغنشتاين فيما بعد من أقوى دعائم ظهور التداولية القائمة على ممارسة التأويل[2] وذلك من خلال: "الأداء الفعلي للغة".[3]

---

[1]. كلمة الملفوظية ترجمة للمصطلح الفرنسي Enonciation: أول من أشار إليها الألسني السويسري شارل بالي في كتابه: "اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية". (والملفوظية تقابل الملفوظ بالمعني الأكثر شيوعاً لهذه العبارة، مثلما تقابل صناعة الشيء، الشيء المصنوع وهي فعل الاستخدام الفردي للسان، بينما الملفوظ نتيجة هذا الفعل، وتعددت الآراء في تعريف الملفوظية. فهذا بينفينيست يقول: "إن الملفوظية هي عملية تشغيل اللسان عن طريق فعل استخدام فردي"، أما ديكرو وأنكومبر فيريان فيها ذلك النشاط اللغوي الذي يمارسه المتكلم في لحظة كلامه، كما يمارسه المستمع في لحظة استماعه.) _ جان سيرفوني: الملفوظية، تر: قاسم المقداد، دراسة، اتحاد الكتاب العرب دمشق، دب، دط، 1998، ص7.

[2]. (التأويل عبارة عن هرمس إذن فهو كائن متقلب وغامض، فقد كان أباً لكل الفنون ورباً لكل النصوص في الوقت ذاته، ولقد كان شيخا وشابا في ذات الوقت) _ أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2004، ص28، 29.

فتكون الانطلاقة الأولى من اللغة العادية التي ينتجها الماثول وصولاً لترجمة الألفاظ وفهم السياق من خلال الرؤية الواضحة للعيان، والاستعداد للدفاع من طرف المؤول؛ إذ يتحدد ذلك بتوظيف التأويل من خلال دلالة الألفاظ وتصبح بعدها المعاني شاملة ودقيقة. فالتأويل يمتلك غايات ومقاصد ونحن نؤول وفق متطلبات حاجاتنا بجميع أنواعها وأشكالها فحاجتنا إلى الاستقرار على معنى يريحنا من لهاث قد لا يجدي أهمية_ سعيد بنكراد: السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س. بورس، ص31.

(إن الغنوصية النصية المعاصرة متسامحة جداً، فبإمكان أي كان أن يكون كائناً كلياً، شريطة أن تكون لديه الرغبة في أن يحل قصدية القارئ محل قصدية الكاتب التي تستعصي على الضبط، لحظتها سيصل إلى الحقيقة، حقيقة أن الكاتب لا يعرف ما يقوله، فاللغة هي التي تتحدث نيابة عنه) _ أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص42. من خلال القول يتضح أنه هناك قصدية بين الإنتاج والفهم هذا الأخير يحتاج إلى التأويل للوصول إلى جوهر الحقيقة. (الغنوص الحقيقي هو الذي يتناول الاستمرارية الهرمسية) لمعرفة المزيد يمكن العودة لـ: كتاب: هاينس هالم: الغنوصية في الإسلام، تر: سالمة صالح، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص09. فالغنوصية المتمثلة في التأويل المحدود النهائي، تقوم بتناول تلك الاستمرارية القاطنة في التأويل الهرمسي اللامحدود اللانهائي.

[3]. ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص51، 52.

2.2-أوستين/ كل قول فعل:

(عرف أوستين من خلال محاضراته التي قدمها بجامعة هارفارد في (1955م) في فلسفة اللغة، ونشرت بعد وفاته سنة (1962م)، بعنوان "كيف ننجز أفعالا بالألفاظ"، ومما ورد فيه أنه ساوى بين بنية اللغة وبنية الفكر، وجعلها شيئا واحدا، واللغة في مفهومه تتجاوز وظيفة الاتصال إلى وظيفة التأثير)[1] وخلاصة عمله في ذلك أن كل قول ملفوظ يعد عملا وتم تعميم هذه الفكرة بمفهوم تداولي.

3.2_بيرس/ وامتداد العلامة نحو الفعل:

يعتبر من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة انطلاقا من مفاهيمها الفلسفية، ويعدها أساس النشاط السيميائي، فقد كانت فكرته أوسع بكثير إذ جعلها ذات بعد ثلاثي (دال، ومدلول، ومرجع) وهذه الفكرة بالضبط تم التطرق لها سابقا، إذ ربط بيرس فهم اللغة بحال التواصل، ويلزم المعنى بظروف الاستعمال، على نحو ما مر مع فيتغنشتاين[2] وأوستين.[3]

4.2-موريس/ فكرة التداولية جزءا من السيميائية:[4]

تنصب جهود موريس ضمن البحوث الفلسفية التي درست الدليل وتصوراته الواسعة انطلاقاً من البعد الدلالي إلى البعد التداولي، كما أنه ساهم في تأسيس الدرس السيميائي إلى جانب بيرس،

---

[1]. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص54، 55.

[2]. يلخص سيرل الاختلاف بين فتجنشتين وأوستين بقوله: ("أكبر الظن أن فنجنشتين اعتقد بالفعل أن الهدف من فحص اللغة العادية هو حل المشكلات الفلسفية التقليدية، واعتقد أنه إذا أدركت كيفية ممارسة اللعبة اللغوية، فلن تميل كثيراً إلى نتيجة شكية؛ ولكن أوستن أراد أن يمضي إلى الخطوة التالية. إذ أعتقد أن اللغة العادية فاتنة بوصفها مجالاً للبحث في ذاته. وعندما نُمارس نظرية أفعال الكلام لا نحاول حل المشكلات الفلسفية؛ وإنما نحاول بالأحرى أن نبدع فرعاً جديداً في الفلسفة"). لمعرفة المزيد يمكن مطالعة كتاب: صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم، في الفلسفة المعاصرة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2018، ص60.

[3]. المرجع نفسه: ص55.

[4]. يعد علم العلامات (السيميوطيقا) مرتبطا بالميدان المعرفي، أكثر ما هو مرتبطا بعلم الإشارات وهذا على سبيل المثال "تكلمت الديار" فنحن نعلم علم اليقين أن الديار لا تتكلم، وأن قائل هذه العبارة يقصد أن الديار عبرت عن شيء معين، وهي تعبر عن معنى لا ناطقة بالحرف ولا مشيرة بالإصبع (اليد)، وإنما وجودها في حد ذاته معبر عن الغربة والوحشة والحنين وما تخلفه الديار من أثار في نفوس أصحابها، ومن خلال العلامة يأتي الكلام الذي بواسطته يمكن التأويل والشرح، فالبنية تنشأ من خلال (وحدات) تتقمص أساسيات ثلاثة وهي:

1-الشمولية، 2-التحول، 3-التحكم الذاتي.

جعل التداولية جزءا من السيميائية؛ إذ تجاوزت العلامة مجالها اللساني إلى المجال السيميائي، وبنية اللغة في نظره نظام من السلوك؛ ذلك أنها تهيئ المتلقي إلى رد فعل ما، بناء على البنية التي يتلقاها.[1]

5.2-سورل/ القصدية بين الإنتاج والفهم:

لقد كان لـ: سورل بعد فلسفي؛ إذ يعتبر أحد فلاسفة اللغة المؤسسين للدرس التداولي. طور الأمريكي سورل "فعل الكلام" الذي ورثه عن أستاذه أوستين، وصولاً إلى القصدية بين الإنتاج والوعي، فالمرسل يلجأ إلى أسهل الطرق وأيسرها والمنهج السليم لإيصال معلومة ومحتوى ما إلى مخاطب ما، ضمن مقام تواصلي ما، كما أن المرسل إليه يبحث عن أسهل وأفضل طريقة لمعرفة مقاصد المرسل لحظة التلفظ؛ إذ سنقف وقفة نوعا ما مطولة عند هذا في الفصول القادمة. ولا ننسى جهود الكثير من الفلاسفة اللغويين في المجال التداولي بالتحديد أعمال (فريج)، و(كرناب)، و(جوردن)، و(لاكوف) و(غرايس) بما قدمه من قواعد المحادثة من مبادئ: في الكم والكيف وغيرهما الخادمة لمبدأ التعاون في التخاطب.[2]

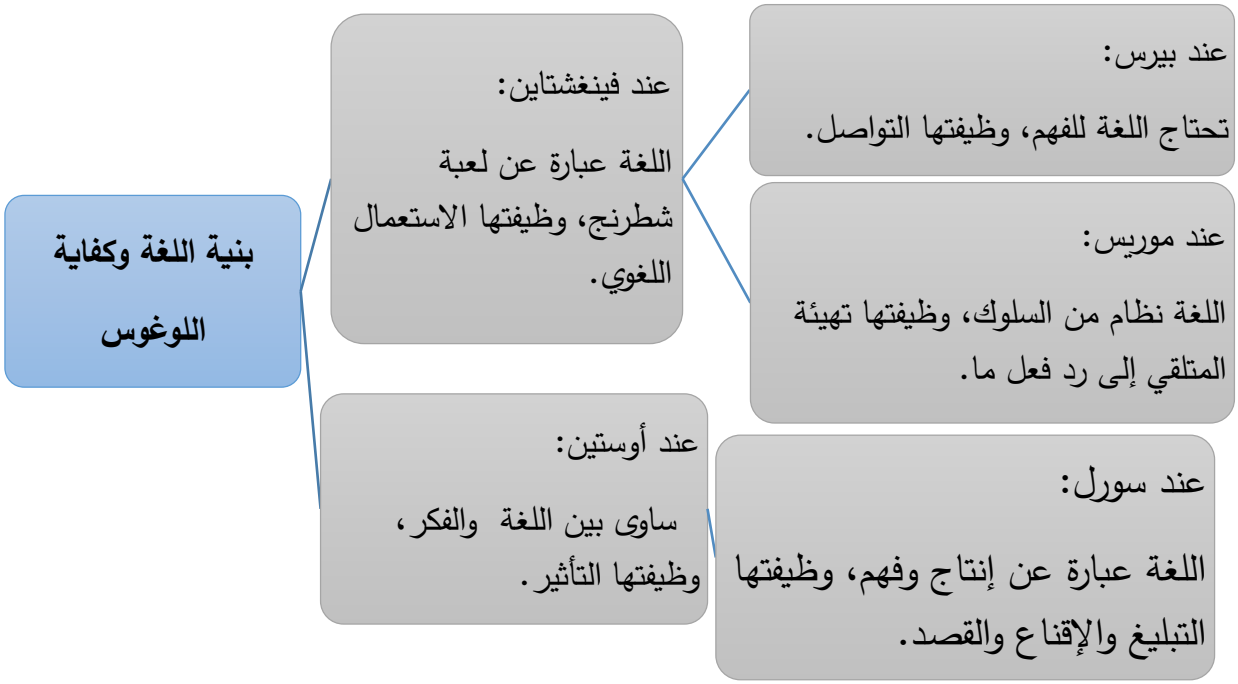

شكل رقم 03: تشكيل توليفي يوضح أهم الرؤى حول اللغة ووظيفتها نحو بناء نص

[1]. ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص56.

[2]. المرجع نفسه: ص51.

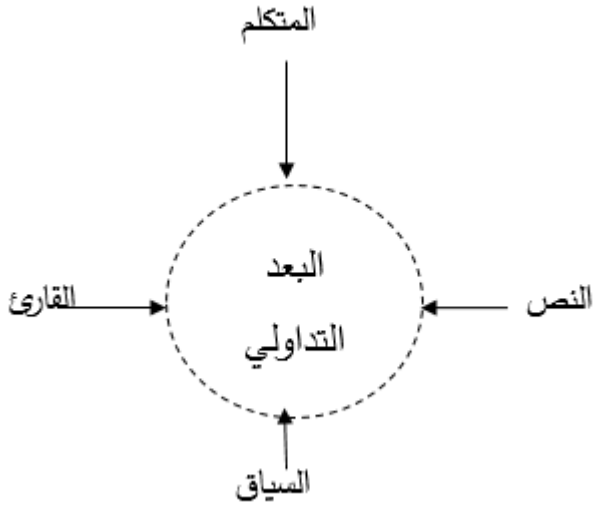

[1]

شكل رقم 04: التواصل التام وعلاقته التفاعلية بين مقوماته الأربعة: المتكلم والمخاطَب ونص الخطاب والسياق

يرى موريس على أنها علم يعالج علاقة العلامات بمؤولاتها، وبيرس يرى أن التداولية هي العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول وبين مستعمل اللغة، والذي لا يمكن تجاوزه هو أنها: تعرضت كغيرها من العلوم الأخرى إلى الفوضى المصطلحية والتماثل الاصطلاحي، والتعددية اللفظية وهي موزعة بين المنطق والفلسفة، فهناك من يطلق عليها لفظة: البراغماتية وآخرون يطلقون عليها اسم: التخاطبية، التبادلية، التواصلية، القصدية، المقامية، وهذا يعود إلى سعة الأفق والفكر وتعدد الفضاءات، تبعا لسلوك اللغة، تحت تأثيرات المرحلة الفلسفية من تاريخ الفكر البراجماتي، والمتداول حالياً هو اسم: التداولية وهذا راجع لمنهجية التنميط التي حددت مجال هذا الدرس المعرفي؛ إذ كان الفلاسفة المحدثين يلحون على وصف اللغة في استعمالاتها وفي تداولها العادي، وكانوا يحرصون على المعنى، حال الاستعمال، فالمعاني هي الأصل في التعبير القائمة بين طرفي العملية التواصلية، هذه الأخيرة تذكرنا بنظرية النظم[2] عند عبد القاهر الجرجاني.

---

[1]. بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص163.

[2]. (سبيل المعاني كسبيل الأصباغ التي تعمل منها الصورة والنقش والنحت، ولا معنى للتصوير والنقش والنحت بدون إيحاءات) _ وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر بدمشق، سورية، ط1، 1983، ص 126، مما يؤدي بالضرورة إلى التحام اللفظ بالمعنى؛ فاللفظ لا يكتسب وجوده=

ظهرت التداولية[1] للعيان التي تهتم بدراسة كيفية استخدام اللغة، وبيان الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا بواسطة الاستعمال، وتأويل سياق الحال الذي يؤدي فيه المتكلمون خطاباتهم.

=إلا من خلال الجملة في علاقة منطقية قوية تجاورية سببية، فهذه العلاقة تصنع معادلة تقول: " إن ترتيب الألفاظ النحوية أو اللغوية إنما يجيء تالياً لترتيب المعنى في الذهن، شرط التحكم الدقيق في الألفاظ، إذ كان ذلك أدق وأرق من إبراز المعاني وإخراجها في ثوب قشيب من الأسلوب، ولهذا يعرف الجرجاني النظم بقوله: (واعلم أن ليس النظم إلا أن تصنع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك(...)، وذلك أن يعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه)_ ينظر: زهير بختي دحمور: نظرية النظم، قراءة في مشروع عبد القاهر الجرجاني، منشورات زخة الشهب للنشر الإلكتروني، د ب، ط1، 2019، ص 49، 50، 51، إذا ركز الجرجاني كثيرا في نظريته (نظرية النظم) على دور المتكلم في بناء الجمل وتراكيب التخاطب، وإنتاجها، إذ يراد بها إدراك واستيعاب المعاني النحوية أو اللغوية، والتنسيق فيما بينها وبين المعاني الداخلية (قصد المتكلم وأغراضه)، في سبك الكلام وحبكه، بما يتلاءم مع المعنى المراد إفادته السامع، مع مراعاة سياق الحال، فكان لهذه النظرية دورا كبيرا في إثراء اللغة، وإحداث التوافق النفسي بين المعاني النفسية والتراكيب الدالة عليها...إلخ_ ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص61 وما بعدها.

[1]. إن التداولية لها نفعاً عظيماً ودوراً كبيراً في جميع ميادين الصناعات اللغوية، ذات الصلة بالتأويل؛ بل حتى بإنتاج الأقوال، فمن مصلحة التداولية أن تدفع ببحوثها إلى ميدان تأويل الأقوال. وهو يمثل ميدانها الطبيعي، ويكمن الحل في تحالف اللسانيات والتداولية، وهي الأهمية التي ينبغي أن يوليها التداولي واللساني لمسألة التوافق الإبسيمولوجي بين الاختصاصين. فما لا تستطيع اللسانيات وحدها أو التداولية وحدها تحقيقه يفترض أن يكون ممكنا بتكاتفهما. ومن جهة أخرى، ينبغي أن يقل حذر التقنيين على قدر ما في اللسانيات والتداولية من طابع العلم التجريبي. ولمعرفة المزيد حبذا العودة لكتاب: جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين تحت إشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، دط، 2010، ص547، 548.

فمن بين التصورات الخاطئة التي شاعت عن المنهج التداولي نذكر ما يلي:

أ_ (بعد أن وضع علماء اللغة وفلاسفتها لتحليل بنية اللغة، ودراسة النواحي المجردة (الكونية العامة) للغة وسط طاولة أعمالهم، أخذوا يدفعون بكل ملاحظاتهم حول الاستعمال اليومي للغة نحو حافات الطاولة. وعندما اكتظت الطاولة وامتلأت(..) لينتهي الأمر بهذا الاستعمال في سلة المهملات التي لم يتم ترتيبها في بادئ الأمر تحت تصنيف معين) _ لفهم الصورة أكثر يمكن العودة لـ: جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص23.

لهذا اعتبرت التداولية سلة لمهملات اللسانيات؛ بحيث كل ظاهرة عجزت اللسانيات عن حلها تصبح مجالاً للبحث التداولي، من خلال الظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهملة ولا متروكة بالضرورة؛ إذ تقوم بإزالة ذلك الغموض التواصلي اللغوي، وتقوم بشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات؛ حيث تستمد أفكارها ومعارفها الاستعمالية من رافدين: المعرفي: الاستدلالات، الاعتقادات والنوايا، والرافد التواصلي: أغراض المتكلمين واهتماماتهم، ورغباتهم.

ب_ وليست مكونا من مكونات اللسانيات البنيوية، لأن التداولية ليست هي المرحلة الأخيرة للتحليل اللساني.

والعديد من التصورات الخاطئة التي أصابت صيدلة التداولية. _ مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص 27، 28. مما يدفع القول بأن هذا النسق (التداولي) يشكل لغة بالغة التفرد، وتجدر الإشارة إلى أن علامات هذا النسق تتصل اتصالاً وثيقاً بالكلام وكذا بعلامات الأنساق الأخرى؛ بحيث لا يمكن فهمها منعزلة عنها.

ساوت التداولية بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام واهتمت بـ: اللوغوس (الخطاب) وتهتم بدارسة الظواهر اللغوية وتطبق مرتكزاتها على النصوص، فما هي المدارس التي ساعدت في ظهور هذا التيار؟ ما هي مباحثه ومهامه وقواعده؟ وهل يكتسب أهمية في اللسانيات النصية أم لا؟ إلخ وكل هذا يندرج داخل دائرة حركية ثقافية عقلانية، والمحرك الأساسي في عملية الإنجاز الفعلي والتواصلي هو: العقل، الذي مهد لظهور العلاقات بين العلوم الجديدة للتواصل الإنساني، ويدرس الموجودات اللغوية في مجال الاستعمال، وبين العلوم الأخرى كما سنرى لاحقا.

شكل رقم 05: خطاطة توضح أهم النظريات الحديثة المعاصرة وميدان اشتغالها ومجالها اللغوي

03. محطة ورؤى عربية، ملامح تداولية وأمارات الاستعمال اللغوي عند النحاة المحدثين

أول من وضع مصطلح التداولية من العرب في مقابل مصطلح البراغماتية، الفيلسوف اللغوي طه عبد الرحمن[1] سنة (1970م)"، سنوات السبعينات من القرن الماضي، وشهد تعريف بالإجماع

[1]. يعترف الدكتور طه عبد الرحمن بالأهمية البالغة التي لعبها "الفكر التداولي"، وذلك عند وضعهم لمصطلح "المجال التداولي" الذي يتردد في النص، باعتبار أن الأصل في اللغة الإنسانية " تبليغيا تذليليا وتوجيهيا"، قسم طه عبد الرحمن اللسانيات تقسيماً ثلاثياً وهو كالآتي: الداليات التي تشمل الأقسام المشهورة: "الصوتيات" و "الصرفيات" و "التركيبيات"، أما القسم الثاني جاء بعنوان: الدلاليات، وهي الدراسات التي تختص بالعلاقات التي تجمع بين "الدوال" الطبيعية و"مدلولاتها" سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج، والقسم الثالث والأخير الذي يهتم بـ:=

والتداول؛ إذ يرى لفظة التداول تفيد العلم الحديث، ونوجز تعريفاً للتداولية هو: دراسة اللغة في الاستعمال، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم، والمخاطب في سياق محدد، مادي، واجتماعي، ولغوي، وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما.[1]

ويقدم مسعود صحراوي تعريفا إجرائيا لتداولية ويربطها بالتواصل، في قوله: "هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، من ثم التداولية جديرة بأن يطلق عليها علم أو مجال (الاستعمال اللغوي اللساني).[2]

يعتبر نموذج أحمد المتوكل من أكثر النماذج تحقيقاً لمتطلبات التحليل التداولي، وفق تقسيمه لعناصر تكوين الجملة في اللغة العربية، وصولا إلى المنظور التداولي الذي سعى المتوكل لإثباته.[3]

من خلال هذا التقسيم:

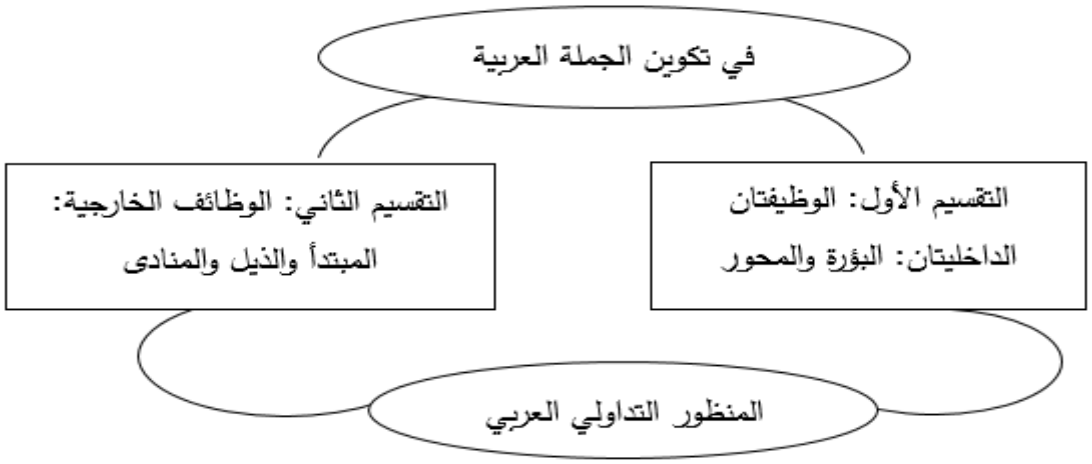

شكل رقم 06: تشكيلة تمثل رؤيا أحمد المتوكل للوظائف التداولية العربية الحديثة

=أغراض الكلام ومقاصد المتكلمين، وقواعد التخاطب وأطلق عليه لفظة: التداوليات والأقسام الثلاثة المذكورة تعتمد على خاصيتي الوصف والتفسير القائمة على العلاقات القصدية داخل الدائرة التواصلية. وللاستفادة أكثر يمكن مراجعة كتاب: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص27، 28 وكتاب: إدريس مقبول: الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ص9، 10.

[1]. أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص10.

[2]. بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 30.

[3]. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة نشر وتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص27 وما بعدها.

وخلاصة هذا:

أن التراث العربي غني وثري بالمصطلحات والدراسات التداولية التي كانت في الفكر البلاغي القديم (جذور وملامح قديمة تدل على التفكير التداولي)؛ إذ كان دور البلاغة القديمة في أغلب تعاريفها وتطبيقاتها تتمحور وتقوم على الإفهام والتأثير في المتلقي، وفق مقاصد المتكلم والسياق الذي يتم فيه التخاطب الأدبي، أما الآن فقد أدرك علماؤنا المحدثون أن اللغة بمفرداتها وأساليبها وعباراتها لا تكفي للوصول إلى المقام المنشود، بعدما كانت تشكل البلاغة العربية من: علم المعاني، وعلم البديع، وعلم البيان، هذه الأخيرة تمثل سوى صورة تركيبية دلالية ذات معانٍ متعددة إن لم ينظمها رابط سياقي، يكون حاضراً في كل تواصل اجتماعي وثقافي، فإن الإدراك للملفوظات وفهم مكنوناتها ومكوناتها، تعتبر من مهمة المتلقي الذي يجب أن يكون مالكاً للقدرة العقلية والكفاءة التخاطبية، ووعياً تاماً بمقام الحديث الذي يعد أساسا الكشف عن غاية التواصل، ولكل تركيبة هدفًا وغاية ومقامًا تواصلياً، فسعى النقاد وعلماء اللغة الربط بين المقام اللغوي والمقام التواصلي في التحليل والتأويل والتركيب.

لقد تجاوزت دراسة النقاد والنحاة العرب ووقوفهم عند ظاهرتي الوصف والتعليل لخلجات البنية اللغوية وجوانبها المعيارية الشكلية وعواملها اللفظية والمعنوية، إلى استحضار تلك الشروط المحيطة بإنتاج الكلام، خاصة تلك التي تتعلق بالمتكلم والمخاطَب معاً ومقاصدهما لتشكيل النص، وسياق الحال وما إلى ذلك من عناصر الموقف الكلامي والأفعال اللغوية.

من خلال التعريفات السابقة (العربية) يمكن القول: صحيح كانت ولازالت الجهود قائمة ومتواصلة لحد الساعة وإلى يومنا هذا في بلورة هذا المنهج (التداولي) والنهوض به ولو بنقلة للأمام في تشكيله وتركيبه وتقنينه، من خلال هذا محاولين جعل الفكر التداولي علماً ومنهجاً قائماً بذاته في الوقت نفسه، وسعيا للاستفادة من المناهج اللسانية الحديثة للنهوض باللغة العربية، مواكبين روح العصر فكان أثر النظرية الغربية التداولية في الدراسات العربية عميقا موغلا فيه، مما أحدث فجوة وشبه انسلاخ جزئي عن التراث القديم، وهذه الحقيقة التي نجدها في الخطابات من بلورة للأفكار والرؤى الغربية، إذ لم نشهد الجديد ويتضح ذلك من خلال بؤرة السيناريو المتكرر أكثر من خلال المنظار الثقافي الذي يكشف تلك الجينات والتمفصلات المتمثلة في تأثر العربي بالثقافة الغربية، هنا ما نلمسه في جميع المجالات التي تكادُ أن تصبح موضة ومرض العصر. إننا لم نلمح تلك البصمة

الأدبية النقدية اللغوية العربية، ومن هنا ظهرت الترجمات كما يقولون: كل ترجمة خيانة لصاحبها ولجمهورها، والتعلق الشديد بالظواهر والإنتاجات الغربية.

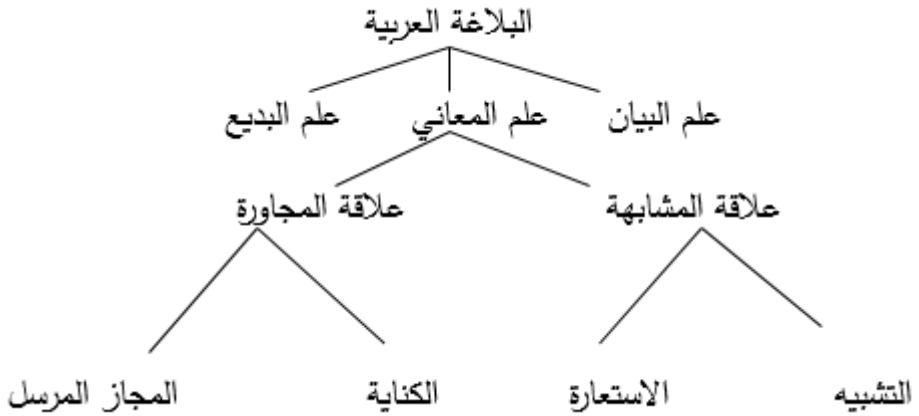

[1]

شكل رقم 07: خطاطة تمثل علاقتي المشابهة والمجاورة التي تتأطر وتندرج ضمنها مجموعة من الوجوه البلاغية

04. الروافد الفلسفية والمرجعيات الغربية والمشارب المعرفية النقدية والخلفيات الثقافية لتشكّل وبناء الفكر التداولي

لقد كان هناك نمو متصاعد ومتراكم متشابك في المعرفة الإنسانية عامة، والمعرفة الفلسفية التحليليّة خاصة، لهذا اعتبرت قضية الإنتاج والفهم من أهم القضايا التي تندرج ضمن ميدان العلم والمعرفة، مما أحدث فوضى ونقلة نوعية تشابكية في ميادين مختلفة، إذ تمازجت الفلسفة بالأدب، وعلم الاجتماع بالأدب...إلخ وتعددت الأشكال التعبيرية والأجناس الأدبية والمناهج النقدية، إضافة إلى هذا وجود صعوبة في تحديد طبيعة الميدان خاصة عندما كثر الإنتاج الأدبي ووسائل التكنولوجيا، في المقابل إعْتِيَاصة التعامل مع النص وتركيبته وموقف القارئ من ذلك، وصعوبة في مهمة استخلاص واستنباط العلوم من بعضها البعض، وفق قواعد المنطق عند جمهور الفلاسفة والنقاد، وعجز المنظور

[1]. عمر أوكان: اللغة والخطاب، ص157.

المنهجي مما أدى حدوث تدخل من قِبل الدراسات البينية[1] (الفكر البيني) بصيغتها المعرفية في دراسة مسار المنطق والتفكير البشري، وجعل الظاهرة حقيقة ولدت بولود الفكر الإنساني؛ إذ بات التداخل (جميع العلوم المتنوعة)، يفرضُ رأيه في الأوساط المعرفية الأدبية، وظهرت العلوم والقضايا، والتأسيس لقواعد المنطق وقوانينه ومراميه، هذا كله كان محورا لبروز المعارف والظواهر والنظريات النقدية من جهة، والطمس والتلاشي من جهة أخرى، وما أفرزته التكنولوجية والحوسبة أو بما يسمى بـ: الفضاء الإلكتروني أو البيئة الافتراضية التي أُطلق عليها اسم: السيبرنيطيقا (السّبرانية) بفضل التقنيات الحديثة التي باتت تُحلق عاليا في عوالم الابتكار العلمّي والإبداع التقنّي من جهة أخرى، وقد راحت تنشر وسائطها بين الناس وفي جميع بِقاع المعمورة من جهة ثالثة، ونحن نطرح أسئلة حول نمط كينونة التداولية والمدارس المساهمة في تشكيلها، وفي الوقت نفسه نحاول البحث عن الإجابات الدقيقة في العناصر والفصول اللاحقة.

لقد اهتم الفلاسفة والمناطقة على التداولية أمثال: أوستين وسورل من جهة مستعملي هذه العلامات، وفهم اللغة بحال التواصل والاستعمال، فيتغنشتاين وفينومينولوجية هوسيرل من جهة الفلسفة المتعالية والوعي الخالص[2] وموضوع القصدية أصالة، ومن علماء الاجتماع: غوفمان، ومن علم

---

[1]. (الدراسات البينية أو "البينية" هي: عملية تفاعل وتبادل المعارف بين تخصصات مختلفة، وهذا التبادل قد يفضي إلى أن تتكامل التخصصات المتداخلة فتكون تخصصاً جديدا_ محمد مكاكي: الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية، جسور المعرفة، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر، ع 5، ديسمبر، 2021، ص273.

[2]. (أصبح هسرل يرى في الفينولوجيا "فلسفة أُولى" و "علماً كلياً" فانصرف إلى دراسة المعرفة بصفة عامة، وانتهى إلى نتائج مثالية واضحة). أدموند هوسرل: تأمُّلات ديكارتية، تر: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1958، ص5.

فينومينولوجية هوسرل: تُعنى بدراسة الوعي الخالص أو الشعور في مجموعه. وهذا ما أطلق عليه بالدراسة الماهوية لدلالة الوعي، شرط وجود الموضوعية_ يمكن العودة لكتاب: هُسّرل: الفلسفة علما دقيقا، تر: محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص14وما بعدها، ومن هنا فإن الفينومينولوجيا العامة للعقل تعنى بحل المشكلات الموازية الخاصة بالتضايف بين التقويم والقيمة، يعني أنها تقوم بوصف للأشياء والحوادث وهي تتجلى أمام الوعي للوصول للمعرفة الحقيقية_ وأيضاً الرجوع لكتاب: إدموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا: تر: فتحي إنقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص45. نجد في حالة الإدراك الواعي، علاقة معقدة بين الفينومينولوجيا والمضمون القصدي، بالنسبة في معظم الحالات الأساسية مثل: رؤية اللون الأحمر أو الشعور بنعومة الطاولة، من هنا اعتبر سيرل الفينومينولوجيا تحدد المضمون القصدي بالكامل. ويمكن العودة لكتاب: جون ر. سيرل: رؤية الأشياء كما هي، تر: إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، الكويت، دط، 2018، ص46.

الاجتماع اللساني: غامبرز، ومن التوجه النفسي الاجتماعي مدرسة بالو ألطو الأمريكية من خلال نموذج نسقي/أركسترالي للتواصل الذي يعتمد على المقاربة النسقية لدراسة العلامات الإنسانية ضمن سياقات ثقافية، ومشروع البرمجة اللسانية العصبية، ومن المناطقة أمثال: براتراند روسل والكثير، ومن اللسانيين مارتيني وموريس وبنفنست، وأعمال ومساهمات علم النفس مع الأول، والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت الألمانية في مقارباتها التداولية الجيل.[1]

ومن بين المدارس الغربية التي ساهمت وكان لها الفضل في بروز وبلورة التداولية أو العلم أو المنهج التداولي بزعامة روادها، واهتماماتهم تنصب داخل حلقة التواصل نذكر على رأسهم:

4_1 مدرسة فرانكفورت وبناء نظرية اجتماعية نقدية وحقيقة عقلانية والتنوير العقلي في القرن العشرين مع: الجيل الثاني تحديداً من فكرة نظرية الفعل التواصلي التداولي لدى هابرماس:

يعود تأسيس مدرسة فرانكفورت النقدية إلى عشرينيات القرن المنصرم سنة 1923م، حين أنشئ في جامعة فرانكفورت معهد للبحث الاجتماعي، وافتتح رسميا في يونيو 1924م فكان معهداً فريداً من نوعه.[2] اشترك في تأسيسه كل من: فيليكس فايل الذي أرسى المبادئ الأساسية له، وكارل

_ لقد إعترف هسرل شخصياً، غير مرة، أنه تأثر ببرنتانو وأخذ عنه فكرة القصدية؛ إذ تتلمذ هوسرل على يده (فرنز برنتابو) هذا الأخير كانت له رؤى واعية في المجال القصدي، وهو أول من أدخل تعبير "القصدية" إلى الفكر الحديث، قصد التمييز بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة النفسية؛ إذ يرى أن القصدية وصف للجميع الأفعال العقلية أو الذهنية التي يتجه الوعي بها نحو شيء ما، أو هي وصف للأفعال العقلية الوجدانية التي تتوسط بيننا وبين الأشياء، هذا من شأنه أن يعين مفهوم الشعور أو الوعي ما دامت كل الظواهر الذهنية ظواهر شعورية.

اقترح هوسرل استبدال تعبير "الظاهرة العقلية" بتعبير "الخبرات القصدية المعاشة"، وهو ما فعله برنتانو: داخل الوعي، أو متضمن فيه أو في الخبرات القصدية المعاشة، وإدراك أي موضوع فيزيقي أو ظاهرة لا يعني أنه داخل في الوعي أو باطن أو أنه جزء من الخبرة القصدية، فالباطن هو أفعال الوعي ومضامينه، وهنا يعرف برنتانو الشعور بأنه "الوعي الداخلي" الذي يتمثل في خبرات المرء العقلية والمعاشة أي أن الوعي أو الشعور هو الإدراك الداخلي الذي يستبدله هسرل باسم: "الإدراك التام" و "الإدراك الناقص" وميز بينهما. للمعرفة المزيد يمكن العودة للكتاب: ينظر: يوسف سليم سلامة: الفينومينولوجيا، المنطق عند إدمون هسرل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2007، ص106 وما بعدها.

[1]. أحمد مداس: التأويل في المنظومات المعرفية المشتركة، قراءة في مفاهيم، وإجراءات المنجز اللساني والنقدي المعاصر، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، ط1، 2021، ص69، 70.

[2]. ينظر: فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت، نشأتها ومغزاها، وجهة نظر ماركسية، تر: خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، شارع الجبلاية بالأوبرا، الجزيرة، القاهرة، مصر، ط2، 2004، ص21.

جرينبرج (1895_1973م) الذي أصبح أول مدير له، وفريدريخ بولوك، وماكس هوركهايمر (1895_1973م) الذي تسلم بعد ذلك إدارة المعهد في عام 1931م وكان يعتبر الشخصية الأساسية المركزية فيه. والعديد من النقاد، بالإضافة إلى تعامل المعهد مع عدد من المفكرين الذين كانت لهم صلات بالأحزاب الشيوعية والعمالية (الذين كانوا يحملون بعض النزعات الماركسية)، وتعد هذه النظرية في الآن معاً "فلسفية" و"اجتماعية" و"سياسية".

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاد معظم رواد المدرسة إلى ألمانيا وتابعوا نشاطهم ضمن جامعة فرانكفورت. وبلغ هذا النشاط ذروته في أواخر الخمسينيات والستينيات، في هذه الفترة ظهر جيل جديد (الجيل الثاني) من أتباع هذه المدرسة كان أبرزهم يورغن هابرماس (ولد عام 1929) الذي يعد من أهم وأبرز مفكري ألمانيا وكذلك ألفرد شميت وغيره. لم ينحصر اهتمام هذه المدرسة بعلم الاجتماع وحده بل تجاوزت ذلك مثل الاهتمام بالعلوم الأخرى خاصة الاقتصاد، الفلسفة، القانون، الأدب، الموسيقى والكثير من الاهتمامات.[1]

اعتبر النقد السمة الرئيسية والخاصية الأساسية لمدرسة فرانكفورت، حيث كانت تهدف وتسعى هذه (نظرية المجتمع النقدية) بـ: نقد وتحليل المجتمع، وذلك لاعتمادها على أعمال كل من: الشيوعي صاحب الفكر الوجودي (المدرسة الوجودية) وإعادة صياغة الجدل الهيجلي المجري كارل ماركس الذي يرى لنقد الاجتماعي ليس منفصلاً عن الواقع الذي يحيا به الإنسان، بل هو نقد يرتبط بالممارسة والعمل والفعل قصد تحقيق التغيير الضروري للواقع الاجتماعي. اعتمدت أيضاً على أعمال النمساوي المعروف سيغموند فرويد، وبذلك تكون هذه النظرية تقييمية معارضة للعقائد المذهبية مثل: "الوضعية" التي تنظر للعلوم الاجتماعية نظرة تحرر من التقييم. في مقابل ما تراه "الوضعية" حول "ماذا يكون"،

_ تعد مدرسة فرانكفورت النقدية بهذا الشكل نظرية ثورية، تسعى أن تصبح بديلاً عن النظرية التقليدية، قائمة على الجدل والحوار بفضل أعمال كل من: هوركهيمر وادورنو وتلميذه الذي واصل مسيرة هذه المدرسة هابرماس وماركيوز، التي أدخلتها في دائرة الحوار بين العديد من المفكرين وعلماء الاجتماع، نجد حوار مع بوبر في فلسفة علم الإنسان، وجادامر في الفلسفة، ونفس الموقف نجده لدى هابرماس، الذي مارس حواراً موسعاً مع غيره من المفكرين المعاصرين.

[1]. ينظر: حسام الدين فياض: النظرية النقدية للمجتمع، مدرسة فرانكفورت نموذجاً، نحو علم اجتماع تنويري، النقد الاجتماعي، دب، ط1، 2010، ص9 وما بعدها، وأيضاً ينظر: بول_ لوران آسون: مدرسة فرانكفورتْ، تر: سُعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص6.

فإن النظرية النقدية تطرح الموقف المثالي "ما ينبغي أن يكون"، قائمة على الطرح الجدلي المعاصر والممارسة بالنسبة لها يجب أن تكون داخلية، حتى لو تنكرت النظرية لكل فهم ذاتي.

من أهم الجذور التاريخية والعقلية التي تغذت عليها النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ونمت في تربتها:

ـ تراث الفلسفة المثالية الألمانية وفي مقدمتها تراث هيجل (1770_ 1832).

ـ كتابات كارل ماركس (1818_1883)، خاصة المخطوطات الاقتصادية الفلسفية، التي تحمل في جعبتها فكرة اغتراب الإنسان في ظل المجتمع الرأسمالي، واستفادت من الفلسفات الاجتماعية الألمانية، وبخاصة فلسفة ماكس فيبر (1864_ 1920)، وفلسفة التحليل النفسي وفلسفة الحضارة عند سيجموند فرويد (1856_1939) خصوصا بعد تطويرها بمنظور اجتماعي عند إيريك فروم وماركيوز. مما أثر على بحوثهم في علم اجتماع المعرفة والفن والأدب.

ـ الأفكار والتصورات الماركسية والهيجلية الجديدة التي عبر عنها في العشرينيات من القرن الماضي كل من كارل كورش (1886_1961) وجورج لوكاش (1885_ 1971) لا سيما في كتابه "التاريخ والوعي الطبقي 1923" الذي تطرق فيه لفكرة الاغتراب الإنسان، هذه الفكرة لها تأثير قوي على رواد النظرية النقدية، والتأثير ببعض أفكار فلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجيا)، وفلسفة الحياة والوجود التي انطلق منها بعض رواد مدرسة فرانكفورت.

استفادت "مدرسة فرانكفورت النقدية" من فعل التراكمات الفكرية والفلسفية والاجتماعية والصياغات المنهجية والمعرفية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالطرح النقدي الذي تحول إلى وسيلة من وسائل الصمود والمقاومة، ومن أشكال الاستقطاب وإلى فعل تغييري من منطق النزعة الإنسانية، إضافة إلى ما أفرزته من الرؤى المعاصرة والحداثية، لذلك وضعت النظرية النقدية في سلم أولوياتها قضايا كبرى، ومن أساس مبادئها عدة مقاصد مرتبطة ببعضها البعض من أجل تعميق الوعي النقدي وهي: " نقد العقل الأداتي، التشيؤ، الاغتراب، القمع والتسلط.

يعتبر العقل الأداتي العامل الأساسي في إنتاج كل المفاهيم السابقة لأنه عقل خصوصي يمنح للتنظيم الاجتماعي حقيقته العقلانية.[1]

والدراسة النقدية (مدرسة فرانكفورت) التي تعتبر تياراً فلسفياً من أشهر التيارات الفلسفية الموجودة على الساحة الفكرية الغربية، والتي تعد بمثابة الخيط الرفيع الذي يربط أطراف الحداثة بما بعد الحداثة، تسعى لبلورة خطاب فلسفي جديد للحداثة القائم على الجدل، بدأت من الفكرة الإبداعية الناشئة من معهد البحوث العلمية بجامعة فرانكفورت عام 1923 كما أشرنا سابقا، إذ ترى هذه المدرسة أن السيطرة لها ثلاثة جوانب هي:

ـ السيطرة على البيئة الفيزيقية.

ـ سيطرة الإنسان على الآخر.

ـ اخضاع البيئة البشرية.

[1]. حسام الدين فياض: النظرية النقدية للمجتمع، مدرسة فرانكفورت نموذجاً، ص13، 14، 15.

ـ يقصد بالعقل الأداتي أو العقلانية النقدية من أهم المصطلحات الأساسية والجوهرية في قضايا النظرية النقدية، ظهر عند هوركهيمر من خلال كتابه "جدل التنوير" بالاشتراك مع ادورنو، وهو نوعاً من التفكير السائد في المجتمع الصناعي الحديث، وهو ما وصفه هربرت ماركيوز بالتفكير ذو البعد الواحد، كما تعبر عنه الفلسفة الوضعية بأشكالها المعاصرة والفلسفة البراجماتية؛ إذ يمكن النظر إلى المعرفة باعتبارها أداة ووسيلة لتحقيق غاية، ويتسم هذا العقل بالسمات التالية نذكر بعضها: ينظر العقل الأداتي إلى الواقع من منظور التماثل، العقل الأداتي قادر على إدراك الأجزاء، فهو يعمل على تفتيت الواقع وإعادة تركيبه من خلال نماذج اختزالية بسيطة، ينظر العقل الأداتي إلى الإنسان باعتباره مجرد جزء يشبه الأجزاء الطبيعية (المادية) الأخرى، ينظر للإنسان من منظور العلوم الطبيعية على أنه شيء ثابت والطبيعة عبارة مادة استعمالية يمكن توظيفها واستغلالها لخدمة أي هدف، وفي النهاية هذا العقل الأداتي قادر على شيء واحد فقط وهو قبول أمر الواقع، من خلال التكيف مع ما هو قائم من أحداث ووقائع وجزئيات، بالإضافة إلى التكيف مع الظروف المنتجة (القهر والقمع والتنميط والاغتراب)، التي تؤدي إلى تثبيت دعائم السلطة وكبح أية نزعات إبداعية تلقائية تتجاوز ما هو مألوف. من خلال هذا يجب أن يكون الترشيد الأداتي والسيطرة المتزايدة لمجالات متنامية في الحياة الاجتماعية. ـ المرجع نفسه: ص16 وما بعدها، ولمعرفة المزيد والتعمق والاطلاع على المصطلحات الأخرى والقضايا الرئيسية التي قامت بطرحها هذه النظرية أو المدرسة النقدية (مدرسة فرانكفورت) مثل: النظرية والممارسة، مقولة التشيؤ والاغتراب، المعرفة والمصلحة... يمكن العودة لكتاب: يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، تر: أبو النور حمدي أبو النور حسن، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 2012، ص42 وما بعدها.

وهذه الأنماط الثلاثة متداخلة، فالحضارة بشكل عام هي قهر الغرائز الإنسانية والبشرية، بالتالي يشدد هابرماس على عدم "اختزال التحليل النفسي".

هذا الطرح يرى أن المعرفة العقلانية التي تشكلها اللغة هذه هي: مأوى الوجود وخزان تجاربه من محاورة ومشاركة في جدل حواري الأشخاص، وجماعي المضمون والمحتوى يسوده خطاب عقلاني معرفي، هذه الفكرة والاستعمال ركز عليهما هابرماس، يقوم على العقل لإنشاء تواصل اجتماعي، يحاول تحرير الوعي من بَرَاثِن السلطة الفردية. (وإذا كانت النظرية النقدية لدى رواد مدرسة فرانكفورت لم تنجح في تطوير مفهوم العقل التواصلي، فهذا يعود كما يعتقد هابرماس إلى دور العقلية الأداتية المستمر في فكر ادورنو وهوركهيمر نتيجة الشكوك والمخاوف التي سيطرت عليهما بسبب الفظائع التي تمت أثناء الحرب العالمية الثانية والتاريخ القريب).[1]

إن التواصل غير ممكن إلا انطلاقا من الاستعمال الإنساني لنص، وهذا ما حاولت أن تبرزه النظرية التداولية وتمارسه على اللغة العادية الطبيعية، هذه المسائل والقضايا معروفة وتم تناولها في الدرس اللساني التداولي المعاصر، شرط أن يكون في كل نقاش الالتزام بمجموعة من المعايير النصية مثل: (الصدق والمصداقية، الحقيقة والمسؤولية...).

لقد استطاع هابرماس إلى حدٍ ما إعادة صياغة مفهومهُ للعقل التواصلي من أجل إيجاد وحدة اجتماعية ثقافية، بعيدا عن البنية الاقتصادية والاجتماعية التي أنتجت العقل الأداتي ومكنتهُ من الهيمنة على الوعي الفردي والجماعي وأفرزت أزمته.

بما أن العقل فاعلية قائمة بذاتها، ماهي النظرية التواصلية عند هابرماس؟

يوضح هابرماس العقلانية التواصلية التي تتبلور حولها فكرة البراكسيس (الإدراك) بقوله: "أن العقل التواصلي يتميز كعملية من خلال النية في الإقناع وأن يحصل بواسطة تعبير ما على موافقة جماعية، فهو يعتبر تدبير من خلال محاولتها إنهاء النقاش حول ادعاءات افتراضية بالصلاحية"، هذا

[1]. ينظر: حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص17 وما بعدها.

الفكرة جعلت من الحداثة غايتها، تحاول تشييد "العقل التواصلي" لتحرير الفكر المعاصر من النص المتمركز حول فلسفة الذات.[1]

هكذا توجه هابرماس نحو أفق تحرري كان يُعولُ ويشتغل على العقل التواصلي، محاولاً بذلك تحرير الوعي الإنساني، وفي الوقت نفسه سلك طريقاً مباشراً واضحاً في صياغته لهذا العقل التواصلي، فقد أقدم على وضع العقل داخل إطار اللغة بصفة عامة، وفي إطار التواصل بصفة خاصة. أن العقل يتجاوز العقلانية الغربية التي منحت أولوية مطلقة للعقل الغائي والتي تهدف لتحقيق غايات معينة، فهذا العقل يبنى على فعل خلاق يقوم على الاتفاق، وهدفه بلورة إجماع يعبر عن المساواة داخل فضاء عام ينتزع فيه الفرد جانباً من ذاتيتهُ ويُدمجها في المجهود الجماعي الذي يقوم بالتفاهم والتواصل العقلي.[2]

يريد هابرماس إيصال فكرة أساسها ومفادها ألا وهي: ضرورة الخروج من فلسفة الذات من خلال مخرج مهم وهو ما أُطلق عليه "العقل التواصلي".

قسم هابرماس العقل إلى نوعين من خلال النشاط العقلي الذي يقوم به هذين النوعين هما:

أ_ نشاط عقلي معرفي _أداتي، وهو نشاط مرتبط بغاية لأنه يحقق منفعة، وهذا النوع يستخدمه الإنسان لمعرفة البيئة المحيطة به.

ب_ نشاط عقلي وتواصلي وتمارسه الذات القادرة والمتمكنة من الكلام والفعل، وهذا النشاط التواصلي هدفه التوجه نحو التفاهم بين الذوات.

يؤكد هابرماس في كتابه "الأخلاق والتواصل" هذا الذي بين أيدينا أن النشاط العقلي له منظورين: إحداهما أداتي والأخر تواصلي.

بعدها حاول هابرماس البحث في بناء العالم المعاش بحثاً تداولياً وشكلياً، باعتبار العالم المعيش هو الذي يشكل عملية التفاهم بين الذوات، وعرضة لتغير من خلال تحول بنية المجتمع ككل، وكانت فكرة العالم المعيش التي قدمها هابرماس مكملة لمفهوم العقل التواصلي لأنها مرتبطة بمفهوم المجتمع وتشكل سياق الفعل الاجتماعي. هنا حاول البحث عن الوظائف التي يقوم عليها العقل

[1]. يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، ص9 وما بعدها.

[2]. ينظر: المرجع نفسه: ص137، 138.

التواصلي لإقامة عالم متنوع الأبنية، ويتم ذلك من خلال العالم المعيش، وصولا إلى نقطة "التوحيد بين المجتمع والعالم المعيش".[1]

وعلاوة على هذا ما هي فلسفة الأخلاق والتواصل عند هابرماس؟

ذلك الاهتمام المتزايد الذي أولاه الفلاسفة المعاصرون للغة، ليس فقط التحليليين الإنجليز من فلاسفة اللغة في أكسفورد وكمبردج، بل أيضاً في التيارات الفلسفية المختلفة خاصة لدى فلاسفة الوجودية والهيرمينوطيقا هايدجر وجادامر وريكور، ودخل معهم هابرماس في نقاش حول العديد من القضايا. فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوماً هو اللغة.[2]

وتعد نظرية هابرماس في اللغة، المعروفة باسم الفعل التواصلي، بمثابة منطق جديد للعلوم الاجتماعية، منطق يستند إلى منجزات اللغة وفلسفة اللغة، أو بعبارة أدق، إلى المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ونموذجه اللغوي. ذلك أن هابرماس يرى أن اللغة سواء من حيث هي موضوع علم خاص أو موضوع تفكير فلسفي عام، تمكننا من إحداث قطيعة مع الأطروحات التقليدية في العلوم الاجتماعية المتعلقة بالوعي والفعل والممارسة.

لا ينكر هابرماس العوامل الاجتماعية الأخرى، التي تدخل أو تساهم أو تؤثر في النشاط الاجتماعي والإنساني، كالأفعال الأداتية التي تحدثها التقنية على سبيل المثال.

إلا أنه يرى الفعل التواصلي يتميز بطابعه المحدد للعلاقات التواصلية التي لا يمكن بأي حال من الأحوال ردها أو اختزالها إلى مجرد تبادل للمعلومات أو الأخبار أو المعطيات بواسطة اللغة.

لا يقوم الفعل التواصلي على تبادل المعلومات، ضمن سياق أو ظروف اجتماعية معينة فقط، وإنما يقوم بفعل التأويل لما يَحدث، ويستطيع بلورة القواعد والآليات التي تسمح بالعيش الاجتماعي أو قيام الحياة الاجتماعية. وبالتالي، فإن الفعل التواصلي المنتظم يساهم في بناء العالم الاجتماعي المعاش.

---

[1]. فكرة العالم المعيش ليست من ابتكار هابرماس، لكن لها جذور في الفكر الفلسفي الأوروبي فهي تمتد من هوسرل وميرلوبونتي، ولكن هابرماس يُعِيبُ عليهما لأنه لم يكن لها هدف منهجي منظم. _ ينظر: المرجع نفسه: ص143، 144.

[2]. يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، ص145.

من هنا يرى هابرماس ضرورة إقامة أو تأسيس ما سماه بتداولية عامة أو شاملة أو كونية، تحدد شروط صلاحية التبادل والتواصل، والمطلوب هو الاهتمام باللغة بوصفها فعلاً لغوياً تبادلياً لجملة من العلاقات والوضعيات الاجتماعية.[1]

إن التواصل كما صوره هابرماس ينظر إلى اللغة في بعدها البراجماتي، فهو يعني اللغة وهي منغمسة في تيار الإنتاج والإبداع لكن ما هي حقيقة هذا الإنتاج ومضمونه؟ يجيب هابرماس بصرامة واختصار إنه "التفاهم" أو "الوفاق" وهذا بما سماه "مزاعم الصدق".

وهو في المسائل التي طرحها على اتفاق مع أفكار "فيتغنشتاين" الذي يرى أن مفاهيمه عن اللغة والتفاهم مفاهيم أصلية تعبر عن حقيقة الجهد الذي بذله في هذا المجال.[2]

فأغلب فلاسفة اللغة يرون في هذا الاندماج بين اللغة والتفاهم اختزالاً للظاهرة اللغوية المعاصرة، وبالتالي يرى هابرماس أن (الفعل التواصلي لا يقوم على تبادل المعلومات ضمن سياق أو ظروف اجتماعية معينة، وإنما يقوم بفعل التأويل لما يحدث ويستطيع بلورة القواعد والآليات التي تسمح بالعيش الاجتماعي أو قيام الحياة الاجتماعية، ولذا فإن الفعل التواصلي يساهم في بناء العالم الاجتماعي المعيش).[3]

لقد توسع هابرماس في نظرية الفعل التواصلي واقترح نظرية في أخلاق المناقشة تقوم على قاعدتين أساسيتين هما: القاعدة الديمقراطية ومضمونها، والقاعدة الثانية سماها بالقاعدة الكونية، أي بين معيار المشاركة والاتفاق على ذلك المعيار وقبوله من كل الأشخاص الذين لهم علاقة به، لتحقيق ما يسمى بـ: التفاهم بين الذوات المشاركة.

من هنا طور بعض الأفكار المتعلقة بالمضامين التي ينطوي عليها الحوار أو المناقشة كما طورها مفكرين أمثال بول جرايس (1930_ 1988)، وقد كان أحد الأسباب التي دفعت هابرماس إلى هذا التحول نحو اللغة، واعتبرت فلسفة اللغة من أهم الروافد والبنى الأساسية في تكوين "نظرية الفعل

---

[1]. الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص209، 210.

[2]. يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، ص146، 147.

[3]. المرجع نفسه: ص146.

التواصلي" بقوله "أنا مدين لكل من النزاعات التداولية والتحليلية للنظرية اللغوية، فإن غاية الفهم المتبادل مغروسة في الاتصال اللغوي"، ومن خلال المقولة تتضح تلك العلاقة التزامنية بين اللغة والتواصل، فقد اهتم هابرماس بأعمال اللغويين وفلاسفة اللغة خاصة كلاً من جون أوستين. وجون سيرل في نظرية "أفعال الكلام"، وهي النظرية التي تنطلق من فلسفة اللغة الطبيعية التي طرحها فتجنشتاين في كتابه "بحوث فلسفية" وفي فكرته الأساسية عن "ألعاب اللغة" هذه الأفكار سنتطرق إليها في العناصر اللاحقة، واقترح هابرماس معايير جديدة لتصنيف أفعال الكلام.

يرى هابرماس أن الحل لذلك كله يتمثل في "التواصل في الحياة اليومية وللفلسفة دور في تحريك التفاعل بين الأبعاد المعرفية الأداتية والأخلاقية العلمية والجمالية التعبيرية، التي كادت أن تتوقف اليوم".

يؤكد هابرماس على أن النشاط العقلي المعرفي_ الأداتي_ له أهمية شديدة من حيث القدرة على استخدام اللغة والرموز والعلاقات من أجل تحقيق التواصل بين البشر لا تقل أهمية عن العمل نفسه. ولا ننسى خاصية الجدل التي تعتبر أساس الحوار بأنواعه والمقصود جدلية السؤال والجواب، ففعل اللغة لا يتم من خلال القول وإنما من خلال الحوار، حيث تحدث هابرماس عن التواصل بين الأفراد في المجتمع يؤكد على أن النشاط التواصلي ليس عشوائياً وإنما هو منتظم وهذا يتطلب عدة شروط، وذلك لأن النشاط التواصلي لا يكون مجرد فعل تتوجه به ذات منعزلة؛ ولكنه مناقشة وحوار يتم بين مختلف الذوات الفاعلة أو بين ذاتين فاعلتين على الأقل.

ومفتاح فكرة هابرماس عن التواصل إلى التفاهم، التي تنطوي وتدور حول نجاح الفاعلية التواصلية القائمة على المشاركين إلى اتفاق متبادل حول تحديد علاقاتهم بالعالم، ونجاح التفاعل هو الوصول "إلى إجماع بين مختلف المشاركين على مزاعم الصدق المدعمة بالحجج والبراهين العقلية".[1]

فالهدف من التفاهم _كما يؤكد_ هو الوصول إلى نوع من الاتفاق المشترك بين الذوات.

لقد حدد هابرماس بذلك شروط التواصل والمطالب الأساسية داخل الخلية التداولية لفهم الأقوال والتعبيرات ولسلامة وضمان اللغة، في إطار نفعي، ولتحقيق غايات الذوات يجب توفر هذه الشروط:

[1]. يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، ص148 وما بعدها.

. إن النشاط التواصلي يتم من خلال علاقة تفاعل بين فردين أو أكثر داخل سياق العالم المعاش، فمن حق كل شخص له القدرة على الكلام أن يشارك في النشاط التواصلي.

. تتم عملية التواصل من خلال اللغة يتم بواسطتها علاقة بين المشاركين في التفاعل وبين العالم الخارجي وبينهم وبين الذوات الأخرى، فاللغة هي الوسيط الأساسي في النشاط التواصلي، وعن طريق اللغة التي يتم الوصول إلى نوع من التفاهم بتوظيف الجمل والعبارات.

. التجربة التواصلية هدفها الوصول إلى اتفاق بين الذوات المشاركة في التفاعل، وهذا يتطلب التقارب في وجهات النظر.

. النشاط التواصلي لا بد له من ديمقراطية الحوار.

. توفر قوة الحجة والبراهين التي يقوم عليها التواصل، والحق في الرفض والموافقة.

. أن يتحرر لكل مشارك من أشكال الضغط وسيطرة وهيمنة كل من طرف على الآخير والقهر الخارجي.

. أن يُتاح لكل مشارك في التواصل الفرصة في الدفاع عن رأيه دون سيطرة سلطة ما.[1]

يؤكد هابرماس في كتابه "نظرية الفعل التواصلي"، على أن الفعل معتمدا على اللغة ويظهر في حال الممارسة والتحقق. واستفاد هابرماس من التراث الفلسفي الذي تطرقنا إليها منذ بداية الفكرة من فيبر، ميد، مدرسة فرانكفورت، مروراً بالتراث الألماني خاصة فتجنشتاين.

(الفهم والتواصل عند هابرماس في الحياة البشرية يتعرض لثغرات دلالية متعددة، فكثيرا ما نجد الاختلاف وعدم الفهم في المحادثات والمناقشات اليومية وهذا يرجع إلى ألعاب اللغة، فإن إمكانية التخلص من حالة عدم الفهم أو عدم الاتفاق تفترض وجود أساس للمعنى يكون متفق عليه بشكل عام "الإجماع").[2]

من خلال هذا يؤكد هابرماس على فكرة تحقيق الإجماع العقلاني أي تساوي الأفراد أو المشاركين في عملية الحوار، هذه من شروط المجتمع الحر المنظم الغير عشوائي بطريقة عقلية،

[1]. يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، ص149، 150.

[2]. المرجع نفسه: ص155.

للوصول لذروة وقمة الهرم ألا وهي: "التخاطب المثالي" هذا ما أشرنا إليه سابقاً، مما يوضح مدى اهتمام هابرماس بفلسفة اللغة والهيرمينوطيقا معاً.

نستخلص من أعمال وأفكار هابرماس عدة ملامح للبراجماتية العامة التي شكلت نوعا من المنطق الذي يضمن الشروط المعيارية وامكانيات نجاح الفعل التواصلي، يفرض حدود التوافق بغرض تحقيق تواصل وحرية في التأويل في مختلف الوضعيات.

تلك الأسس التي وضعها هابرماس تعتبر رافداً أساسياً ومن أهم الأساسيات التي لا يمكن تجاوزها، ومن بين العناصر التي طرحها والتي تعد أساس التداولية نذكر: صحة أساس الكلام والقدرة والأداء والصورة المعيارية لفعل الكلام والكليات والكلام المثالي وصحته، والكليات البراجماتية.

يتميز الفعل التواصلي عند هابرماس بكونه مفهوماً لأنه يعتمد على اللغة العادية ولأنه مبدأ أساسي، فهو يُعتبر نموذجاً للمجتمعات الديمقراطية. فالفعل التواصلي كما صاغه هابرماس يعتمد على منجزات نظرية الأفعال الكلامية، كما أرسى قواعدها أوستين وسيرل، التي سنتطرق لها لاحقا، ونبين ذلك الفرق البسيط بين نظرية هابرماس وسيرل الذي اقترح بعض التعديلات وطور نظرية الأفعال اللغوية، بعد استفادته من دروس أستاذه أوستين. بما أن هابرماس يرى في الفعل اللغوي فعلاً تأسيسياً للعلاقات الاجتماعية وبما أنه ركز في نظريته التواصلية على الجانب التداولي بين أفراد الجماعة الخاصة أو العامة وأكد على الطابع الوظيفي والاتفاقي لقواعد اللغة التي تسمح بتحقيق الفعل التواصلي وذلك بناءً على نظريته في التداولية الكلية أو العامة "البراجماطيقا".[1]

---

[1]. يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، ص156، 157.

ـ هابرماز والتأويلية: لقد كان هناك تقليد تأويليا، بين جانيت وولف وغادامير وهابرماز، حيث اشتراكا في نقطة واحدة وحاولوا البناء عليها نظرياتهم الأساسية ألا وهي: الفهم والتفاهم. لمعرفة المزيد يمكن الاطلاع على كتاب: آلن هاو: النظرية النقدية، مدرسة فرانكفورات، تر: ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص176.

ـ من المميز والمثير أن نلاحظ المصطلح التأويلي (الهيرمنيوطيقا) وتنوع دراساته وتطبيقاته وحركته الديناميكية، قال إمبرتو إيكو في وصفه ورسم معالمه "التأويل عبارة عن هرمس إذن فهو كائن مُتقلب وغامض"، بمعناه أنه لا يقتنع بفهم وتفسير واحد بل هو هرمسي أي تأويل اللانهائي واللامحدود، بينما التأويل عند التفكيكية التي حاولت تأسيس ممارسة تأويلية قائمة على تفكيك تلك النصوص التي تظهر وكأنها مرتبطة بحقيقة واضحة ونهائية ثم تقوم بالبناء وهكذا. فهي تحصر التأويل في عملية الهدم والبناء، الغياب والحضور، الموت والولادة. للمعاني واللغة بصفة عامة، في المقابل نجد التأويل التداولي الذي يمتلك درجة عالية من الثقة بالنفس بين المتحدثين أثناء القيام بالتحدث وللمعنى القائم، يُعد النص تأويلاً تداولياً مفتوحاً على السياق وعناصر المتكلم والمخاطَب والزمان والمكان الذي يدخل في باب الإشاريات=

يمكن القول إن هابرماس لم يتخلص كليا من فلسفة الوعي الذاتي، ولكن ذهب إلى فلسفة الفعل التواصلي الذي يتطلب توظيف البرهان والمحاججة اللغوية، ومناقشة وحوار يتم بين مختلف الذوات الفاعلة أو بين ذاتين فاعلتين على الأقل كما أشرنا له سابقاً.

(فالنص يعادل فعل التواصل إذا حقق تفاعلاً، وعليه؛ يكون التواصل اتصالاً ومعنى وقصدا وهدا، بما يخضعها لمعرفة العالم باللغة والتداول. وهو ما يقتضي معرفة منهجية).

بحركة إبدال رياضي منطقي:

. التواصل= الاتصال+المعنى+القصد+الهدف.

. الأخلاق= المعقولية+الحقيقة+المصداقية+ الصدق+المسؤولية.

. اللغة= التواصل+الأخلاق.

. اللغة=(الاتصال+المعنى+القصد+الهدف)+(المعقولية+الحقيقة+المصداقية+الصدق+المسؤولية).[1]

هذه الأخلاق والتواصل لدى هابرماس.

=والمقام، يتجاوز النص وهدفه من ذلك تحديد قصد المتكلم ومنح تأويل تام للأقوال بإزالة كل لبس عنها فالنظرية التداولية نظرية تأويلية بجدارة، والتأويل التداولي يستند على كفاية تعتمد على مبادئ بعضها لساني، وبعضها غير لساني لوصف العمليات الاستدلالية الضرورية التي ينجزها المتلقي بهدف الوصول إلى إدراك المعنى المقصود، وصولاً للمعنى المشترك الواحد بين الذوات الفاعلة وهذه العملية نوعاً ما صعبة التحقق.

كل هذه النظريات لها مرجعيات مختلفة ومتنوعة المجال، تعتمد على التأويل في ممارساتها لنصوص تتفق وتشترك في نقطة جوهرية ألا وهي: البحث عن الفهم الجيد بين خبايا المقصودات.

[1]. أحمد مداس: التأويل في المنظومات المعرفية المشتركة، قراءة في مفاهيم، وإجراءات المنجز اللساني والنقدي المعاصر، ص71، 72.

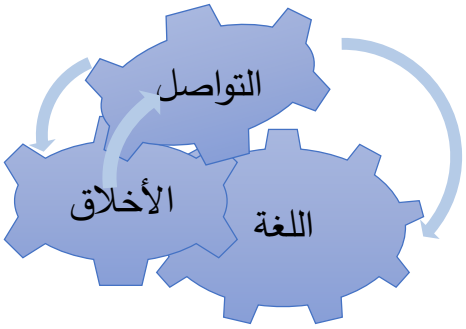

شكل رقم 08: خطاطة توضح نظرية الفعل التواصلي الثلاثي المتشابك لبناء العالم الاجتماعي المعاش

إذا كان هدف مدرسة فرانكفورت أو النقدية الجديدة التي تتميز بدفاعها عن الفرد ضد كل سلطة، وبدفاعها عن العقل ضد مظاهر اللاعقلانية التي سادت العالم الغربي في القرن العشرين، وتحديدا ما وقفنا عليه سابقاً، اسهامات وأفكار تزعمها آخر أعلام المدرسة النقدية الفيلسوف الألماني يورجين هابرماس الذي يعد من الجيل الثاني، فلم يكن مجرد امتداد للجيل الأول من أصحاب النظرية النقدية، بذلك منح التنوير دلالة إيجابية وفعالة خلصته من الجمود والسلبية المدمرة، أطلق عليه اسم: المعبر عن التنوير العقلي الواقعي في القرن العشرين، الحريص على تكوين وتشكيل رأي عام واعٍ حر ومستنير، وتجسيدا لبعض أفكاره التي تحاول معالجة تلك المشاكل المتعلقة بالفكر الفلسفي والاجتماعي التواصلي، وإرساء مبادئ وقواعد عقلانية تواصلية منتظمة لضبط العلاقة بين الذوات المتفاعلة(الأنا/ الآخر) بتذاوت لغوي، يقوم على الرصيد والتغذية المعرفية الاجتماعية والثقافية المشتركة، هنا تتعادل الأخلاق والتواصل مع اللغة، ويظهر لنا نسق جديد له قوانينه النظرية وقواعده التطبيقية ألا وهو النموذج النسقي الإكسترالي، والبرمجة العصبية مع مدرسة بالو ألتو ودورهما في بناء الهيكل التواصلي، بما أن اللسانيات عامة، والتداولية خاصة في الآونة الأخيرة تشتغل وتجنح إلى البيولوجيا والرسالة العصبية، وما لهما من اتصال مباشر بإنتاج الكلام وإدرامه، باعتبار أن المعنى حركي وعملية تعتمد على السيرورات ذهنية ودراسة العلاقات الإنسانية الاجتماعية، تحت ضغط المشاكل من جهة، واللغة العادية الطبيعية والحروب من جهة أخرى، يظل موضوع الإنتاج وأزمة الفهم والإدراك مشكلة مطروحة، فما هي الأبعاد التي ركز عليها كل من: النموذج النسقي والمدرسة؟ وكيف أثرت وبشكل إيجابي على التداولية؟

4_2 النموذج النسقي الإركسترالي، وجهود مدرسة بالو ألتو ذات الطابع النسقي العلاجي، ودورهما في تقنين التواصل:

لقد تعرضت التداولية لعدة تغيرات المعرفية والمنهجية في مقاربتها لظاهرة التواصلية، من خلال هذا برزت مدرسة بالو ألطو_ المعروفة أيضا بالمدرسة الخفية_ خلال فترة الخمسينات مع تصور منهجي ينظر إلى التواصل على أنه ظاهرة معقدة ديناميكية حيوية، ومن هذا التصور لم يعد مجرد نقل للمعلومات كما هو الحال مع النموذج التلغرافي، وإنما نشاط تفاعلي وعملية بناء تشاركية، وقد تجسد هذا التصور المنهجي من خلال نموذج نسقي/ أركسترالي للتواصل[1] الذي يهتم بـ:

_ علاقة نشأة اللغة بالدرس العصبي أو بما يسمى: البرمجة التشريحية العصبية اللسانية (علوم الأعصاب).

_ ظاهرة اللغة وبنية سيرورة المخ وكيفية استعداده لتواصل.

_ إنتاج وفهم ومعالجة اللغة في المخ.

يُجيب ديكون عن قيمة دراسة اللغة قائلا: (" إن مشكلة نشأة اللغة يمكن أن تمثل لنا عمليا مدخلا من أهم الأفكار الواعدة ونحن نبحث عن المنطق الذي يربط بين وظائف الإدراك المعرفي وتنظيم المخ").[2]

ولا ننسى دور الطبيعة وأدوات التكنولوجية الراهنة في تحديدها للمعالم الإدراكية، وللفوارق المعرفية الكامنة في بنية المخ، وبين ظاهرة اللغة وتنظيم المخ هناك شروط وقواعد تتحكم فيهما.

إن هذا التحول في فهم قيمة دراسة نشأة اللغة التي حدثنا عنها ديكون وتطرق إليهما، تعد تطورا في فهم ما تحمله اللغة في بناء ذاتها؛ فهي لم تكن إمعة تتبع تلك الأفكار التي يسبح فيها الرواة ومفسر الأحلام العبثية الغير منطقية؛ بل اعتبرت قضية علمية جادة وفق البرمجة العصبية، هذه الأخيرة اعتبرت محطة من أهم المحطات التي كانت تسعى لإبراز تفرد الإنسان بقدراته الإدراكية

[1]. جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، وسط البلد، الأردن، ط1، 2016، ص56، 57.

[2]. تيرنس دبليو وديكون: الإنسان.. اللغة.. الرمز، التطور المشترك للغة والمخ، تر: شوقي جلال، إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص33.

المعرفية التداولية، هذا من خلال الاختلافات في القدرة المعرفية وفي هياكل المخ على نحو ما نراها في الأنواع الحية، وعملية الربط بين وظائف الإدراك والنظام المعرفي (حواس/ مدارك) ومعالجة المعلومة في المخ.

(وأما لفظ البرمجة تعني وضع طرائق وقواعد تفكير وسلوكات معاصرة في وضعيات تواصل فيها قصد الإفهام عند الإنتاج، والإدراك عند الفهم والتفاعل)[1]، هذا هو موضوع الدراسة التداولية.

ملاحظة:

أدرجنا البرمجة العصبية داخل النموذج النسقي الإركستراتي ومدرسة بالتو ألطو؛ لأن كلا منهما مترابط بالثاني، ويعملان على بناء اللغة وتطورها في قالب رمزي، عصبي، عرفاني، سيكولوجي، أيضا سبب الإدراج أن هناك رواد ممارسين مؤسسين يشتركان في البرمجة والمدرسة معاً أمثال: فاتسلافيك الذي ركز على التواصل والعلاج النفسي والعلاقات العائلية والتشويش الذهني، وبيتسون الذي قام بالمقارنة بين التواصل الإنسان والحيواني مع معرفة الظواهر والسلوكات البشرية.

(يعتمد النموذج الأركستراتي على مقاربة نسقية لدراسة العلاقات الإنسانية، والتفاعلات البشرية ضمن سياقات ثقافية مخصوصة، في محاولة لبناء نظرية عامة للتواصل، تتجاوز النموذج الخطي الرياضي الذي اقترحه شانون وويفر، وتقدم في الآن نفسه إجابات عن الأمراض العائلية النفسية كمرض انفصام الشخصية، وقد عضد أعلام مدرسة بالو ألطو هذه المقاربة النسقية بمفاهيم مستوحاة من مجال السيبرنطيقا، كمفهوم الإرجاع والتغذية الراجعة)[2]. يعتمد هذا النموذج وغيره من المدارس التي ساهمت في بروز وإعادة أرشيف التداولية للعيان، على الدراسة النسقية والعلاقة التي تجمع بين

---

[1]. أحمد مداس: التأويل في المنظومات المعرفية المشتركة، قراءة في مفاهيم، وإجراءات المنجز اللساني والنقدي المعاصر، ص74.

[2]. جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، ص57.

ـ الوعي السيكولوجي ظهر مع الطبيب النمساوي الذي اختص بدراسة الطب العصبي سيغموند فرويد، فهذا الوعي يعمل على الوقاية والتشخيص والعلاج وكل ما يقابل ويواجه الإنسان المعاصر من الأزمات، والصراعات خاصة التي تدور بين الهو والأنا الأعلى، ويقوم بمساعدة أمراض النفس للخروج من عقدة النفسية التي لازمتهم طويلا، فهو مفتاح الصحة العقلية والنفسية والتوازن الطبيعي، يقتضي أن نحسن معاملة مرضانا، ونسعى لوقايتهم قبل أن يقعوا فريسة في مستنقع المرض العقلي أو الإدمان_ ينظر: عبد الرحمن العِيسَوي: الوعي السّيكولوجي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د ط، 2008، ص12، 13. أما بالنسبة لـ: فسيولوجيا الإنسان تتضمن دراسة الهيكل التشريحي للإنسان، الذي يهمنا هو علاقة اللغة بهذا العلم التشريحي. تؤدي اللغة دوراً مهماً في التفاهم والإدراك لتضمن وتحقق جودة التواصل.

الأفراد البشرية، هذه الأخيرة تسبح في الفضاء التواصلي، تسعى إلى كشف الأمراض السيكولوجية في المقابل تحاول تغطية هذا النقص في ظل سيبرنطيقي (العولمة).

لقد طورت مدرسة بالو ألطو بذاتها أكثر من النظرية العامة للتفاعل، تحاول بهذا الحفاظ على هويتها وتوازنها، بوصفها تهتم بدراسة الظواهر في كليتها وعموميتها؛ حيث اشتهرت بمبدأ الاتزان، مواكبة مع أعمال فاتسلافيك (واقع الواقع 1984م) نظرية تكوينية للروابط بين اللغة والواقع.

يرى خبراء بالو ألطو[1] أنه لا يوجد فرد مريض نفسيا؛ بل ثمة هناك أنساق من التفاعلات تسبب وتنجر عنها تأويلات مؤلمة للواقع، وعليه فإن دور العلاجات النسقية يتمثل في جعل المرضى يعدلون رؤيتهم للأشياء.

اهتمت مدرسة بالو ألطو على الجوانب النفسية والاجتماعية المصاحبة لعملية التواصل من جهة، مثلت أكبر دعامة وسند لطرح التداولي في مقاربته لقضايا الاستعمال اللغوي من جهة أخرى. (وهو ما يتجلى في تنصيصها على مفهوم الإرجاع الذي يؤكد أن كل فرد يشارك في سيرورة التواصل بصرف النظر عن كونه باثاً أو متلقيا، وتسليمها أيضا بأن التواصل ظاهرة معقدة وحيوية تتداخل فيها عوامل كثيرة، ليست بالضرورة لسانية)،[2] والدليل على هذا تلك الأعمال التي قام بها كلا من: غرايس وسبربر وولسن، حينما توسعوا في دراسة الاستدلال باعتباره نشاطا ذهنيا ملازما للنشاطات اللغوية التخاطبية دون أن يكون ذا طابع لغوي.[3]

ومن أهم مسلمة لهذه المدرسة أنه من المستحيل عدم التواصل، حتى عدم السكون والصمت لهما دلالات، وكل سلوك بشري يعتبر تواصل يحتاج لتفسير.

---

[1]. مدرسة بالو ألطو نسبة لمدينة بالو ألطو بولاية كاليفورنيا الأمريكية، ضمت الكثير من الباحثين من مختلف التخصصات كالأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع... من بينهم كريكوي باتسون وبول واتزلويك والرياضياتي نوربرت فينز وجون فان نيومان وبيرتراند راسل والطبيب النفسي ميلتون إريكسون، وجلُ اهتمام هذه المدرسة ينصب حول التعمق في دراسة التواصل، من خلال النموذج الإركسترالي بعيدا عن النموذج التلغرافي (نموذج خطي للاتصال) الذي بلوره شانون وويفر.

[2]. جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، ص58.

[3]. المرجع نفسه: ص58.

كل رسالة تتضمن في جوفها حاملة في طياتها بعداً ضمنياً، غايتها فهم أثار سلوك ما في التفاعل، أهم من البحث عن الغاية من وراء ذلك السلوك. وبهذا المعنى تحديداً تلتقي وتحظى نظرية التواصل باهتمامات التداولية.[1]

تظل الدراسة الاحاثية التقريبية من أصعب الدراسات، استفادت وقامت التداولية فيها على ثلاث قواعد أو مدارس، والذي يمكن قوله تلك المشارب النقدية المعرفية والأفكار الفلسفية التي كانت تدور حول قضايا مهمة من بينها: العلم والمنطق والعقلانية من عدة منظورات وتخصصات في آن واحد. وهذه القضايا تسعى لبناء أفق وهيكل قائم بذاته للغة، وعمل هؤلاء المفكرون الذين نشروا ثمرة أفكارهم في دورية البحث الاجتماعي الإنساني، في سياق مشترك تقريباً؛ أي اشتركوا في الطروحات والفرضيات نفسها، وبفعل تلك التراكمات الفكرية والفلسفية الاجتماعية مما أثر على نمو التداولية نظرياً وتطبيقيا، تأثر الفلاسفة وجُلُ النقاد بالفلسفة الجدلية لهيجل وكارل ماركس أشد التأثر، والمدارس التي تطرقنا إليها تشترك أغلبها في مجموعة؛ إذ يصعب علينا التفريق ومن بين النقاط وأهمها: تنطلق من العقل التواصلي أو الفعل التواصلي من أجل البحث عن وحدة تكوينية اجتماعية ثقافية، من خلال الذوات الفاعلية لتحقيق الجودة النصية، ولنجاح التخاطب المثالي والوضعية المثالية لكل من الفرادة والجماعة، لقيام الأخير باحتواء الأول ضرورة، يجب توفر المعرفة والحقيقة العقلانية الكامنة في الجملة العصبية المعاصرة في أماكن ووضعيات التواصل فيها قصد الإفهام عند الإنتاج، والإدراك عند

---

[1]. ينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007، ص109 وما بعدها.

_ هناك قواعد أساسية سبعة تتحكم في سيرورة البرمجة العصبية اللغوية: 1.الخريطة ليست الإقليم: لكل واحد منا رؤيته إلى العالم وكيفية تمثيله (رؤية خاصة، ذاتية، فردية والإقليم تفق عليها)، تليها 2.الإغفال: يدخل في باب الجمل المنطوقة السليمة، ثم 3.التعميم: ليس هناك صحيح من الملفوظات لكل الحالات، فكلّما امتنع الفهم يتطلب توضيحا، بعدها مصطلح 4.التشويه: يكون لعذر ما للاستثناء الفهم وتعيين الحقيقة، إضافة إلى 5.الترسيخ: الكامن في الذهن، بعدها 6.وضعيات الإدراك: وهي أربع: الذات، الآخر، والملاحظ هو_هم، والـ "نحن" الذي يؤسس للمعرفة وروح الجماعة، 7.المستويات المنطقية، والتغذية الراجعة كحال الافتراضات السابقة عند التداوليين مع تحديد الهدف_ للمزيد يمكن الاطلاع على كتاب: أحمد مداس: التأويل في المنظومات المعرفية المشتركة، قراءة في مفاهيم، وإجراءات المنجز اللساني والنقدي المعاصر، ص76 وما بعدها.

الفهم والتفاعل، الذي يؤسس للمعرفة روحاً متميزة، وفي الآن نفسه يُكسب اللغة قيمة شعبية ومدى طويلاً.

هذا التأسيس لا يأتي من العبث والعشوائية ومن فراغ؛ بل هناك قواعد ومباحث تتحكم في الدراسة التداولية عامة، وفي اللغة خاصة، فما هي المباحث الأساسية التي ظهرت برمتها تهتم بالإنتاج وعلاقته بالإدراك قائمة بذاتها؟

05. مباحث ومستويات وموضوعات التداولية

استحضرنا في العنصر السابق بعض روافد التداولية_ باعتبارها اتجاهاً يسعى لمقاربة قضايا الاستعمال اللغوي كالاستلزام الحواري والأفعال الكلامية... من منظور جديد ورؤية تعتمد لعبتها على العلوم المعرفية، تأخذ بعين الاعتبار بعدها الفلسفي اللساني.

من أهم العوامل التي تساهم في نجاح وضمان هيئة النص في التواصل اللغوي، وغير اللغوي، وتحافظ على استمراره لمدى بعيد في استراتيجية تتسم بالتداول والقبول والتواصل اليومي بوجه عام، يتوقف عليها التأويل في الفكر التداولي على أفعال الكلام القائمة على مراتب متعددة من إنجاز الفعل، ونعني مستوى النطق (الفونطيقي) والمستوى الفونولوجي (وظيفة الصوت) والصرفي، ومستوى التركيب النحوي وعلاقتها بالسياق التواصلي في صورته الخطابية التي سيتم الحديث عنها، ويأتي الحجاج الأرسطي القائم على خاصية الإقناع والتأثير والسلالم الحجاجية في صورها اللغوية والمنطقية والبلاغية، بعدها يأتي تشكل القصدية النصية التي تعادل قصدية المبدع بوعيه مع المعطيات اللغوية التي تحققها من بنية النص اللغوية وصولاً إلى المحمولات والمضامين التي تتحدد معنى وقصداً وغاية وهدفاً على مستويات مختلفة.[1]

ففي هذا العنصر سنتطرق على ما هو مهم، متجاوزين المفاهيم اللغوية التي ليست مهمة بقدر ماهي مهمة مباحث ومدارات التداولية.

[1]. أحمد عمار مداس: قراءات في النص ومناهج التأويل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، ط1، 2018، ص66.

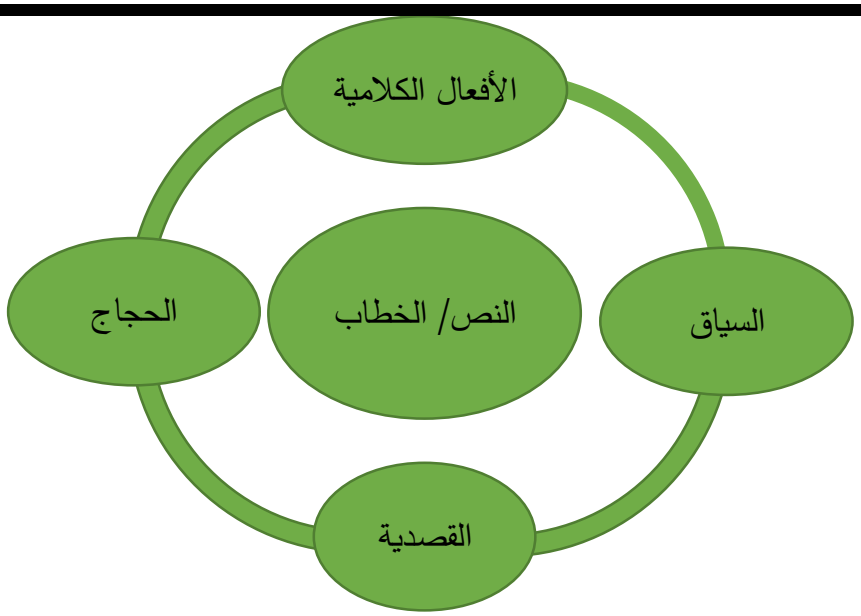

شكل رقم 09: خطاطة توضح المباحث الأربعة التي تقوم عليها الدراسات التداولية

[1]

1.5 ماهية الفعل الكلامي

(تبقى أفعال الكلام، هي والافتراض المُسبق والتلويح بخاصة، واحدة من الظواهر المركزية التي لا بُدَّ لأي نظرية فعلياتية عامة من أن تُفسرها أو تُعللها).[2]

أولاً: الصيغة الأوستينية لنظرية الأعمال اللغوية: أطروحة الفعل اللغوي عند أوستين

الأفعال الكلامية من أهم الأعمدة التي ساهمت في دفع التداولية للعيان والظهور، انبثقت من فلسفة اللغة الطبيعية بزعامة فيتجنشتاين، وتبناها أوستين، اعتبرت الأفعال الكلامية من المفاهيم الأساسية التي تنبني عليها التداولية، والنواة المركزية والعمود الفقري في كثير من الأعمال التداولية.

جون أوستين فيلسوف اللغة (1911_1960م)، مؤسس تداولية أفعال الكلام عام 1962م، الذي عرض لنا الأفعال الكلامية في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ومضمون كتابه يدور حول فكرة جوهرية ألا وهي: الأقوال تتحول إلى أفعال ومن هذه الفكرة جاءت الأفعال الكلامية التي تقر بأن

---

[1]. أحمد مداس: التأويل في المنظومات المعرفية المشتركة، قراءة في مفاهيم، وإجراءات المنجز اللساني والنقدي المعاصر، ص68.

[2]. دان سبيربر ديدري ولسون: نظريّة الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2016، ص414.

أقوالنا ما هي إلا أفعال كلامية، بالتالي نظر إلى اللغة على أنها: نشاط وعمل ينجز، وسيلتها التأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية، بالتالي فإن المتكلم يقوم بنشاط مدعم بِنية وقصد.[1]

نفهم من هذا أن اللغة يمكن أن تستعمل لإنجاز الأفعال الكلامية، والتأثير في سلوكات الآخرين، وتشكيل علاقات اجتماعية جديدة، وإيجاد أوضاع وحالات جديدة مختلفة.

(فنحن في الكلام ننجز الأشياء، أي نخرجها من حيز العدم إلى الوجود حسب أوضاع ومواقف).[2]

بالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان ج. ل. أوستين وتلميذه ج. سيرل حول المفهوم اللساني_ التداولي الجديد، فإن ("الفعل الكلامي" يعني: التصرّف (أو العمل) الاجتماعي المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم فـ "الفعل الكلامي" يُراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها "أفعال كلامية").[3]

لقد أولى الدّارسون الغربيون عناية فائقة بدراسة الأفعال الكلامية من منطلق الجملة، فجاءت الأفعال الكلامية عند أوستين لتُجسد موقفاً مضاداً للاتجاه السّائد بين فلاسفة المنطق الوضعي الذين دأبوا على تحليل معاني مجردة من سياق خطابها اللغوي المؤسساتي.[4] أطلق عليه أوستين اسم: المغالطة الوصفية.

---

[1]. عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص اللسانيات واللغة العربية، بلقاسم دفة، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة1 (الحاج لخضر)، 2020، ص 220، 221.

[2]. أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2006، ص7

[3]. مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص10.

[4]. عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، ص221.

والأفعال الكلامية عند أوستين مرت بمرحلتين:

. المرحلة الأولى: مرحلة التمييز والتمحيص بين الجمل الوصفية والإنجازية:

ميزّ أوستين في هذه المرحلة بين الجمل الوصفية أو المنطوق التقريري (الأساليب الخبرية)، والإنجازية التي تقابل المنطوق الأداتي (الأساليب الإنشائية)؛ فالجمل أو الأقوال الوصفية هي الجمل التي تقوم بوصف حالة أو شخص أو شيء، وبصيغة أخرى هي الجمل التي تعبر عن حالة الأشياء أو تصف شيئاً ما، ويمكن إخضاعها لمعيار الصّدق والكذب؛ ويمكن أن تكون صادقة أو كاذبة. والجمل أو الأقوال الإنجازية هي عكس الأقوال الوصفية، وتختلف عنها في أمرين، هما:

_ هذه الجمل لا يمكن إخضاعها لمعيار الصّدق والكذب.

_ خصّيصة هذه الجمل أثناء التلفظ بها تنجز لنا قولاً وفعلاً في الآن نفسه.[1]

وبذلك ينتهي أوستين في هذه المرحلة من تفكيره إلى إثبات ثنائية جمل الوصف وجميع الإنجاز؛ حيث تصف الأولى حدثاً أو حالة معينة دون فعل؛ أي تتجاوز القول إلى الفعل، في حين تنجز الثانية قولاً وفعلاً في الوقت ذاته.[2] ولضبط معيار نجاح أو فشل الجمل الإنجازية، صاغ أوستين جملة من المبادئ والمعايير، يمكن تصنيفها صنفين:

_ معايير مقامية: تشمل مجموعة وجملة من الشروط المقامية التي يتعين الاستجابة لها لنجاح الفعل اللغوي، وتقع هذه الشروط في ثلاث فئات، هي: "أ، ب، ج"؛ حيث تؤدي مخالفة الفئتين "أ، ب" إلى إخفاق الفعل اللغوي المراد إنجازه، أما مخالفة الفئة "ج" فيؤدي إلى إنجاز الفعل، ونطرح هذه الفئات الثلاثة بالتفصيل:

أ.1. يجب أن يكون هناك اتفاق وإجراء عرفي مؤسساتي مقبول لدي المشاركين في عملية التبليغ، لتحقيق فعل ما عند التلفظ بجملة معينة.

أ.2. يجب تطبيق هذا الاتفاق في ظروف ملائمة، وبواسطة أشخاص مناسبين.

---

[1]. عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، ص225.

[2]. حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014، ص91.

ب.1. يجب أن يقوم جميع المشاركين في عملية التبليغ، بأداء أدوارهم بشكل صحيح وملائم.

ب.2. يجب أن يظل الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل.

ج. يتطلب تحقق بعض الأفعال الكلامية افتراض وجود أفكار ونوايا ومشاعر "مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي".[1]

_ معايير مقالية: وتتعلق بجملة من الخصائص البنيوية الشكلية، منها:

أ_ يجب أن ينتمي فعل الجملة الإنجازية معجميا إلى فئة الأفعال الإنجازية (وعد، أوعد، حذر، سأل، أمر...).

ب_ يجب أن يكون فاعل هذا الفعل المتكلم.

ج_ يجب أن يكون فعل الجملة مبنيا للفاعل.

د_ يجب أن يكون زمن الفعل زمن المتكلم؛ أي أن يكون متصرفاً في الحاضر.[2]

وضع أوستين هذه الشروط والمعايير لضمان نجاح وحماية الفعل الكلامي من الوقع في متاهات ومَطبَّات الفشل.

توصل أوستين في هذه المرحلة، بعد التمييز والتمحيص والتدقيق بين الوصف والإنجاز، تبين له أن التقابل الذي وضعه بين الثنائيتين (صدق/كذب) و (نجاح/فشل) لا يُجدي نفعاً في التمييز بين الجملة الوصفية والجملة الإنجازية، ولا يوجد فرق بينهما، نلاحظ أن معيار (الصّدق والكذب) مرتبط بمعيار (الفشل والنّجاح)، وأدرجها (جميع الجمل اللغوية) داخل دائرة واحدة ألا وهي: الأفعال الكلامية.[3]

لقد ظن أوستين في البداية أن هذا التقسيم بسيط؛ لكنه اكتشف أن بعض الجمل الإنشائية غير مستندة لضمير المتكلم في زمن الحال، ولا تتضمن فعلاً إنشائياً.

---

[1]. حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات، علم استعمال اللغة، ص92، 93.

[2]. المرجع نفسه: ص93.

[3]. عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، ص231.

مثل: (رفعت الجلسة)، وقد فادته هذه الملاحظة إلى الوصول بنتيجة مفادها: أن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل.

. من هنا نقوم بتقديم المرحلة الثانية للأطروحة الفكرية الأوستينية؛ حيث تمثلت في تقسيم الأفعال الكلامية أو اللغوية إلى ثلاثة أعمال وأفعال وهي: العمل القولي والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير في القول.

1_ الفعل اللفظي أو فعل القول أو الفعل اللغوي: يراد به التلفظ بجمل مفيدة ذات بناء سليم، ذات دلالة، يحتوي على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعروفة: المستوي الصوتي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي، لكن أوستين أُطِلق عليها اسم أفعال بدل مستويات ويصنفها كالآتي:

_ الفعل الصوتي: وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة بعينها.

_ الفعل التركيبي: ويتكون مفردات طبقاً لقواعد لغة معينة.

_ الفعل الدلالي: وهو توظيف هذه الأفعال حسب معاني وإحالات محددة.

2_ الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنه عمل ينجز بقول ما. وهو الذي يدل على عمل، أي ينجم عنه الحديث، والذي يمارس قوة على المتخاطبين.

3_ الفعل الناتج عن القول: وهو الفعل التأثيري؛ حيث يقول أوستين عن هذا الفعل لكي ننجز فعل الكلام، ومن ثم الفعل الغرضي (قوة فعل الكلام)، لابد أن ننجز نوعاً آخر من الأفعال. فحين نقول شيئاً ما قد يترتب عليه أحياناً أو في العادة حدوث بعض الآثار على مشاعر المخاطَب أو أفكاره وتصرفاته، وقد نتعمد إلى إحداث هذه الآثار أو النتائج عن قصد أو نية أو هدف ما.[1]

ونُلخص الفعل الكلامي في شبه معادلة:

الفعل الكلامي الكامل= فعل القول+ الفعل المتضمن في القول+ الفعل الناتج عن القول.

[1]. مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص41 وما بعدها.

نلاحظ أن الفعل الكلامي عند أوستين يقوم على مفهوم مهم جداً هو: القصدية. إذ يَشترطُ أوستين عامل القصد، وبالتالي يتميز بثلاثة خصائص هي:

1_ إنه فعل دال 2_ إنه فعل إنجازي 3_ إنه فعل تأثيري. [1]

بعد أوستين جاء تلميذه عالم اللغة ج. سيرل ليواصل مسيرة أستاذه، واضعاً أنواع للفعل الكلامي، ورغم ذلك ما بسطه أوستين بخصوص الأفعال الكلامية وما تفرع عنها من معايير وطبيعة لغوية، فتح نقاشاً واسعاً للأرضية النظرية والفكرية التي تولد عنها باحثون من فلاسفة ومناطقة أمثال: جون سيرل، وبول غرايس وغيرهم، ومن خلال المُنجز التصنيفي[2] والنموذج الديناميكي الأوستينية انبثقت عنه جملة من الأعمدة المرتبطة بالدّرس التداولي بجميع جوانبه ومختلف مساراته الرئيسية وحتى الفرعية.

ثانياً: تصور جون سيرل في تحليل الفعل الكلامي

بعد استفادته من دروس أستاذه أوستين اقترح سورل بعض التعديلات والإضافات عليها، والتي شملت شروط إنجاز الفعل الكلامي، وطورّ نظرية الأفعال اللغوية.

يعتمد سورل على مبدأ فلاسفة اللغة العادية الذي نجده في العبارة المركزة التالية: "القول هو العمل". فالقول في نظره شكل من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه قواعد.[3]

---

[1]. مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص44.

[2]. صنّف أوستين الأفعال الكلامية في مرحلة متأخرة من بحثه إلى خمسة أقسام كبرى، وهي:

1_ الأفعال التنفيذية: وتشمل أفعالا تُفصح عن قدرة المتكلم على اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر. مثل: وافق، نصح، حذر...2_ الأفعال التّعهدية: تشمل أفعالا يتعهد فيها المتكلم بفعل ما، مثل: تعهد، فتح، سمح، غلق...3_ الأفعال الحُكمية: وتتمثل في الحكم، وتشمل أفعالا تعكس قدرة المتكلم على إصدار الأحكام ، كأن يكون قاضياً أو حاكماً مثلا: اعترض، أعلن، أدان، صرّح...4_ الأفعال السّلوكية: وهي أفعال تتفاعل مع أفعال الغير، وتشمل أفعالا دالة على سلوك اجتماعي وتصرّفات، مثل: هنّأ، رحّب، اعتذر، شكر...5_ الأفعال العرضية: وهي أفعال يعرض فيها المتكلم وجهة نظر ويقدّم حجّة، مثل: نصّ، افترض، شهد، أثبت، دحض...فهذا التقسيم الذي اتبعه أوستين هو: أخذ ألفاظ الأفعال ذات الصّيغة المخصوصة التي تشمل عليها الإنشائيات، والرجوع إلى الفهم اللّغوي الخالص._ عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، ص236، 237.

[3]. الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، (لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها)، تر: محمد يحياين، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص25.

كما ألحّ على انقسام الفعل اللغوي والطابع الخاص الذي تنطوي عليه بعض الأفعال المسماة بـ "غير المباشرة". وتحققت على يده المرحلة الأساسية الثانية للنظرية؛ وهي نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية، قائمة على أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية، وأن هذه القواعد يمكن أن تحدد على أسس منهجية واضحة ومتصلة باللغة.

وهذا ما أدّى إلى ظهور أفعال كلامية منتظمة تقوم على مبدأ القصدية، فالكلام في منظور سيرل محكوم بقواعد مقصدية المتصلة باللغة، وذلك لوثاقة الصّلة بين المرسل

والمتلقي من جهة والكلام والإنجاز من جهة أخرى.

ومن الممكن أن نحدد أهم ما قام به سيرل فيما يأتي:

قام بتعديل التقسيم الذي قدمه أوستين للأفعال الكلامية فجعله أربعة أقسام، أبقى منها القسمين الإنجازي والتأثيري، لكنه جعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين:

أحدهما: الفعل النطقي: وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجية.[1]

والثاني: الفعل القضوي: وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر ونصَّ على أن الفعل القضوي لا يقع وحده، بل يستخدم دائماً مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركب؛ لأننا لا نستطيع أن ننطق بفعل قضوي دون أن يكون لنا مقصد من نطقه، كما نص على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي،

ولإيضاح ذلك نذكر الجمل الآتية:

~ يقرأ عمر الكتاب ~ أيقرأ عمر الكتاب؟

~ يا عمر، اقرأ الكتاب. ~ لو يقرأ عمر الكتاب!

عند النطق بهذه الجمل ينجز المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال في وقت واحد:

1_ الفعل النطقي: ويتمثل في نطقنا الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح.

[1]. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، مصر، دط،2002، ص70، 71.

2_ الفعل القضوي: ويتمثل في مرجع وهو محور الحديث فيها جميعاً، هو عمر في الجمل الأربع، والمرجع والخبر يمثلان معاً قضية هي: قراءة عمر الكتاب، والقضية هي المحتوى المشترك بينها جميعاً.

3_ الفعل الإنجازي: هو: الإخبار في الأولى، والاستفهام في الثانية، والأمر في الثالثة، والتمني في الرابعة.[1]

(وينبغي أن نشير إلى أن الفعل التأثيري ليس له أهمية كبيرة عند سيرل، لأنه ليس من الضروري عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما).[2]

قبل أن ننهي من هذه النقطة نرى بأنه من الضروري والمفيد تقديم جدول مركز لتصنيف أفعال الكلام عند سورل وهابرماس:

جدول رقم 01: تصنيف أفعال الكلام عند هابرماس وسورل

هابرماس	سورل
التبليغية: قال، تكلم، رد، سجل، اعترف	**الممثلة: توقع، ترقب، لاحظ، وصف.**
التقريرية: أكد، أنكر، شك، أعلم، شرح	**الموجّهة: أمر، نصح، التمس، ذكر**
الممثلة: على، فكر، أمل، اخفى، حجب، سكت	**أفعال الوعد: وعد، حذر، راهن، ضمن، أبرم**
الضابطة: أمر، رجا، رفض، عفا، نصح	**التعبيرية: تنكر، هدأ، اعتذر، رحب**
المقولات التداولية: سلم، شكر، هنأ، تزوج، خطب	**الخبرية: عين، استسلم، أعلن الحرب، طرد**

[3]

[1]. ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص72.

[2]. المرجع نفسه: ص73.

[3]. الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص27.

تطرق سيرل إلى نقطة مهمة وهي: القصد التواصلي في أفعال الكلام، كما يلي:

1_ قصد التلفظ: أي أن المتكلم قَصَد عملية التلفظ، أو قَصَد النطق بجملة ما. يقول سيرل موضحاً: "افترضوا أنني كثيراً ما أردد هذا القول تحت رشاش الماء في الحمام، أو حين أتجول في الأيام الممطرة. في مثل هذه الحالة، لا أفعل شيئاً سوى ممارسة التعلم على التلفظ بالألمانية، وأنا لا أعني في الحقيقة أنها تمطر".

2_ قصد المعنى: أي إن المتكلم لا يقصد فقط عملية التلفظ، بنطق ملفوظ ما، بل يجب أن يعني ما يقول، أي أن يحمل الملفوظ معنىً، ويكون الملفوظ صادقاً أو زائفاً، بالاستناد إلى ما كان العالم يتطابق مع ما يمثله المتكلم قصدياً حين يصدر الملفوظ.

3_ قصد التواصل: إذا كان المتكلم يقصد بمتلق ما، فيجب أن يكون لديه طرف ثالث لقصده في أداء الفعل الكلامي، وهو القصد المتمثل في أن المتلقي يجب أن يفهم مما يقوله (إنها تمطر)، فهذه الجملة تمتلك شروط نجاح تتمثل في الصدق والمطابقة التي فرضها المتكلم قصدياً عليها.[1]

والذي يمكن قوله في هذه الأسس أن سيرل بذل جهداً كبيراً في المجال التداولي عامة، وفي دراسته وتصنيفه للأفعال الكلامية والقصدية (صلب الموضوع) خاصة، محاولاً بذلك إعادة بناء تجديدي من أجل إنتاج الفعل الإنجازي، وفق معايير التي تم ذكرها وهي مبنية على التعاون الحواري والأفعال الكلامية، اعتماداً على الخلفية المرجعية الاجتماعية (العُرفية) المشتركة بين المتحاورين.

2.5 نظرية بول غرايس في التلويح الحواري وقواعد المحاورة

قبل التعرف على هذه النظرية التي جاءت لتسد ثغرة في مجال الدلالة والفعليات، نطرح سؤالين مهمين، قد قمنا بطرحهما في بادئ الأمر يتطلبان حل وإجابة منطقية، وهذا ما سوف نلمحه في العناصر اللاحقة وكذا الفصول، ففي كل مرة نقوم بفك شفرات باعتبار أن لغة الإنسان البشري عامة من أصعب اللغات ترجمة لامتلاكها خاصية الديناميكية والتجديد الذي لا يرضى ولا يقتنع بالثبات والجمود والتعقيد في الوقت نفسه، بحكم عقليته ونفسيته ومحاوراته المتنوعة إذن:

[1]. هشام صويلح: القصدية مبحث فلسفي تداولي: من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام "جون سيرل نموذجا"، مجلة تاريخ العلوم، جامعة سكيكدة، الجزائر، ع الثامن ج2، جوان، 2017، ص206، 207.

كيف يفهم المتلقي قصد المتكلم؟

كيف يتسنى لنا أن نعني أكثر مما نقول فعلاً أو (لماذا يكون التلميح أبلغ من التصريح)؟

نظرية التلويح أو بما تسمى بـ: الاستلزام الحواري أو الاستلزام التخاطبي:

وضع قواعدها الفيلسوف البريطاني بول غراس (1913_ 1988) ويعتبر أول من تحدث عن هذه الظاهرة والنظرية، الذي كشف عن مفاهيمها الأساسية في سلسلة محاضرات شهيرة بعنوان (محاضرات وليم جيمس) ألقاها غرايس في جامعة هارفرد عام 1967. باعتبار أن الاستلزام الحواري من أبرز الظواهر التي تتمتع بها اللغة، نشر غرايس بعدها سلسلة مقالات بعنوان المنطق والمحاورة عام 1975. غير أن ما نشره لم يكن مكتمل التفاصيل؛ إذ ترك فجوات تتطلب المعالجة والحل وغرف مفتوحة تحتاج لتصليح، مما جعل نظريته شأنها شأن الأفعال الكلامية لأستاذه أوستين، إحدى أهم النظريات في حقل الفعليات.أسس غرايس لنظرية تتناول الاستدلالات التي يتبعها المتلقي ليتوصل إلى الاستيعاب الكامل لمقاصد المتكلم من النطق بالقول، متجاوزاً الكلام المنطوق أو (الماقيل) (المعنى الحرفي الوضعي) إلى المعنى الملوح به أي التلويح أو التعريض.[1]

3.5 متضمنات القول

مفهوم تداولي إجرائي، ومن المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها المنهج التداولي؛ إذ يؤلف حلقات البحث التداولي الأخرى، يتعلق بعدد من الجوانب الضمنية والخفية داخل الخطاب حسب السياق، وهذه الجوانب الضمنية والخفية تحكمها ظروف الخطاب مثل: السياق وغيره.

[1]. ينظر: هشام إ. عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحواري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص15، 16، 17.

_ التلميح: ألفاظ غير موجهة بشكل مباشر إلى شخص آخر، أما التصريح: ألفاظ موجهة بشكل مباشر إلى شخص آخر. _ جورج يول: التداولية، ص 193.

تحتوي هذه المعاني الضمنية الخفية محورين مهمين في الاستراتيجية التداولية وهي:

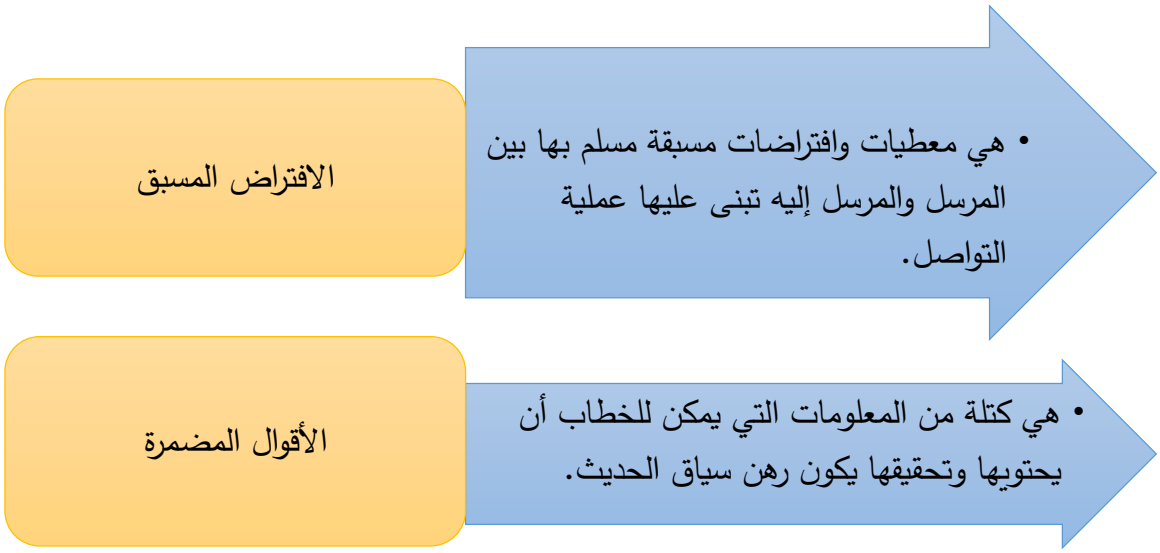

شكل رقم 10: المعاني الضمنية الخفية في الاستراتيجية التداولية [1]

4.5 الإشاريات

تُعتبر درس من دروس التداولية ومحاورها أو هي إحدى عناصر التحليل التداولي وهي: عبارة عن علامات مُحيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي متلفظاً يتوجه بخطابه إلى مخاطَب، ضمن إطار زماني ومكاني محدد.

يتوقف تحديد مرجع الإشاريات على المتكلم؛ فمنه تبدأ العملية التواصلية اللغوية_ بوصفه متكلماً إلى مخاطَب يتوجه إليه الكلام_ مروراً بسائر الإشاريات التي يدرجها في ملفوظاته، ويتم تحديدها زماناً ومكاناً بزمان تكلمه ومكانه.

يوضح سيرل كيفية ارتباط الإشاريات أو كما يسميها _التعبيرات المرجعية_ بالقصد، منطلقاً من بحث الحالات العقلية القصدية، وبالتحديد الخبرة الإدراكية التي تشمل على سمة الارتداد الذاتي.

[1]. ينظر: زينب عادل محمود الشمري: قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، ع32، نيسان، 2017، ص430 وما بعدها.

إن استعمال الإشاريات يستند إلى عاملين هما: قصدية المتكلم والخبرة المشتركة التي تمكن المخاطَب من التحقق مما يشير إليه المتكلم بواقع اشتراكهما في خبرة إدراكية وسياق واحد تدور فيه العملية التواصلية اللغوية.[1]

في سياق متصل أوضح جاكبسون ذلك الطابع الكوني للإشاريات، تلعب دوراً حيوياً في تحقيق فاعلية التواصل، وحضورها في اللغات كلها.[2]

أصناف الإشاريات:

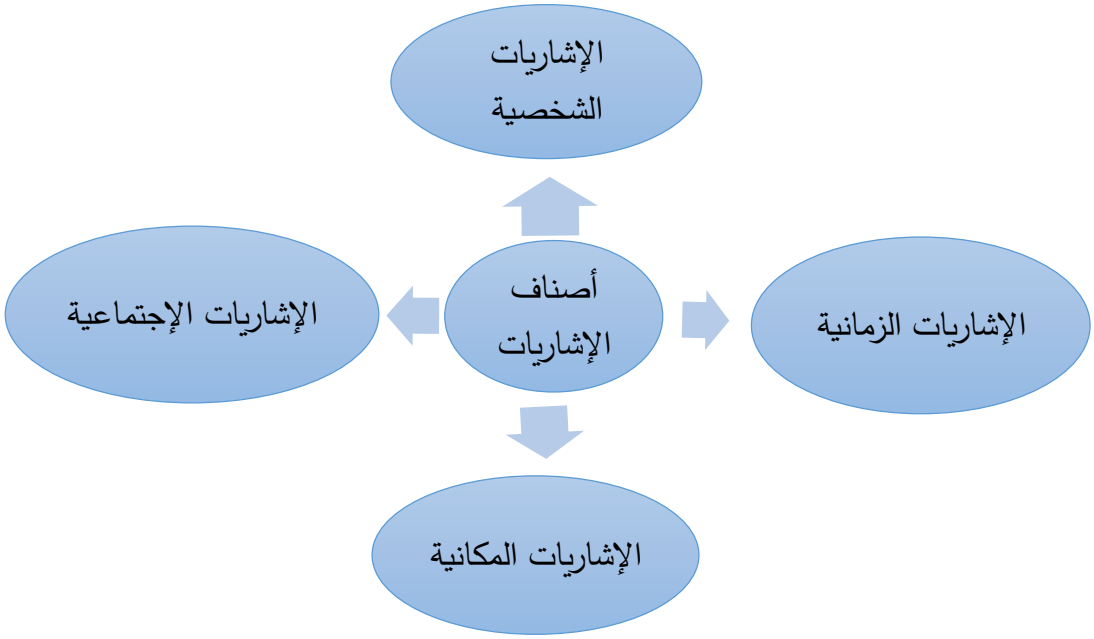

شكل رقم 11: خطاطة توضح أصناف وأنواع الإشاريات التداولية الأربعة

أولاً: الإشاريات الشخصية:

هي ضمائر المتكلم الثلاثة الأكثر حيوية في الاستعمال اللغوي وهي: ضمير المتكلم، ضمير المخاطبَ، ضمير الغائب.

[1]. نورة سيد أبو المجد محمد: القصدية والإشاريات: دراسة تداولية، مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، مصر، ع 56، يوليو، سبتمبر، 2020، ص172، 174. وينظر: مباركة رفرافي: التراكيب النحوية بين البلاغة العربية والتداولية، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه، نعيمة سعدية، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2018، 63 وما بعدها.

[2]. جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، ص78.

توسع بنفنيست في تحليل الطابع التداولي للإشاريات الشخصية، من خلال فصول كتابه "مسائل في اللسانيات العامة"، وما تفرع عنه من مباحث كـ "طبيعة الضمائر" هنا توقف بنفنيست عند التمييز بين ثلاثة أنواع من الضمائر (ضمير المتكلم، المخاطَب، الغائب) التي قمنا ذكرها سابقاً.

مستويات تحليل الإشاريات الشخصية:

_ إزالة اللبس أو الغموض الناتج عند تعدد مرجعية الضمير (تحديد الضمير الذي يعود على صاحبه).

_ توضيح الأثر البلاغي لتحول الضمائر الذي نطلق عليه في البلاغة (الالتفات).

_ استبدال ضمير الجمع بالمفرد.

هذه أهم المحاور الأساسية لدراسة الإشاريات الشخصية. فضلاً عن ذلك أضحت الضمائر مكوناً لا محيد عنه لإضفاء بعد تداولي لاستعمال اللغة، وفي نهاية المطاف سوى علامات يتوسل بها المتكلمون لإضفاء بعد تداولي على خطابهم.

ثانياً: النوع الثاني من الإشاريات هو: الإشاريات الزمانية:

شغل الزمن حيزاً مهماً في دراسة الإشاريات، سواء تعلق الأمر بزمن الفعل أو بظروف الزمان، الذي يدل على زمان يحددهُ السياق، فالسياق موجود معنا في كل نوع من الأشاريات. ومن هذا المنظور يتضح أن الزمن بقدر ما يمثل عنصراً ملازماً لكل لغة وحدث لغوي، بقدر ما تتصل دلالته بالخطاب والاستعمال. والإشاريات الزمانية عبارة عن ألفاظ تدل على زمن التحدث وتحدد دلالتها من خلال السياق التواصلي.[1]

_ من بين أنواع الإشاريات الزمانية التي لا تفهم إلا داخل سياقها نذكر: أمس_ غداً_ الآن_ الأسبوع_ الماضي_ السنة المقبلة.

[1]. جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، ص80، 81.

ثالثاً: الإشاريات المكانية:

عبارة عن ألفاظ تدل على مكان التحدث، وتحدد دلالتها من خلال السياق التواصلي، يتحدد معناها بسياق التلفظ، ولا قيمة للجملة إلا في علاقتها بمكان التلفظ.

أنواع الإشاريات المكانية:

هذا–ذاك_ هنا_ هناك_ فوق_ تحت_ أمام_ خلف.

رابعاً: الإشاريات الاجتماعية:

عبارة عن ألفاظ أو عبارات تشير أو تدل إلى العلاقة بين المتكلم والمتخاطَبين، وتحدد دلالتها من خلال السياق التواصلي، ومن بين الإشاريات الاجتماعية:

علاقات رسمية: نوع من المودة والحميمية، أما علاقات غير رسمية: يخرج من قيود العلاقة الرسمية، وغير ذلك من المستويات.[1]

5.5_ الاقتضاء

يعتبر الاقتضاء ظاهرة لها علاقة بتكوين النص، وفهم أجزائه المكونة للعملية التواصلية التي تتم بين الكلام المنطوق والمسكوت عنه. ويتصل الاقتضاء بالمعلومات المشتركة بين المتكلم والمتلقي؛ كأن يوجه المتكلم حديثه على إلى السامع على أساس مما يقتضي سلفاً أنه معلوم له، فإذ قال شخص لآخر:

أ_ (محمد باع شاحنته).

ب_ يقتضي: (محمد ليست عنده شاحنة الآن).

ج_ المقتضى (المسكوت عنه): محمد كانت عنده آلة الركوب (شاحنة) سابقاً.[2]

---

[1]. جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، ص81.

[2]. ينظر: أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015، ص183، 184.

6.5 أفول البلاغة الأرسطية وانبعاث الحجاج التداولي

يقول الله تعالى: {فَلِمَ تُحَآجُّون فِيماَ لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.[1]

(حين يكون الرأي واضحاً، يصبح على الفور مقنعاً).[2]

يُعتبر الحجاج محوراً من أهم المحاور التي اهتمت به التداولية، ومظهر من مظاهر العملية التواصلية الذي لا يمكن استبعاده والاستغناء عنه في أي تواصل سواء أكان شفهياً ومكتوباً في الخطاب الأدبي؛ لأنه يشكل مركز الاتصال الفيزيقي بين المتكلمين، يحتمل الحجاج ويشتمل على الأمور اليقينية والاحتمالية، في مدار استدلالي متماسك، في تناسق مع إنجازات لسانية وبلاغية وغيرها، وما يحمله الخطاب من طبيعة تفاعلية وتأويلية واعتقادية، هدفه تغيير وضعية المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية. من خلال هذا نطرح تساؤلات كالتالي: ما هو الحجاج التداولي ومكانته في التواصل؟ وما هي الطبيعة الحجاجية في اللغة الطبيعية؟

❖ **بين الحجاج الفلسفي والحجاج التداولي:**

➢ **البلاغة الكلاسيكية الأرسطية:**

إن المحاجة عبارة عن نشاط ذهني يتداوله السائل والمعلل أي النافي والمثبت حول معانٍ هي في آن واحد معطيات نفسية اجتماعية؛ أي تبادل الحجج لغرض إثبات الرأي الشخصي، أو رد رأي الخصم وغرض كل ذلك الإقناع وحصول الاقتناع، يقول أرسطو: " ويحصل الإقناع حين تُهيأ المستمعون، ونستميلهم بالقول الخطابي حتى يشعروا بانفعال ما؛ لأننا لا نصدر الأحكام على نحو واحد حسبما نحس باللذة أو الألم والحب والكراهية، فالخطاب هو ينتج الاقناع حينما نستخرج الصحيح، والراجح من كل موضوع يحتمل فيه الإقناع". بما أن الفلسفة خطاب يسعى إلى الإقناع، فمن البديهي أن تكون القدرة على الحجاج آلية من آليات التفكير الفلسفي، وتمثل الخطابة الأرسطية مصدراً مهما من مصادر الخطاب الفلسفي؛ لأنه ينطلق من وسائل الاستمالة الخطابية الآتية:

---

[1]. القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع، سورة آلِ عِمرانَ، الآية 65.

[2]. فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط1، 2013، ص52.

1_ الآيتوس: وهو عبارة عن مجموعة الخصال المتصلة بالخطيب، والمؤدية إلى إحلال الثقة في الجمهور، ويعبر بها عن الأخلاق.

2_ الباتوس: وهو ما ينبغي أن يثيره الخطيب في الجمهور من مشاعر، وأحاسيس وانفعالات تحقق اقتناعهم، والتسليم بمحتوى الخطاب.

3_ اللوغوس: وهو الخطاب نفسه، ويعبر عنه اللغويون المحدثون بـ: الرسالة التي يؤدي فيها الأداء اللغوي دوراً حاسماً في تحقيق هذه الاستمالة سواء بجمالية الخطاب أو بسطوة الحجاج العقلي أو بهما معاً. من هنا يجب أن نفرق بين الحجاج والبرهان باعتبار الخطاب الفلسفي ليس خطاباً برهانياً بالمعنى الحصري للكلمة، بل هو خطاب حجاجي، ولذلك لا ينبغي الخلط بين الحجاج والبرهان[1] لأن:

–الحجاج مجالاته متعددة منها الفلسفة، هناك أيضاً الحجاج القانوني، والحجاج السياسي، والحجاج الخطابي...، أما البرهان؛ فمجاله المنطق. والحجاج بعده شخصي، بينما البرهان غير شخصي.

ـ الحجاج يمارس اللغة الطبيعية، والبرهان يشتغل على اللغة الرمزية.[2]

ـ الحجاج أساسه الرأي؛ أما البرهان فأساسه الحقيقة.

ـ الحجاج لا يقبل المعالجة الآلية أما البرهان فيقبل ذلك.

ويستثمر أرسطو البلاغة أداة تطبيقية لمتون منطقية وسياسية وأخلاقية؛ لأن البلاغة هدفها الإقناع.[3]

- **البلاغة الجديدة بين الإقناع والتأثير:**

إن أخذ الحجاج مكانة في الدراسات التداولية هي خصيصة للسنوات الثمانين من القرن العشرين، تشهد على ذلك البيبليوغرافية وتوضحه المفاهيم. (إذ يجمع جون بليز غرايز بين المنطق والحجاج، أما روبار مارتان فيُدمج مفهوم ممكن الوقوع في نظريته الدلالية، وقد عاد أوزفالد ديكرو أخيرا إلى مفهوم

[1]. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، كلمة للنشر والتوزيع، 12 نهج بيروت، أريانة، تونس، ط1، 2015، ص54، 55.

[2]. المرجع نفسه: ص54، 55.

[3]. المرجع نفسه: ص54.

المواضع لوصف آليات اللغة الحجاجية).[1] من هنا يمكن القول إن الخطاب التداولي استفاد وبشكل كبير من الخطاب الفلسفي وبالتحديد الخطابة الأرسطية، ويمكن القول أن الحجاج التداولي الذي يتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعد الحجاج منتميا إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو) أو البلاغة الحديثة (برلمان، أولبريخت تيتيكا، ميشال مييرر...) أو منتمياً إلى المنطق الطبيعي (جان بليز غريز...) فكان الحجاج ذو بعد عميق في الفلسفة؛ لأن التفكير الفلسفي تفكير حجاجي بامتياز، والبلاغة الجديدة عبارة عن فن ومؤسسة اجتماعية أو هي: مجموعة من القواعد والقوانين التي تسمح، إما بالإقناع وإما بالتعبير الجيد على حد قول رولان بارت.[2] (إن الفعل الحجاجي، في هذا الاتجاه، هو قبل كل شيء منح المتلقي دلائل جيدة للاعتقاد بما نقوله له).[3]

إن القيمة الحقيقة للجملة لا تبقى محصورة في بنائها الدلالي فحسب؛ وإنما ترتبط هذه القيمة بواقعها، وهذا الارتباط هو الذي سينقلها من طابعها الدلالي الذي يتعلق بالصدق أو الكذب إلى طابعها التداولي الذي يتعلق بقيم الاستعمال والفعالية والتأثير؛ لأن خاصية القصدية في اللغة لا تساعد على بناء الدلالة فقط، بل على الدفع بهذه الدلالة إلى بناء فعل الكلام.[4] ووصلاً بما سبق يُقسم الحجاج التداولي حسب أوستن إلى الجمل الخبرية، يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وإلى الجمل الإنشائية هي التي يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق.[5] هذه التي ينطلق منها الفعل الإنشائي والفعل التقريري رفضها أوستن، ورأى أن كل قول عمل ويتعذر هنا الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

(ولأن الخطاب الحجاجي التداولي عبارة عن أفعال كلامية، تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي، والتأثيري الذي يتركه ذلك الإنجاز) وبهذا يسعى الحجاج التداولي إلى معالجة الخطاب بِعده فعلاً تداولياً لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام، فضلاً على هذا معرفة أهمية السياق التخاطبي، كما أن الحجاج التداولي يقف عند الروابط الحجاجية،

---

[1]. صابر حباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط1، 2008، ص16.

[2]. رولان بارت: هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، دار كنعان، دمشق، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1999، ص166.

[3]. فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، ص55.

[4]. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، ص51.

[5]. آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص31.

بوصفها أدوات تساعد في تحديد العلاقة الخطابية بين المتكلمين من جهة، وبين أطراف النص من جهة أخرى، فضلاً عن الاهتمام بالسلالم الحجاجية داخل المنطوقات والأقوال؛ لهذا فإن التحليل التداولي يتخذ من النصوص وكيفية صوغها موضوعاً محورياً يسعى إلى المساهمة في تحديد قواعد قراءة النصوص الحجاجية ومعاييرها. [1] هذه هي: فعالية الحجاج التداولي والدور الذي يلعبه ويقوم به على المستوى النصي؛ بوصفه خطاباً حجاجياً.

البلاغة الجديدة يهيمن عليها الإقناع والدحض (الإبطال) بالدرجة الأولى.

6.5_ كيف يعمل العقل؟

❖ **بنية الحالات قصدية وبنية الحالات الشعور:**

يقول جون سيرل: "إنك تستطيع أن تقشر البرتقالة؛ ولكنك لا تستطيع تقشير الصخرة أو السيارة".[2]

تؤدي اللغة وظيفة جوهرية في الخطاب، خاصة عندما ترتبط بمقاصد المتخاطبين؛ أي ترتبط بما يُقرره المتكلم في ذهنه، ثم يسعى إلى توجيه المستمع إلى إدراك ما يحمل خطابه من معلومات ومعاني ودلالات، فإنه من الصعوبة أحياناً على المتلقي أن يفهم قصد المتكلم وما أراد توصيله وإبلاغه لذلك، ولأهميتها (اللغة) في حياة الناس ودورها في التواصل اليومي، أولت الفلسفة الحديثة بدراسة القصدية مع مباحث العقل والإدراك، التي يحتل فيها الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" دوراً كبيراً في تأسيسها مؤكداً على أهميتها في حياتنا اليومية: "لكي نفهم حياتنا علينا أن نفهم القصدية".

ومع نهاية القرن العشرين أصبحت فلسفة العقل من أبرز القضايا حيوية ونشاطاً، وأحدث فروع الفلسفة، وأكثرها إثارة للجدل بين الفلاسفة والمناطقة، فما طبيعة الحالات القصدية؟

تعدُ القصدية أساس الفعل الكلامي باعتبار أنه لا يكون ناجحاً إلا إذ حقق "المقصد" المراد منه، وإذا لم يتحقق شرط القصد في الكلام فإنَّ نتيجته الفِعلية تصبح غير حقيقية، والفعل الكلامي لا يكون موفقاً إلا إذ حقق مقصده، ويتجلى في المقام الأول من التغيرات الحاصلة في المخاطِب ذاته،

[1]. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، ص51 وما بعدها.

[2]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 2009، ص187.

يتطلب من المخاطِب القدرة على الملاءمة بين التركيب اللغوي والغاية منه، ويستدعي منه العلم بمقاصد القول حتى يوفق في تحقيق الأغراض المطلوبة.

تعتبر القصدية رافداً من روافد البحث التداولي. تقتضي الوضوح من جهة، وتقاسمها بين طرفي التخاطب من جهة أخرى.

نلاحظ في كُتب سيرل[1] خاصة في الكتابين المهمين في الدرس التداولي "القصدية" وكتاب "العقل واللغة والمجتمع" يحملان تحفة فنية وأفكار متقاربة ومتماثلة ونفس المنهجية التي سار عليها، ففي الفصل والعناصر الأخيرة في كلاً الكتابين منح للمتحدثين مكانة، تحديداً في صفحات كتبه دون أن ينسى المعنى والقصدية بطريقة منطقية بصبغة تحليلية، ركز فيهما على طبيعة الشبكة القصدية على حساب اللاقصدية.

نجد سيرل تأثر بفلسفة كل من: فيتجنشتاين وفريج وهيوم، في طرحه التصوري ولأفكاره.

[1]. جون سيرل: اتبع المذهب السلوكي والوظيفي والطبيعي في صياغته لأفكاره، وهو واحد من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين ينتمون لتيار الفلسفة التحليلية التي طّورها أوستن. درّس الفلسفة في جامعة كاليفورنيا، وحاضر كأستاذ زائر في عدد كبير من الجامعات العالمية. من أشهر أعماله: أفعال الكلام، التعبير والمعنى، القصدية، العقول والأدمغة والعلم، إعادة اكتشاف العقل، بناء الواقع الاجتماعي، لغز الشعور.

لقد بنى سيرل أفكاره خاصة في كتابه: "العقل واللغة والمجتمع" وكتابه الثاني: "القصدية" من المواقف التلقائية ذات الأهمية التي تتوفر في حياتنا اليومية الاعتيادية، التي تشكل خلفيتنا المعرفية وتؤسس طقوس لظهور الحقيقة الواقعية، القائمة على إدراك العالم ورؤيته بشكل واضح وصريح، في الحين نفسه اعتبرها (المواقف التلقائية) سيرل وجهات النظر التي نتمسك بها بصورة سابقة تحتاج جهداً شعورياً ومحاججة مقنعة. وها هي المواقف التلقائية في بعض المسائل الأساسية: ~ هناك عالم واقعي يوجد بشكل مستقل عنا. ~ نمتلك طريقاً إدراكنا مباشراً للدخول في العالم من خلال حواسنا، ولا سيما اللمس والرؤية. ~ الكلمات في لغتنا تحيلنا إلى الواقعية في العالم. ~ أحكامنا بشكل عام إما صادقة أو كاذبة تتطابق مع الكيفية التي تكون عليها الأشياء، ومع الوقائع الكامنة في العالم الخارجي. ~ السببية هي علاقة واقعية بين الأشياء والأحداث في العالم، هي السبب في تعدد الظواهر، هي النتيجة. _ ينظر: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2006، ص23، 24.

- **العقل كظاهرة بيولوجية:** (ويتمثل الثمن الذي ندفعهُ مقابل الوقوف ضد استخدام اللغة العادية، في اتجاهنا إلى اللغة المجازية والجمع بين الخصائص). [1]

- **بدايات لنظرية تداولية عامة في بحث القصدية:**

يتمثل دور القصدية في معرفة بنية العقل وليس في وصفه، وفي التعرف على كيفية تشكيل السلوك الإنساني وليس في وصف هذا السلوك.

(إن القصدية صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليها)[2] قائمة على الاعتقاد مثلاً: حين أشعر بالخوف فلا بد أن يكون خوفاً قائماً على الشعور واليقين خوفاً من شيءً، في المقابل تظهر الرغبة في حدوث ذلك الشيء أو أنَّ شيئاً يجب أن يحدث.

يقدم سيرل رأيهُ وفق تفسيره حيث قال في التخمين الأول: لا يمكن وصف كل الحالات العقلية والحوادث اسم قصدية؛ إذ تُعد المعتقدات والتنبؤات والمخاوف والرغبات والميولات حالات قصدية، في المقابل نجد حالات غير قصدية مثل: الانفعالات والبهجة والخوف والقلق، ولتمييز بين هذين الحالتين بـ: الطريقة في التعبير.

ثاني معتقد: يرى سيرل أن القصدية لا تعني الوعي. فهناك العديد من الحالات الواعية ليست قصدية مثل: الشعور المفاجئ بالسعادة أو الفرح. وهناك العديد من الحالات القصدية ليست واعية. ببساطة الوعي يأتي دائماً وعياً بموضوع ما أو موضوع معين، مرتبط بالمرء.

ثالث المعتقدات التي يقدمها سيرل لطبيعة القصدية هو أن "المقاصد" و"القصد" قصد عمل شيء معين، مجرد صورة من صور القصدية، لا تمتلك وضعاً خاصاً. حتى اللغة في حد ذاتها وصفها بـ: (إذ تستمد اللغة من القصدية، وتُشتق منها وليس العكس؛ فإن كان اتجاه أصول التربية شرح القصدية باستخدام اللغة، فالتحليل المنطقي يتجه لشرح اللغة باستخدام القصدية).[3]

---

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص199.

[2]. المرجع نفسه: ص22.

[3]. المرجع نفسه: ص22، 26

من خلال هذا نلاحظ أن سيرل جعل القصدية زاوية الحجر أو رأس الهرم أو هي بمثابة الدرجة العليا للعقل، وهي بذلك أساس الدرس التداولي. (تتكون كل حالة قصدية من مضمون تمثيلي في حالة نفسية معينة).[1]

تنويه: إذا فقد المرء الاعتقاد فقد معه المتعة. ويبقى الشعور في خيبة أمل. وهذا ليس كافياً (إذ يوجد في حالات عديدة مجموعة من المشاعر لا يمكن الحصول عليها، أو معرفتها إذا حللنا الحالة القصدية إلى اعتقاد ورغبة فحسب؛ فإذا شعرتُ بالفرح أو الاشمئزاز أو الرعب، لا بد أن أشعر بحالة شعورية إلى جانب الاعتقادات والرغبات الخاصة بالحالة القصدية).[2] وحين لا توجدُ هذه الحالة الشعورية في بعض الحالات القصدية كلها. ولا داعي لوجود أي شيء إضافي إلى جانبهما.

ومثال ذلك عن حالات الشعور: ففي حالات الرعب شعور بألم في معدة الشخص الخائف، وقد يستمر معه هذا الشعور الخالص حتى بعد اختفاء سبب شعوره بالرعب. كذلك لا تكون الحالة الشعورية أحياناً إحساساً جسدياً.[3] وبهذا يقول سيرل وهو بذلك يؤكد على الدور الكبير الذي يلعبه الشعور في تفسير الظواهر الإدراكية (وأول سمات العقل وأهمها هي الشعور. وأعني بـ "الشعور" تلك الحالات من الوعي أو الإدراك التي تبدأ في العادة حين نصحو في الصباح من نوم لا أحلام به وتستمر طوال النهار حتى نهرع إلى النوم ثانية).[4]

أحياناً تكون الرغبة جزءاً من الحالة الشعورية ولا يوجد دائما "شعور خام" أو "شعور خالص"، لذلك ليس هناك طريقة يمكن بها فصل الحالة الشعورية في الحالات القصدية عن الاعتقاد والرغبة. وتعتبر الحالات الشعورية جزءاً من الحالات القصدية.

هناك خبرات إدراكية لها قصدية، أي مضمونها قصدي في صورة لغوية، ويكون اتجاه المطابقة الخاص بها من العقل إلى العالم.

---

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص32.

[2]. المرجع نفسه: ص58.

[3]. المرجع نفسه: ص58.

[4]. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص67.

هناك خبرة تتحقق بطرق مختلف قد أشار وركز عليها سيرل تدخل في باب التمثيلات القصدية ألا وهي: الخبرة البصرية التي لا يمكن القول عنها حدثاً عقلياً واعياً فحسب، وإنما ترتبط بشروط تحققها، أي بطرق تختلف عن الطرق التي يرتبط بها الاعتقاد والرغبة.

ومن هنا أُعتبرت "قصدية الرؤية" أساس تحققها في الخبرات البصرية التي تعد حوادث عقلية واعية. اعتبرها سيرل دعوة تجريبية وجودية حقيقية.

ونستطيع القول إن مثل هذا الاهتمام بالحافز البصري لدى المريض ينتج صورة من صور القصدية؛ إذ أن هناك "شعوراً" معنياً بأن هناك شيئاً (والذين ينكرون وجود وحضور خبرات بصرية عليهم أن يسألوا أنفسهم عن الذي لدينا وينقص مثل هؤلاء المرضى؟).[1]

وبالتالي (يصبح "الإدراك" عبارة عن "صفقة"، وعملية تبادل أو تعامل قصدي وسببي (قصد وسبب) بين العقل والعالم. وليس هناك انفصال بينهما، ولا يوجد أي اتجاه منهما مستقلاً عن الآخر). لكي يتحقق الإدراك يجب أن يكون هناك علاقة تطابقية بين العقل والعالم.

تُعتبر الخبرات الإدراكية ارتداداً ذاتياً بصورة سببية، والارتداد الذاتي العّلي يعتبر نوعاً من أنواع القصدية إلا أنها تواجه صعوبات كثيرة. إضافة إلى هذا هناك صورة أخرى من صور القصدية وهي: الذاكرة أو ذكرى أحداث الفرد الماضية.

تُعتبر الرؤية، الاعتقاد، الرغبة، التذكر بعض الصفات الصورية للقصدية.[2]

(يتفق معظمنا مع قول هيوم أن الإدراكات تأتي خالصة ونقية تماماً من أي شوائب لغوية. ثم نقوم بوضع أسماء عن طريق التعريفات الإشارية لتسمية مدركاتنا).

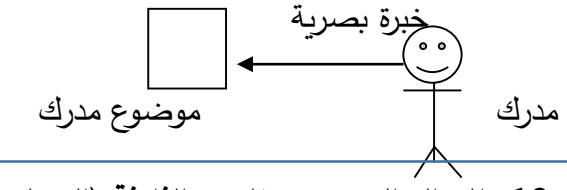

شكل رقم 12: الإدراك البصري وعناصره الثلاثة (المدرك، الخبرة البصرية، والموضوع المدرك).

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص71، 72، 74، 75.

[2]. المرجع نفسه: ص76، 77، 81.

يمثل السهم الخبرة البصرية لها مضمونا يتجه مباشرة للموضوع المقصود الذي يُعد وجوده جزءاً من شروط تحققها.

ترتبط المضامين القصدية بصفة عامة والخبرات بصفة خاصة، بصورة باطنية بالمضامين القصدية الأخرى وبالقدرات غير التمثيلية (الخلفية)؛ إذ لها علاقة بباقي أفراد الشبكة والخلفية.[1]

ليس بالضرورة أن يكون مجموعة من الأفراد الذين يملكون خبرات بصرية متطابقة أو متشابهة، أن يكون لديهم شروط مختلفة للتحقق. وهذه الشروط خاصة وهوية كل خبرة بصرية تظهر في شروط تحققها. تفسرها تصورات علّية.

ومن خلال هذا العرض القصدي النظري نطرح سؤال سنجيب عليه في الفصول القادمة:

ما هي مدارات القصدية ومباحثها في تحليل الخطاب من منظور تداولي؟

7.5_ السياق التداولي/ التواصلي

في نجاح العملية التواصلية وحال التخاطب الفعلي يوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصان، أحدهما فاعل حقيقي للحدث ينتج ويبث وينجز ولتوليد عدد من الجمل والعبارات لتشكل بلورة نصاً معتمداً على الأفعال الإنجازية، والآخر يتلقى تلك الإنتاجات ويقوم بالرد عليها في حالة الاستحسان والقبول والاتفاق، أو يرفض انتاجه في حالة الاستهجان والنقد.

وكلاهما نشاطات عضوين ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية والرابط بينهما اللغة وضروب الاتفاق والتواطئ للقيام بالفعل المشترك (الإنجاز)، ولكل منهما خواص ينبغي إعادة بنائها وتركيبها من الوجهة النظرية التداولية في إطار البنية السياقية وكيف يكون؟ يعد النص محور التواصل بحركته الارتدادية فما هو موضع السياق من هذا؟

يُشخص البنيوي الروسي رومان ياكوبسون في (نظرية الاتصال) وعناصرها ومداراتها الستة، التي تغطي كافة وظائف اللغة الأدبية، من خلال تحديده لعناصر التواصل يبين مكانة السياق الذي يُعد المرجع الذي يحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول ويكون لفظياً أو قابلاً للشرح اللفظي، وذلك القول الذي يحدث من (مرسل) يرسل (الرسالة) إلى (مرسل إليه).

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص86، 96.

وتلك الشفرة التي تتميز بالخصوصية الأسلوبية لنص الرسالة، ولا بد لشفرة أن تكون متعارفة بين (المرسل) و (المرسل إليه) تعارفاً كلياً أو على الأقل تعارفاً جزئياً، إضافة إلى وسيلة الاتصال التي تكون إما حسية أو نفسيه للربط بين الباعث والمتلقي لتمكنهما من الدخول والبقاء في (اتصال).[1]

(المرء الذي لا يعرف الشعر النبطي مثلاً لا يستطيع فهم قصيدة نبطية، حتى وإن استمع إليها ألف مرة، لأنه لا يملك سياق هذه القصيدة، ولكل نص أدبي سياق يحتويه، ويشكل له حالة انتهاء وحالة إدراك).[2]

ويؤكد عبد الله الغذامي في كتابه "الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية" على الأهمية التي يلعبها السياق في الخطابات وأنواعها، إذ (له وجود قوي الإشعاع في الذوق الأدبي لجمهور المتأدبين، وقوته هذه تجعله واضح التمايز بين جنس أدبي وآخر، إلا أن السياق قد ينشطر إلى مسارات متقاطعة في لحظات احتكاكه مع المبدع في حالة تنوع أجناس إبداعه)[3] أي "تداخل الأجناس"، وهذا التحول والانقسام طبيعي فني يحدث للقول ينقله الإيتوس من الاستعمال النفعي العادي إلى الأثر الجمالي.

بما أن النص يتشكل من مظاهر أكثر وأشد تعقيدا مثل الممارسات النصية والتواصلية والتي ترتبط بعدة سياقات يتبع بعضها بعضا. من خاصيات السياق ومما يتعين التوكيد عليه هي الصفة أو الميزة "الديناميكية" "الواقعية" "الحركية" متعرض لتغيير. فليس هناك سياق مجرد حالة لفظ ثابت؛ وإنما

---

[1]. ينظر: عبد الله محمد الغذامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998، ص9.

ـ إن الاهتمام بالسياق (Le contexte) باعتباره أداة إجرائية أخذ مساراً أكثر عمقاً مع الدراسات التداولية، التي تجاوز أصحابها الإطار اللغوي المحض، إلى ما يرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط إنتاج الخطاب والزمان والمكان وغيرها من الشروط التي تتحكم في بناء النسق اللغوي.

[2]. عبد الله محمد الغذامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، ص10.

[3]. المرجع نفسه: ص10، 13.

ـ الشعر النبطي: هناك من سمَّاه بالشعر البدوي؛ وبخاصة في العراق، المتداول كثيراً بين القبائل البدوية التي هاجرت في القرون المتأخرة من وسط جزيرة العرب. ولمعرفة التفاصيل يمكن الرجوع لـ: ينظر: عبد الله الصالح العثيمين، الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الهجرة، مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ع2، ربيع الآخر 1422هـ، السنة السابعة والعشرون، ص147.

هو متوالية من أحوال اللفظ، وعلى ذلك فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث، دالاً على حالة ابتدائية، على أحوال وسطى، وحالة نهائية.[1]

تعتمدُ بعض الظواهر الدلالية والفعليّات على السياق وتتأثر به، ويعد في فلسفة اللغة والدلاليات الصورية، والأرضية المشتركة، فلا نعثر على معنى كلمة ما خارج سياق الجملة.

06. في حدود التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى

في إطار الحديث عن المنهج التداولي منهجاً جديداً كغيره من المناهج حديث النشأة، وظيفته لا يمكن اقتصارها على معالجة العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات فقط؛ بل كان اهتمامه وجُلُ دراساته تنكب على المعنى عند مستخدميه ومفسريه، وعلى دراسة اللغة في الخطاب من خلال السياق الذي وردت فيه، وأثر ذلك في إنتاج الدلالة وما تحتويه من فضاءات متنوعة ومتعددة، وما يقصد الإنسان بكلامه وتصرفاته وأفعاله وجميع ممارساته الثقافية والاجتماعية والدينية وحتى النفسية، وما صاحب الملفوظات السياقية من شخصيات فاعلية وفعالة الباث (المتكلم) والمتقبل (المخاطَبُ)، تجعل العملية التواصلية أكثر حركة ومرونة، وفق مقام محدد وأبنية المتضمنات القولية المعرفية، لا ننسى تلك العلاقات التي تصل اللغة بالواقع والفكر والحقيقة.

والسؤال الذي يطرح نفسه ماهي علاقة التداولية بالمستويات اللسانية الأخرى؟

1.6 علاقة التداولية باللسانيات

_ في السنوات الأخيرة_ كثير التداول داخل (pragmatique)أصبح مصطلح التداولية

جميع الأدبيات اللسانية، لهذا يصعب علينا تحديد العلاقة خاصة بين التداولية واللسانيات وليس بالأمر السهل. فموضوع التداولية، كما في اللسانيات[2]، هو اللغة وتناول جوانبها، ويكفي أن التداولية

---

[1]. ينظر: فان ديك: النص والسياق، استقصاء البحث، في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د ط، 2000، ص258.

[2]. من أعمال الحدث اللساني أو الألسنية المعاينة والوصف، فيجب أن ندرك تلك الظاهرة اللسانية التي لا تعالج بمعزل عن قرارات اصطلاحية؛ فللأشياء اللسانية حدود غير ثابتة، تصنف إلى مجموعات فرعية ضبابية طبقا لحُزمة من المقاييس لا تتساوى في الالتزام بها؛ فللساني أن يضطلع على الحدود التي يُسمح بالوصف في نطاقها، وبمجرد أن يأتي المحلّل حتى يتلاشى الشيء الخام، والمهم أن نعتمد على قرارات معللة ومفسرة تفسيراً واضحا، وعلى اللساني أن يكون في كل لحظة واعياً مدركاً بما يفعله، في منهج معقول وغاية متواضعة_ روبير مارتان: مدخل لفهم=

فرع من فروع اللسانيات، غير أن طريقة المقاربة في كليهما مختلفة. تطرق رادولف كارناب واصفاً التداولية بأنها قاعدة اللسانيات أو أساس لها، أي أنها حاضرة بقوة في كل تحليل لغوي، فبمجرد أن ينتهي عمل اللساني في دراسة اللغة (البنية)، يظهر إسهام التداولي في تملي الأبعاد الحقيقية لتلك البنية المعلنة والمغلقة، وتنفسح من ثم على الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية للمتكلم والمتلقي والجماعة التي يجري فيها التواصل، مع احتساب مجموع السنن الذي يحكمه، والتداولية فعلاً استطالة للسانيات. نحو عالم جديد وبوابة ألمع، أشار إليه بنفنست، وأطلق عليه اسم لسانيات التلفظ، الذي يحمل المضمون أو الدلالة، أو الأفعال الكلامية في حد ذاته عند أوستين وسيرل.[1]

والذي يمكن قوله إن التداولية ترتبط ارتباطاً وثيقا باللسانيات ومرد هذا الارتباط اهتمامها بدراسة علاقة العملية اللغوية أو النشاط اللغوي وعلاقته بمستعمليه، وكيفية استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والمقام الذي ينجز ضمنهُ الخطاب، الناتج من صميم دلالات فعل الكلام، الأمر الذي يجعل من الخطاب عملية ناجحة وحيوية بالدرجة الأولى.[2]

=اللسانيات، إبيِستيمولوجيا أوليّة لمجال علمي، تر: عبد القادر المهيري، بيت النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص30. وأيضاً كتاب: وليد محمد السراقبيّ: الألسنيّة، مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها، دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، بيروت، لبنان، ط1، 2019، ص15.

ـ يشير الناقد يوسف وغليسي إلى تعريف بسيط للسانيات أو الألسنية على أنها: تهتم بدراسة اللغة في مظهرها الأدائي ومظهرها الإبلاغي وأخيراً في مظهرها التواصلي_ يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من "اللاّنسونية" إلى "الألسنية"، كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2002، ص116.

[1]. أبو زيد ونواري سعودي: المنهج التداولي في مقاربة الخطاب المفهوم والمبادئ والحدود، ص124.

[2]. عماد بوخاري: تداولية الخطاب السياسي عند محمد البشير الإبراهيمي، مقالات فصل الدين عن الحكومة وسجع الكهان_أنموذجا_، أطروحة دكتوراه، علي منصوري، قسم اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاج لخضر_باتنة1_، 2018، ص48.

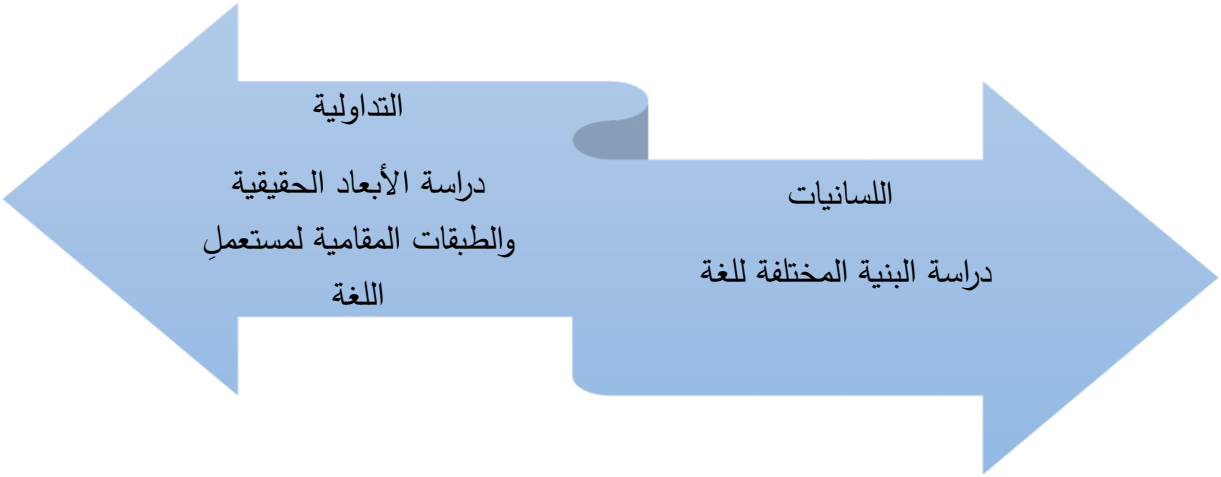

شكل رقم 13: خطاطة توضح العلاقة التتابعية، المتعاقبة، الامتدادية، التكاملية بين الألسنية والتداولية

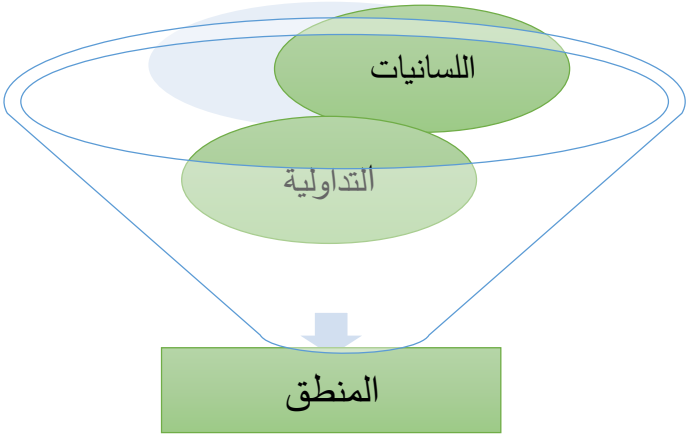

شكل رقم 14: خطاطة توضح الانطلاقة والجذور الأولى لكلاً من: اللسانيات والتداولية المستمدتان بالوشج المنطقي

بالرغم من ذلك الامتداد الواضح والعلاقة التكاملية الوشجية، والمنطلق الفلسفي المنطقي القائم على القياس والمبني تمفصلاته على الجدل، هذا الأخير يُكسب حيوية ومرونة وحركية في العلوم والمناهج.

عرف المنطق في أبسط تعريف له أنه ذلك المنهج الذي يبحث في تماسك معرفي للغة والكلام، خصوصاً ذلك المنطق الاستقرائي؛ إلا أنه لم يعمر هذا الوضع حتى وجدنا بعض الاختلافات على الصعيد الشمولي؛ إذ نجد موضوع اللسانيات أشمل وأوسع، تتمتع بالاستقلالية أكثر من موضوع التداولية، لهذا اعتبرت هذه الأخيرة جزء لا يتجزأ من اللسانيات.

فموضوع اللسانيات (كلّ النشاط اللّغوي للإنسان في الماضي والحاضر، ويستوي في هذه الإنسان البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحَّةٍ أو لحن، وجودةٍ أو رداءة).[1] في المقابل نلاحظ أن موضوع التداولية المعنى المقصود؛ حيث تركز التداولية على دراسة استعمال اللغة، باعتبارها كلاماً محدداً، صادر من متكلم محدداً، موجهاً إلى مخاطبٍ محدد، بلفظ محدداً في سياق تواصلي محدد لتحقيق غرض وغاية تواصلية محددة.

2.6 علاقة التداولية بالنحو والنحو الوظيفي

إن المتأمل في التراث النحوي العربي يفهم أن النحاة العرب، لم يكونوا بعيدين عن التصور التداولي الحديث، والإشارة للظاهرة اللغوية العميقة الكامنة وراء الألفاظ والمباني، خاصة في تطبيقاتهم لقواعد الخبر والإنشاء، وهذا يعود لجهود كلٍّ من عبد القاهر الجرجاني، وأبي عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) خير دليل على ذلك، حيث أوليا اهتماماً وعناية فائقة بأصول التداول بين الأسلوب خبرا كان أم إنشاء وبين معناه الإبلاغي ووظيفته التواصلية، مع حرصهما القوي على المعاني والأغراض الإبلاغية المتوخاة من الخطاب؛ وطرفي الخطاب المخاطِب والمخاطَب باهتمام بالغ في تفسيراتهم وتحليلاتهم فسلكا منهجاً تداولياً_ بالمفهوم الحديث دون التصريح بالاسم_ خاصة دراستهم لتلك الغايات التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها، والعناية بغرضه وقصده من الكلام، وتنبيه المخاطَب برسالة ما، وفق مضمون ما، والفائدة التي يجنيها من الخطاب، في المقابل وفي لغة العصر أُطلق عليها اسم: أفعال كلامية وصولاً للكلام البليغ.

كلما راعى مُنتج الخطاب(المتكلم) مقامات الخطاب كان أقرب إلى ظاهرة التمثيل بين الإقناع والإمتاع.[2] لهذا (حظيت نظرية النحو الوظيفي، منذ ظهورها في أواخر السنوات السبعين، باهتمام العديد من الباحثين الذين اتخذوها إطارا لأبحاث تناولوا فيها ظواهر مختلفة منها معجمية وصرفية-تركيبية ودلالية وتداولية).[3]

---

[1]. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1997، ص7.

[2]. عماد بوخاري: تداولية الخطاب السياسي عند محمد البشير الإبراهيمي، مقالات فصل الدين عن الحكومة وسجع الكهان_أنموذجا_، ص50 وما بعدها.

[3]. أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، مؤسسة كونراد أديناور، الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص5.

هناك بعض الدارسين من جعل الوظيفة في معناها، تقابل (التداولية)، لهذا اعتبر النحو الوظيفي رافداً للدرس التداولي، إلى جانب الفلسفة والنظريات اللسانية الحديثة، وبالتالي يقوم النحو الوظيفي في تحقيق أهدافه على كفاية نفسية، كفاية تداولية وكفاية نمطية، يقدم دعائم هامّة للتفسير التداولي للخطاب.

ويذهب (سيمون ديك) إلى أبعد من ذلك؛ حين يقترح أن يُدرج النحو الوظيفي ضمن نظرية تداولية واسعة، أو نظرية لغوية شاملة، تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة.[1]

يتطرق (سيمون ديك) إلى مكونات "القدرة التواصلية" لدى "مستعملِ اللغة العادية" من خمس ملكات على الأقل وهي:

1.2.6_ الملكة اللغوية: يستطيع مستعملِ اللغة الطبيعية (العادية) على الإنتاج وتأويل ذلك الإنتاج، تتسم هذه العملية بالتعقيد، هذا راجع لوجود عدد كبير في المواقف التواصلية المختلفة.

2.2.6 _ الملكة المنطقية: بإمكان مستعملِ اللغة الطبيعية، أن يشتق أحدهم معارف أخرى ومتنوعة المدى، وهذا بواسطة قواعد استدلال تحكمها قواعد ومبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

3.2.6 _ الملكة المعرفية: بإمكان مستعملِ اللغة الطبيعية أن يُشكلُ رصيدا كافيا من المعارف المنظمة، ويمكن أن يستحضر هذا الرصيد والمخزون المعرفي والتغذية المرجعية في تأويل العبارات.

4.2.6 _ الملكة الإدراكية: يتمكن مستعملِ اللغة الطبيعية من أن يدرك محيطه وأن يشتق من إدراكه معرفة تساعده في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

5.2.6 _ الملكة الاجتماعية: يَعرف مستعملِ اللغة الطبيعية ما يقولون وطريقة كلام مخاطِب معين في موقف تواصلي معين، قصد تحقيق غايات تواصلية معينة.[2]

[1]. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص126، 127.

[2]. أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص8، 9.

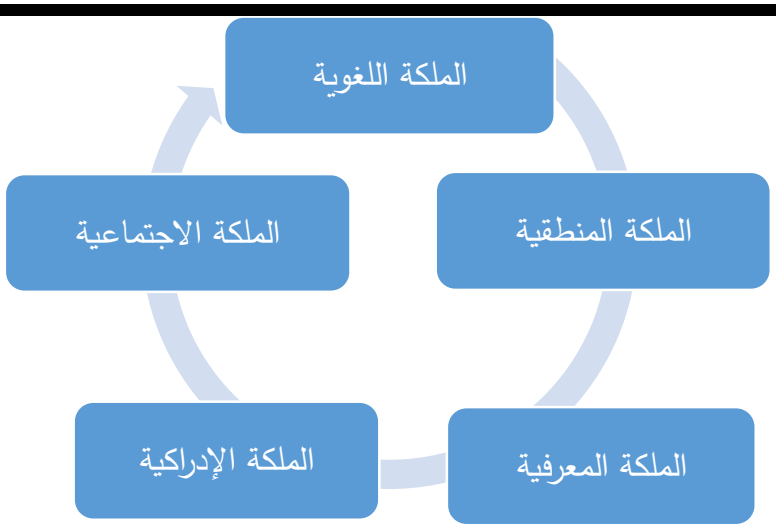

شكل رقم 15: نموذج خطاطي يوضح القدرة التواصلية

جميع هذه الملكات والقوالب الخمس في تواصل واستلزام تفاعلي مستمر مع بعضها البعض، تسعى لترميم النقص الكامن في القدرة التواصلية عند مستعملِ اللغة الطبيعية، وفي تأويل عبارات البنية اللغوية، مع رصد القوة الإنجازية لاستفادة كلٌّ من النحو، النحو الوظيفي، التداولية من هذه الملكات التي تتميز بحتمية الحضور وندرة الغياب، ففي هذا الموضوع وبالتحديد (أشار فان ديك مراراً إلى ضرورة إدراج النحو الوظيفي في إطار أعم كان يسميه "النظرية التداولية الوُسعى" دون أن يحدّد معالمه أو بنيته).[1]

يوضح فان ديك سنوات (1978) و (1989) و (1997) للضرورة الملِحة، ويؤكد على كلامه الخبري الذي يحتمل فائدة الخبر ولازم الفائدة إلى ذلك الاتصال الكبير والقوي، لحد التمازج بين النحو الوظيفي والتداولية، داعياً في ذلك إلى إدراج علم النحو الوظيفي داخل إطار أشمل وأعم سماه بـ: النظرية التداولية المؤسعى.

[1]. أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2003، ص56.

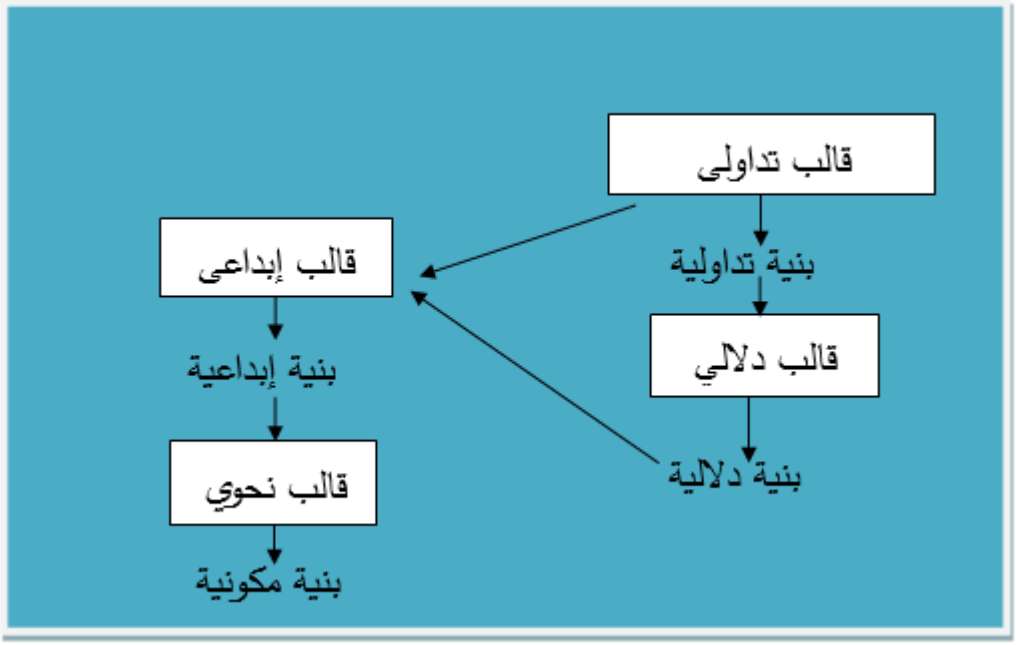

شكل رقم 16: نموذج مستعملي اللغة الطبيعية

تحتوي عملية التواصل على مراحل وقوالب وبنيات كبرى وثوابت معينة (انطلاقا من البنية التداولية، انتهاء بالبنية المكونية، مرورا بالبنية الدلالية)، إذ بدورها تتحكم البنيات الرئيسية في التواصل البشري أيّا كانت طبيعتهُ في حالة الإنتاج، على أن يتخذ المؤشر العكسي في حالة التأويل (عملية تأويل الخطاب الإبداعي تتضمن نفس البنيات المراحل إلا أنها مرحلة عكسية)، تنطلق من البنية المكونية وتنتهي بالبنية التداولية مرورا عبر القالب النحوي ثم القالب الإبداعي ثم القالب الدلالي فالقالب التداولي.

وتعتبر هذه البنيات والمكونات الثلاث مصدر التناظر الملحوظ بين الأنساق التواصلية بالرغم من تعدد أنواعها وأشكالها، إلا أنها تؤسس للقواسم المشتركة بين هذه الأنساق.[1]

[1]. ينظر: أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص73،43.

3.6 علاقة التداولية بالهيرمينوطيقا

نأخذ عينات وبعض من المقتطفات، بتنسليط الضوء في هذا العنصر على جزء مهم وهو:" في إنارة فلسفة الفهم، وعالمية الفكر التأويلي وعلاقته بالتداولية من أجل بلورة معنى مشترك بين الماثول والمؤول" في كتاب "فلسفة التأويل" لـ: هانس غيورغ غادامير.

حقيقة المغامرة تكمن في نهاية الشوط الأول، التي تعد نقطة الانطلاق للعملية التلفظية التداولية، وبداية الشوط الثاني الذي يمثل: رحلة فلسفة الوجود والتفكير الهيرمينوطيقي الأقرب إلى روح الكلمة، بغية البحث عن المضامين التواصلية، وبين هذا وذاك سياق محدد، وفق حركة دورية للفهم.

لقد كان غادامير في طرحه للفهم الذاتي الذي تمارسه العلوم الإنسانية، في مقابل النموذج العلمي البحث، الذي تتمتع به العلوم الدقيقة الطبيعية، متأثرا بالمنهج الديكارتي، وبذلك انتقد غادامير التصور الوضعاني الذي يقترح بناء علمي صارم تنتهجه العلوم الإنسانية إذا أرادت أن ترتقي إلى درجة الحصانة العلمية.

(وما يركز عليه غادامير هو "إرادة الفهم" داخل إرادة التفاهم، والمشاركة كنمط خاص يميز حقيقة الإنسان، وبالتالي النزعات التفكيكية التي تحاصر المعنى وتشكك في وجود حقيقة يتفق عليها وتنال من حيوية الحوار لها إرادة خاصة في الفهم بدونها تفقد دلالة وجودها وقيمة استعمالها).[1]

فلا يمكن استنطاق جوهر الأشياء وإدراكها؛ إلا بأنماط المعقولية ومشاريع الفهم وانتظار المعنى، ولا يكون هذا متوقف عند إقصاء الذات والتصورات المسبقة ولا إعطائها الهيمنة المطلقة في تقويم الأشياء، بهذا يصبح نشاط التاريخ هو الوجود الفاعل والفعلي والديناميكي للوعي الفردي والفهم الذاتي ويكون هذا وذاك بين النقد والتمحيص للظاهرة.

(إن القاعدة التأويلية التي تعتبر أن الكل ينبغي أن يفهم انطلاقا من الجزء، والجزء انطلاقا من الكل هي وليدة الخطابة القديمة).[2]

---

[1]. هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، الأصول. المبادئ. الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط2، 2006، ص13، 14، 31.

[2]. المرجع نفسه، ص 119.

تبحث عالمية التأويل عند غادامير عن محتويات اللغة "البراجماتية" ومضامينها التواصلية[1] ومن خلال هذا نستنتج تلك العلاقة المعقدة الغير واضحة المعالم بين التداولية التي تعتمد على لغة الاستعمال (اللغة الطبيعية العادية)، بينما التأويل يتجاوز أعماق البنية السطحية، وفي الوقت نفسه نلمح تلك العلاقة التكاملية الترابطية والبينية الدورية التي تأخذها القاعدة التأويلية، مباشرة بعد العملية الكلامية أثناء النشاط التداولي، وبما أن اللفظ هو جزء من النص يتقيد بسياق الجملة، والنص بدوره جزء لا يتجزأ من الكل (الفنون الأدبية) أو الأدب برمته؛ إذ ينبغي فهم النص انطلاقا من النص نفسه، ولا يمكن إقحام وحصر معيار الدقة في الفهم، وبدوره صرح شلايماخر وميز هذه الحلقة التأويلية[2] للكل والأجزاء حسب العتبة الموضوعية والعتبة الذاتية، من أجل إنارة الفهم، وبلورة معنى مشترك.

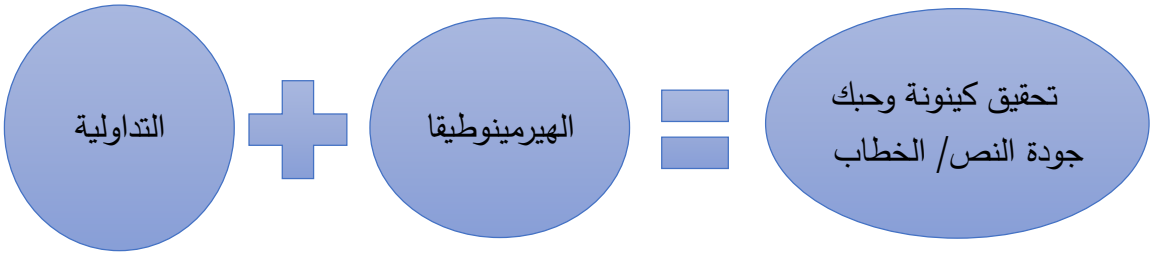

شكل رقم 17: خطاطة تُبِين العلاقة الدورية بين التداولية والنشاط التأويلي، لصالح العملية التواصلية وللحفاظ على إرادة الفهم

يرى نصر أبو زيد لهذه المغامرة والمعرفة تحتاج وتتطلب إلى اختراق لهذه الوسائط (التلفظية، التداولية)، بمراتبها المختلفة المتنوعة وصولاً إلى الوحدة الباطنة الكلية الشاملة؛ إذ يُعد الوجود

[1]. هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، الأصول. المبادئ. الأهداف، ص27.

[2]. يتجلى محور الهيرمينوطيقا القديمة في مشكل التأويل الرمزي والذي يسمى قديما بـ: "المعنى الباطني" أو "الهيبونويا" وهي كلمة قديمة كانت تدل على المعنى الرمزي. ويعترف شلايرماخر بالهيرمينوطيقا على أنها: تفادي عدم الفهم. للمزيد من المعلومات أكثر والتوسع فيها يمكن العودة إلى: المرجع نفسه، ص64، 104، 105.

ـ الهيرمينوطيقا: علم التأويل، السيمنطيقا: علم المعنى أو علم الدلالة (تسميات حديثة ووليدة النشأة، غربية).

الهيرمينوطيقي حقيقة واحدة تنقسم في الذهن والنظر والاعتبار، تتجاوز حقائق العالم الطبيعية والروحية إلى عالم الخيال المطلق[1] وهذا ما أكدنا عليه سابقاً في العلاقة المعقدة بين التأويل والتداولية.

النص يعادل فعل التواصل إذا حقق تفاعلا، وهنا يكون الفهم التأويلي هيكل من هياكل الحوار عبر تداولية لسانية كونية مناطها اللغة والسيرورة العقلانية. وعليه يكون التواصل اتصالا ومعنى وقصدا وهدفا، بما يخضعها لمعرفة العالم باللغة والتداول. وهو ما يقتضي معرفة منهجية وتقنية منتظمة.[2] وغرض التداولية يكمن في تقليص من حِدة التوسع وحجم ومدى التأويلات، من خلال الحد من التأويلات الهرمسية والغنوصية التي تقبل التنوع والتعدد المستمر، مما يضمن جودة في الفهم المباشر والإدراك الفوري لمجرى القول.

وهذا كله بهدف فهم ما يقوله المتكلم، وعلينا أن ندرك مدى صلاحية وجهة نظرة حتى يكون بيننا تفاهم حول المسألة المثارة.

وعالمية هرمينوطيقا جادامر لا دخل لها ببنية اللغة من حيث كونها عبارات منطقية وأبنية نحوية، ولكنها تقوم على بعدها التداولي_ والتواصلي_ وأكد جادامر أن الكائن الوحيد الذي يمكن أن يُفهم كما ذكرنا سابقا هو اللغة.

4.6 علاقة التداولية بالسيمانطيقا أو السيمانتيكية أو علم الدلالة

(إن القيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها. ونحن ننطلق من الكلمة لنطبق القيمة على أي إشارة): الغيم إشارة دالة على المطر وقرب هطوله، تقطيب الحواجب إشارة تدل على الحيرة والاستغراب من موضوع ما، عواء الكلاب إشارة تدل على الغضب والاستعداد للمواجهة[3]، وكلمة (أسد) تدل على الحيوان وهكذا، حين تخرج اللفظة من مكانها اللساني، مباشرة نعلمُ أن لها مدلولات ذهنية متنوعة، لا يمكن إقحام العملية الدلالية في العلامات اللغوية اللسانية فقط؛ بل حتى الإشارات

---

[1]. نصر أبو زيد: فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين ابن عربي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص49.

[2]. ينظر: أحمد مداس: التأويل في المنظومات المعرفية المشتركة، قراءة في مفاهيم وإجراءات المنجز اللساني والنقدي المعاصر، ص71.

[3]. بيير جيرو: علم الدلالة، تر: منذر عيّاشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1988، ص16 وما بعدها.

والعلامات الجسمية تحتمل مدلولات لها ومؤوليها، و(الإشارة، إذن، عبارة عن مهيج، يسميه علما النفس منشطاً، يظهر أثره على الجهاز العضوي حين يثير صورة ذهنية لمنشط آخر. فالغيم يستدعي صورة المطر والكلمة تستدعي صورة الشيء).

(يدرس علم الدلالة[1]، إذن، وظيفة الكلمات. وعلى عاتق هذه الوظيفة يقع نقل المعنى).

	شكل	وظيفة
أصوات		
كلمات		دلالات
بنى		

2

شكل رقم 18: يوضح الدلالة اللسانية والقدرة اللغوية

هناك العديد من الثقاة وعلماء اللغة لا يفرقون بين الدلالة والإشارة، والمصطلح يمتاز بالمفهوم الواسع نسبياً دون تمييزه عن التداولية أيضاً؛ إلا أن هناك طرق للتمييز بين معنى الجملة ومعنى الوحدة الكلامية.

[1]. علم الدلالة:Sémantique اشتقت من الكلمة اليونانية « Sémaine » تدل على دراسة المعنى، ودراسة العملية التواصلية التي تعتبر عاملاً مهماً في المنظومات الاجتماعية، والحاجة لفهم هذه المنظومات المعرفية أصبح بالأمر الضروري لدى الخاص والعام، أما الدلاليات أيضاً تعتبر مركزا هاماً لدراسة العقلية الإنسانية_ بيير جيرو: علم الدلالة، تر: منذر عيّاشي، ص9، 16 .

(علم الدلالة هو دراسة المعنى، علم الدلالة هو دراسة معنى الكلمات، علم الدلالة هو دراسة معنى الكلمان والجُمَل والملفوظات) _ إيرين تامبا: علم الدلالة، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص16.

[2]. بيير جيرو: علم الدلالة، تر: منذر عيّاشي، ص21، 27.

بهذا يصنف علماء اللغة باتفاق، علم الدلالة ضمن القدرة (معرفة اللغة)، أما الذرائعية أو التداولية ضمن الشق الثاني المتضمن في الأداء أو الإنجاز (استخدام اللغة).[1]

يمثل علم الدلالة فرعاً من فروع اللسانيات الحديثة، وذلك لا تخرج علاقتها عن علاقة التداولية باللسانيات التي تطرقنا إليها ءانفاً.

من خلال هذا نأتي للعلاقة الجوهرية القائمة بين علم الدلالة والتداولية؛ إذ يمكن القول إنها علاقة يشوبها كثير من الغموض، في المقابل تعتبر علاقة تداخل مردها أن كلا منهما يتناول المعنى، الذي هو فلك التواصل، ومهما حاولنا التفريق بينهما، فلا يكون العمل الدلالي الذي يحاول تبين معنى كلمة أو عبارة أو جملة أو نص، بمعزل عن علاقة ذلك بالمتكلم ومقاصده، وعن السامع والموقف، الذي يعتبر عمل تقوم به التداولية.

صحيح يشتركان (السيمانتيكية والبراجماتية) في الموضوع القائم على دراسة المعنى، وقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته.

من الدارسين من يّعد التداولية امتدادا للفضاء أو الدرس الدلالي، على نحو ما ذهب إليه (لاترافارس)، ولم تتضح العلاقة الحقيقية بينهما إلا بعد انتشار محاضرات أوستين، وتبعاً لهذا أن التداولية تقوم على التبعية لدرس الدلالي الذي يعرّف شروط المعنى وحقيقته، وتقوم التداولية بعد ذلك بدراسة تلك الشروط حين تربط المعنى بالاستخدام، ونجاح الملفوظ وإخفاقه، إذ تعتبر هذه الفكرة نقطة اختلاف، لأنّ استخدام المعنى مختلف عن المعنى[2] نحو الجملة: في هذه الحديقة حياة طوباوية؛ فالمعنى الحقيقي

(هذه الحديقة فيها حياة حقيقية مثالية). أمّا استخدامه فمختلف: قد يتجاوز مفهوم (حياة طوباوية) الحقيقة إلى المجاز، يتجاوز استخدام هذا المعنى من الإبلاغ بالمعنى الحقيقي إلى التحذير مثلا.

[1]. جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987، ص31، 61.

[2]. ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص128، 129.

ولا يتوقف عمل التداولية هنا فقط؛ بل تربط مقاصد المتكلم، بالبحث عن المقام المناسب، والشروط التي تؤدي إلى نجاحها أو إخفاقها، دون مراعاة لصدقها وكذبها، طبعا نحن نتحدث عن الجملة السابقة، سواء أكان غرضها الإبلاغ، التحذير أم تجاوز غيرهما من الأغراض المتنوعة، وتتجاوز التوصيل بين معاني الكلمات فيما بينها، إلى الربط بين النّص كاملا وسياق أدائه؛ وتكون حينها بين نوعين من المعاني؛ معنى يُستقى من الجُملِ فيما بينها (مجال الدلالة)، ومعنى يُستقى من الوحدة الكلامية كاملة (مجال التداولية).

(فالتداولية عموما تدرس مظاهر غير مشروطة حقيقة للملفوظ).[1]

انطلاقا من البعد الدلالي إلى البعد التداولي، لمواصلة مسيرة الأفعال الكلامية من خلال الجُملِ ومراميها.

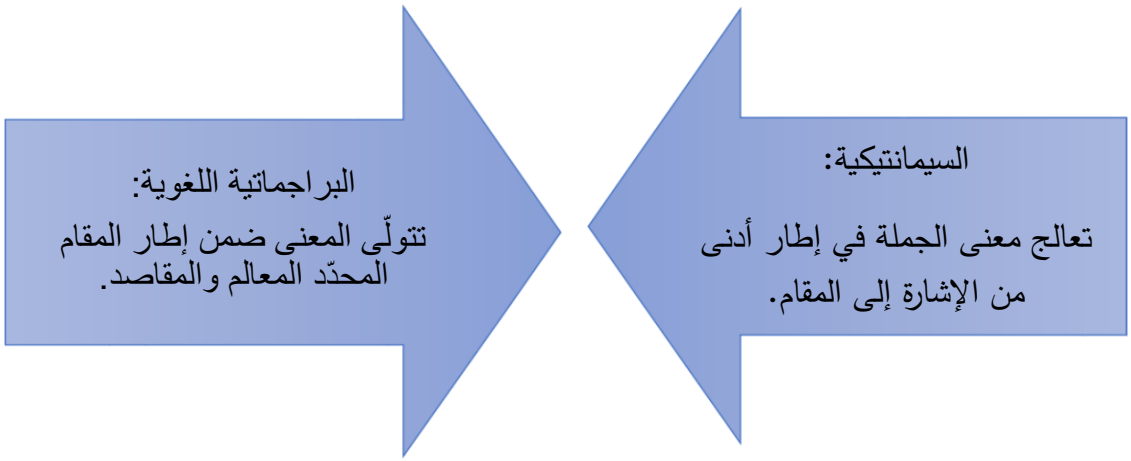

شكل رقم 19: خطاطة توضح العلاقة التبعية التداخلية بين علم الدلالة والتداولية

التداولية تقوم بدراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تكمل ذلك أو تهتم بما وراء ذلك الذي لا يستطاع حصره.[2]

[1]. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص132.

[2]. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص12.

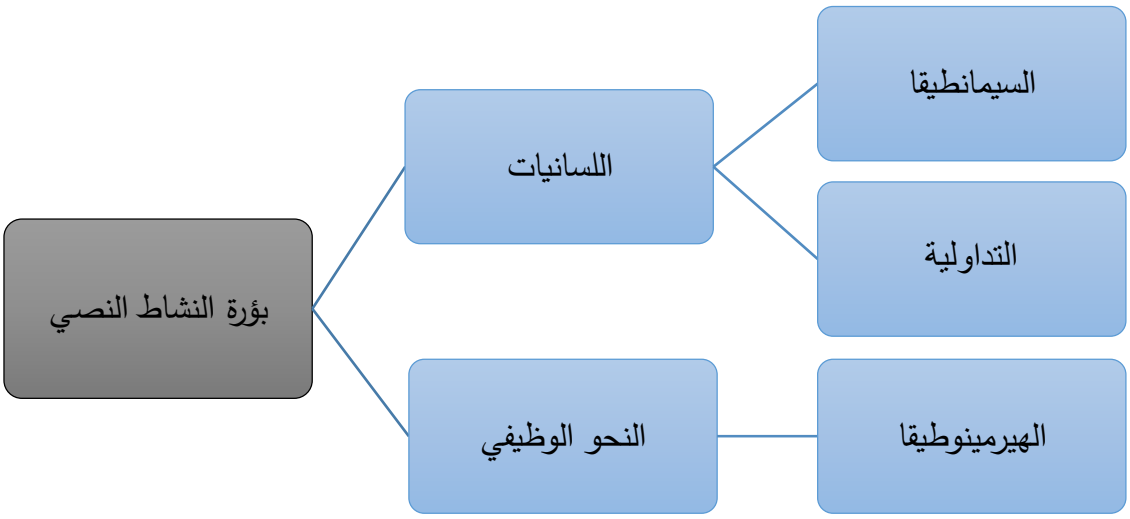

شكل رقم 20: خطاطة توضح نقطة تلاقي المعارف، وأثرها في سَبَكَ النص

حيث تساعد هذه العلوم النسقية النصية وغيرها، في بناء عجلة النص وتأويله.

الذي لا يمكن تجاوزه ذلك التقاطع بين التداولية مع علم الاجتماع، وفلسفة اللغة ومع بعض العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تهتم بموضوع التواصل البشري.

ولا ننسى مقولة المفكر والمنظر الاجتماعي رولان بارت عن اللغة وتعريفه لها في قوله: أن اللغة تقع على قمة هرم باقي الأنساق الأخرى[1]، وتعتبر قاسماً مشتركاً بين العلوم هذه وغيرها في الزمان والمكان شرط أن تكون بين متحاورين، نادرا ما تكون بين الذات الداخلية (الحوار أو الحديث مع النفس). وفي شبه معادلة تكون:

اللغة= بين بناء الذاتية وتشكيل الغيرية محدد+ فضاء أو سياق تواصلي ممكن ومحدد.

07_ مهام التداولية ومجالها التحليلي

تتلخص مهام التداولية في:

– دراسة منظمة تسعى للكشف عن العلاقات بين متواليات الجمل والقضايا التي تحملها، وتتطلع للتعرف على الروافد خارج_ لغوية، وتسخيرها لفهم أكمل للخطاب.

[1]. حسن بدوح: المحاورة، مقاربة تداولية، ص67.

– دراسة (استعمال اللغة)، التي تدرس " البنية اللغوية" ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي بوصفها (كلاما محددا) صادرا عن (متكلم محدد) موجها إلى (مخاطَب محدد) بـ (لفظ محدد) في (مقام تواصلي محدد) لتحقيق (غرض تواصلي محدد).[1]

– شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

– بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

– تبيان أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية في معالجة ودراسة الملفوظات.[2]

– العناية بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي.

– دراسة كيفية ربط اشتراطات نجاح الملفوظ وأسس التفاعل الإبلاغي ببنية الخطاب وتفسيره.

– دراسة مكونات التخاطب (المتكلم، والمخاطَب، والخطاب) وتأثيرها في المقولات اللغوية من ناحية التفسير والتأويل.

ويشير بعض الباحثين إلى أثر التداولية[3] في تعيين المجال التجريبي القائم على القواعد المنطقية، والبرهنة (فعل الإنجاز)، والذي يمكن قوله وبشكل عام إن الجانب التداولي يضم أثر المتلقي، والموقف، وهدف النص، والمقام...، وغير ذلك مما يختص بالعلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات.[4]

08_ أهمية الدراسة التداولية

_ تمثل الأرضية الواسعة لمعالجة اللغات الطبيعية، والتي ينطلق منها علماء النفس المعرفيون لدراسة كيفية معالجة العقل للمعلومات في عدد من نشاطه؛ مثل: الإدراك (الفهم)، والذاكرة (الحفظ).

---

[1]. بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص37، 38.

[2]. ينظر: نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، ط1، 2013، 21.

[3]. تختص التداولية بدراسة المعنى السياقي، وكيفية ايصال أكثر مما يقوله ويقصده ويوصله المتكلم، ويفهمه ويدركه المستمع _ جورج يول: التداولية، ص19.

[4]. بشرى البستاني: المرجع نفسه، ص38.

ـ تُظهر شخصية المتكلم؛ من حيث الإتقان والإجادة؛ يقول شيشرون الروماني في كتابه عن الخطابة: "إن الرجل يجب أن يقدم لكل شيء البراهين على حكمته، ويتكيف مع مختلف الظروف والشخصيات؛ عليه إذن لكي يكون بليغا جديراً بأن يجعل لكل مقام مقالاً لغوياً ملائما لتُظهر شخصية المتكلم.

ـ كشف النص، وإدراك ماهيته.

ـ قراءة التراث قراءة معمقة.

ـ فهم قضايا فكرية، ونصوص قديمة وأيضاً نصوص معاصرة.[1]

[1]. محمد محمود السيد أبو حسين: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي بالقاهرة، 2010، ص20.

الفصل الأول:

تفعيل حد المتكلم ولوازمه

المبحث الأول: الثورة الإدراكية بوابة للدخول في عالم المقصدية البيولوجية

المبحث الثاني: الأنماط الخمسة من النقاط التمريرية

المبحث الثالث: بنية مقاصد المتحدث ومشكلة المعنى والتقارير الكلامية

المبحث الرابع: العلاقة بين العقل والجسد في رسم مسار القصدية

المبحث الخامس: الحجاج رافداً ومبحثاً من مباحث الفعل القصدي لبناء هوية المتكلم

أهم النتائج المتحصل عليها في الفصل الأول

نسعى إلى تأسيس مجتمع مثالي للتداول، وأدوات مثالية للخطاب، وشروط مثالية هي الأخرى التي تتحكم في تلك المداولة والخطاب، لكن كيف سيجري ذلك الخطاب باعتباره محاججة تعتمد على الأفعال الكلامية ومقاصد المتحدث وعدم التصريح بالملفوظ، تهدف إلى صناعة المعايير وخلق التفاهم، وما هو مجاله الصحيح؟ إجابة هذه التساؤلات هي ما ستتعلق بالفصول والمباحث القادمة.

المبحث الأول: الثورة الإدراكية بوابة للدخول في عالم المقصدية البيولوجية

(يتم التواصل بين الخلايا العصبية عن طريق نقاط اشتباك؛ أي نقاط اتصال بين الخلايا، وتقوم الناقلات العصبية وهي مركبات كيميائية سماها لايكوف (الفعل الكيميائي) بإقامة ثقل اشتباك عصبي؛ أي إقامة عامل مضاعف مكثر، أو قل تأثير شديد على نقاط الاشتباك العصبي، فتصبح حافزاً ومثيراً، يؤثر على نقط الاشتباك لتحقيق اتصال بين الخلايا العصبية. بناء على مثير معين أو انفعال ما).[1]

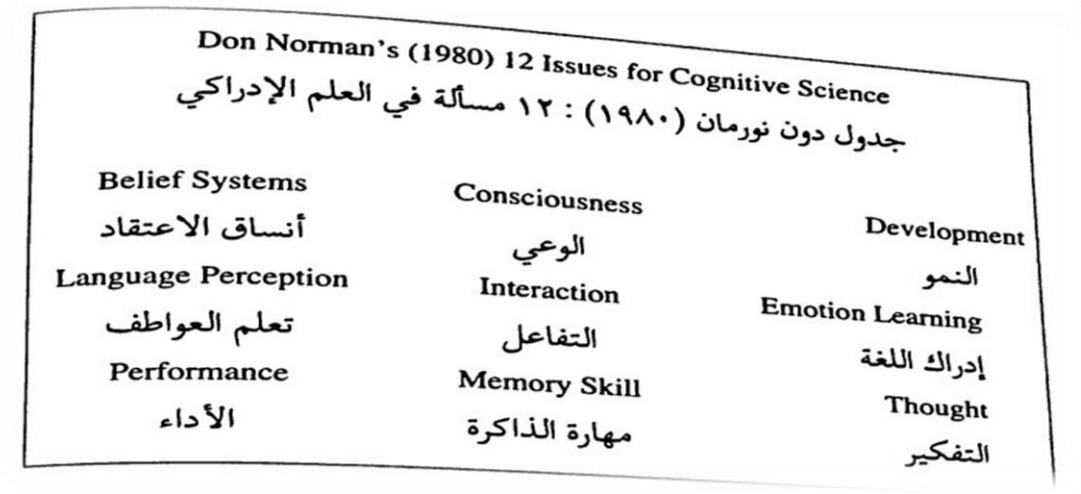

[2]

شكل رقم 21: يوضح كيفية الإتصال بالفكر والإدراك الإنسانيين.

[1]. عطية سليمان أحمد: اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية. عصبية. عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، دط، 2019، ص422.

[2]. محي الدين محسب: الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهاتٌ تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2017، ص28.

هذه العلوم الفكرية المعرفية الإدراكية الذهنية ربما يمكن تجميعها تحت أربعة اتجاهات رئيسية: =

"بدايات العقول نهاية المحسوسات" من خلال هذه العبارة نلاحظ فرق بين ما هو: إدراك حسي وما هو: إدراك عقلي؛ الأول: هو نتاج الأعضاء المادية المسؤولة عن نشاط الحواس الخارجية الخمس والحواس الداخلية في الدماغ التي منها الذاكرة وتخزينها للصور الماضية والقديمة (مثلاً: هذا الفرس)، وفي المقابل فإن الإدراك العقلي: الذي لا يتضمن فاعلية أي عضو حسي؛ حيث الكليات هي موضوعه المناسب، ومن ثم فإن الحواس هي التي تدرك (الفرس المعين)، أما العقل هو الذي يدرك الفُرسية.[1]

إذن فالجهاز العصبي الذاتي يقوم بتنظيم البنية الداخلية ومراقبة أداء الأعضاء المختلفة بصورة متزنة ومتوازية للوصول إلى القصد المراد تحقيقه.

- **الأساس العصبي للغة**

(أدى التقدم في دراسة عمليات التطور البشري والمخ واللغة إلى أن زعم كثير من العلماء عن ثقة؛ بأنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من التوصل إلى مفاتيح النهائية. أصبح بالإمكان توفير صور دقيقة وتفصيلية عن المخ البشري في حالة نشاطه، وتأديته لمهام لغوية أو لبحث العمليات التي تبني المخ البشري أثناء فترات النمو وتمايزه عن أمخاخ الأنواع المختلفة).[2]

نحن نحاول البحث عن المعرفة ما إذا كانت الإيماءات والصيحات لها معانٍ، نرى هذا التوليف يدل على إشارة ألا وهي: بناء نحوي بدائي.[3]

=(1. الاتجاه الرياضي: ويشمل المنطق الصوري، ونظرية البرامج ولغات البرمجة، والنظرية الرياضية في التصنيف وفي بنى البيانات المركبة

2. الاتجاه اللساني: ويشمل الدلاليات، والتركيب، والصرفيات، والصوتيات.

3. الاتجاه النفسي: ويشمل سيكولوجية الإبصار، والسمع، واللمس.

4. الاتجاه الفيزيولوجي: ويشمل دراسة وظائف الأعضاء الحسية، والدراسة المفصلة لمختلف أعضاء الدماغ). محي الدين محسب: الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهاتٌ تطبيقية، ص27.

[1]. المرجع نفسه: ص59.

[2]. تيرنس دبليو وديكون: الإنسان.. اللغة.. الرمز، التطور المشترك للغة والمخ، تر: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص29، 30.

[3]. المرجع نفسه: ص87.

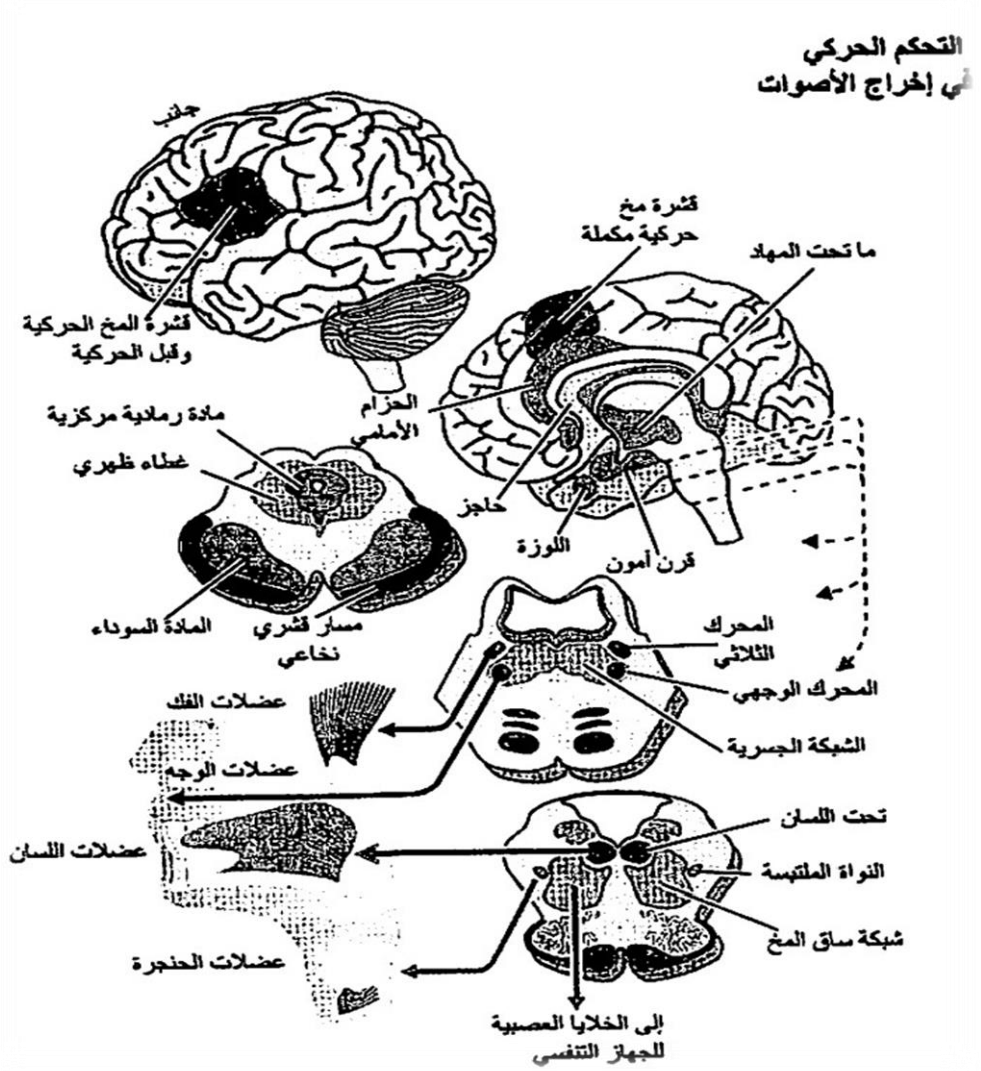

شكل رقم 22: يمثل أجهزة التحكم الحركي لإخراج الصوت عند البشر، وتحكمها في عضلات الوجه والفك، وكذا التحكم في اللسان وساق المخ وعلاقته بالمناطق الحركية للتنفس، ولا ننسى أن تنظيم إخراج الصوت يستلزم ويتطلب النشاط المتآزر للمجموعات من الخلايا العصبية الحركية.

وإذا اتفقنا مع سيرل بأن عمليات المخ تسبب الوعي، وأن الوعي هو ذاته ملمح من مستوى أعلى للمخ؛ فإن المخ يملك قدرة عالية وهو عضو بيولوجي، والوعي عملية بيولوجية، والقلب صناعي يضخ الدم.

نحن لا نعرف في الوقت الراهن كيفية عمل المخ بهذه القدرة الرهيبة.

[1]. تيرنس دبليو وديكون: الإنسان.. اللغة.. الرمز، التطور المشترك للغة والمخ، ص413.

(وإذا نظرنا إلى الأمر من وجهة نظر بيولوجية عصبية، وجدنا أن المخ يتلقى مجموعة ضخمة من المثيرات، ثم تتحول هذه المثيرات إلى خبرة واعية فريدة موحدة، وتُسمى فكرة الوحدة باسم مشكلة الربط).[1] والشيء الجدير بالملاحظة حول الوعي هو أن التفكير والشعور يحدثان في الوقت نفسه في نفس مجال الوعي، وهذا لا يمنع من وجود تمييزاً بين التفكير والشعور.[2]

من هنا نستطيع إيجاز الأفكار الأساسية السابقة حول بنية الوعي في القضايا التالية:

1_ يتألف ويتكون الوعي أو القصدية من حالات وعمليات داخلية وكيفية ذاتية، ومن ثم فإن وضعهُ الأنطولوجي (الذاتية الأنطولوجية) يأتي في صيغة المتكلم.

يؤكد سيرل على أن الوعي يرتبط ارتباطاً جوهرياً بالقصدية، بالرغم من أنه ليست كل الحالات الواعية قصدية، وليست كل الحالات القصدية واعية.

2_ نظراً لأن الوعي له أنطولوجيا في صيغة المتكلم، فلا يمكن ردهُ إلى ظواهر في صيغة الغائب بطريقة الرد النموذجية للظواهر الطبيعية الأخرى مثل: الحرارة والسيولة والصلابة.

3_ إن الوعي قبل كل شيء ظاهرة بيولوجية. والعمليات الواعية هي عمليات بيولوجية.

4_ إن العمليات الواعية تسببها عمليات عصبية عالية من المخ.

5_ يتألف الوعي من عمليات عالية المستوى تتحقق في بنية المخ.

6_ ليس هناك مخ صناعي يسبب الوعي ويحققه أيضاً.[3]

ويكون الكلام من وجهة نظر سيرل الطبيعية: ("وهكذا نملك وعياً متطبعاً؛ لأن العقل جزء من الطبيعة، وهو بيولوجي لأن طريقة تفسير وجود الظواهر العقلية طريقة بيولوجية، وذلك باعتبارها مقابلة للطريقة الحسابية، والسلوكية، والاجتماعية، واللغوية.").[4]

---

[1]. صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم، في الفلسفة المعاصرة، ص117.

[2]. المرجع نفسه: ص117.

[3]. المرجع نفسه: ص115، 116.

[4]. المرجع نفسه: ص116.

وها هي خمس أفكار جاء بها عالم النفس وعالم اللغويات ستيفن بينكر ونشرها في كتابه "اللوح الفارغ" الذي صدر عام 2002، وهذه الأفكار الخمس من الثورة الإدراكية غيرت كيفية تفكيرنا وحديثنا عن العقول:

1. الفكرة الأولى هي أن الإدراكيات انطلقت من مبدأ أن العالم العقلي يتأسس في العالم الطبيعي (القصدية في خضم التداولية) التي تتم عن طريق مفاهيم المعلومات والحوسبة والتغذية الراجعة.

2. أما الفكرة أو المبدأ الثاني يتمثل في: أن العقل لا يمكن أن يكون (حالة بيضاء)؛ لأن الحالة البيضاء لا تفعل شيئاً.

3. والفكرة الثالثة هي أن المد اللامحدود من السلوك الإنساني يمكن توليده عن طريق برامج تأليفية محدودة في العقل.

4. والفكرة الرابعة هي أن الآليات العقلية العامة بشرياً قائمة تحت التنوع السطحي للثقافات (يحكمها التنوع الثقافي).

5. وأخيراً يأتي مبدأ العقل الذي يُعتبر نظاماً مركباً، يتكون من أجزاء متفاعلة فيما بينها متشعبة وكثيرة.

(إن الخبرات الواعية بصفة عامة تُشير إلى خبرات أخرى تتجاوزها. وكل خبرة نملكها لا تقف وحدها منعزلة؛ وإنما تنسج وراءها دائماً خبرات إضافية. فالفكرة الواحدة لدينا تذكرنا بأفكار أخرى، وكل مشهد نراه ينقلنا إلى أشياء أخرى غير مرئية. ويُسمَّي سيرل هذا الملمح للخبرات الواعية باسم الفيضان).[1]

يرى بينكر أن الإدراكيات ثورة علمية. وهو ينسب هذه النظرية إلى أربعة علماء كانوا في منتصف القرن العشرين في جامعة هارفارد: جورج ميللر، ونوام تشومسكي، وجيروم برونر، وروجر براون.

كان بينكر متشبع بالأفكار التي تبناها تشومسكي في نموذجه اللساني بخصوص اللغة.[2]

---

[1]. صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم، في الفلسفة المعاصرة، ص121.

[2]. ينظر: محي الدين محسب: الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهاتٌ تطبيقية، ص36، 37، 38.

في نهاية الأمر نقول:

كل إنسان يستطيع أن يقدم قائمة بخبراته تختلف عن خبرات غيره؛ لكنها تندرج ضمن مجموعة من الأنواع هي الخبرات البصرية، والسمعية، واللمسية، والذوقية، والتفكير الواعي، والإحساس بالألم، والتخيلات العقلية، والانفعالات.

بالرغم من تنوع هذه الحالات الواعية[1]؛ إلا أنها تشترك في ثلاثة ملامح: الحالات الواعية الداخلية التي تحدث داخل جسم الإنسان وداخل مخه على وجه الخصوص.

فالوعي لا يمكن أن يقع في مكان منفصل عن المخ، كما أن سيولة الماء لا تنفصل عن الماء، وصلابة المنضدة لا تنفصل عن المنضدة، وكيفية، وذاتية.[2]

---

[1]. يكشف سيرل عن ثلاثة أخطاء تقليدية حول الوعي هي:

الوعي الذاتي: أي كل الحالات الواعية تكون واعية ذاتياً.

الاستبطان: يُعرف الوعي عن طريق ملكة خاصة تُسمى الاستبطان، الذي يعرف به المرء حالته الخاصة أو حالة المتكلم، ويعرف به أيضاً أن المعاني مسائل حقيقية من الناحية اللغوية والنفسية.

عدم قابلية التصحيح: معرفة حالاتنا الواعية الخاصة لا تقبل التصحيح.

من أبرز الملامح التي رسمها سيرل لبنية الوعي هي:

أولاً: الذاتية الأنطولوجية (الطبيعة الوجودية). **ثانياً:** الوحدة؛ أي أنني أملك كل هذه الخبرات كجزء من خبرة واحدة فريدة موحدة، متماسكة تمثل مقدرة المخ. **ثالثاً:** العلاقة بين الوعي والقصدية، ويوكد سيرل أن الوعي يرتبط بالقصدية. **رابعاً:** الحالات النفسية، التي تعد من الملمح الرابع للوعي، هو أن جميع حالاتنا الواعية تصل إلينا في حالة نفسية أو أخرى **خامساً:** البنية الكلية للخبرة الواعية: تتميز الحالات الواعية أيضاً بأنها تكون مبنية؛ أي أننا نبنيها في وحدات كلية متماسكة. **سادساً:** المركز والهامش؛ إننا نحتاج إلى أن نميز في مجال الوعي بين مركز الاهتمام وهامشه. **سابعاً:** الألفة؛ أي تتميز الخبرات الواعية بملمح آخر هو أنها تأتي إلينا بدرجات منوعة من الألفة. "والألفة ظاهرة متدرجة". **ثامناً:** الفيضان؛ فالفكرة الواحدة لدينا تذكرنا بأفكار أخرى. **تاسعاً:** السرور واللاسرور: الملمح الأخير للخبرات الواعية هو أنها سارة أو غير سارة بدرجة ما. وهذا ما سنتطرق له في العناصر القادمة. ولمعرفة المزيد من الأخطاء هذه وتصحيح سيرل لها يمكن العودة لكتاب: صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم، في الفلسفة المعاصرة، ص107، 117 وما بعدها.

[2]. المرجع نفسه: ص102، 103.

المبحث الثاني: الأنماط الخمسة المختلفة من الأفعال الكلامية أو من النقاط التمريرية

إن أرسطو، حين يتحدث عن الإيتوس؛ فإنه يشير ويذكر "خاصيته الأخلاقية، باعتبارها وسيلة إقناعية إذا ما استطاع خطابه الإيحاء بالثقة إلى مخاطبيه. لكن هذه الثقة المتحدث عنها، يلزم أن يكون وليدة الخطأ ذاته".[1]

سنركز في هذا العنصر على تصنيف سيرل للأفعال التمريرية، وأهم النقاط التي يجب تسليط الضوء عليها نظرياً وتطبيقياً.

هناك خمسة مقولات للأفعال المتضمنة في الكلام أو الأفعال التمريرية التي تعتبر نواة مركزية لباقي النظريات التداولية الفرعية (التي تحتاج تحقيق شيء ما) والتي لا بد أن تكون مشتقة من عناصر العقل وجوانبه وفق منظور سيرل:

هناك **أولاً** النقطة التمريرية الإثباتية الإخبارية (التقريرية)، ونقطة الفعل الكلامي الإثباتي هو التعهد للمستمع بحقيقة الخبر؛ ولأن للإثباتيات اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم؛ أي ننقل للمستمعين صفات الأشياء وكيف تكون سواء كان النقل صحيحاً أو خاطئاً (فهي يمكن أن تكون صادقة أو زائفة). النقطة التمريرية **الثانية** هي التوجيهية الإرشادية (آمرة) حيث نطلب من المستمعين القيام بأفعال معينة. والنقطة التمريرية في التوجيهيات هي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه، والتوجيهيات من مستوى الأوامر والطلبات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة؛ لكن يمكن أن تطاع أو تهمل، أو يخضع لها أو تستنكر. والنمط **الثالث** من النقطة التمريرية هي التصريحات، حين نحاول إحداث تغيير في العالم بأقوالنا، وفي التصريح، تكون وظيفة النقطة التمريرية إحداث تغيير في العالم بتمثيله وكأنه قد تغير. النمط **الرابع** من النقطة التمريرية هي التعبيرية؛ حيث نعبر فيها عن مشاعرنا وعواطفنا أو ببساطة هي التعبير شرط الصدق للفعل الكلامي، والنقطة التمريرية **الخامسة** هي الالتزاميات.[2]

---

[1]. أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011، ص92.

[2]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص210. وكتاب: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص217، 218.

رأى سيرل أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم؛ بل هو مرتبط أيضاً بالعرف اللغوي والاجتماعي. ومن هنا وضع التقسيم التالي:

أولاً: مرحلة الفعل الكلامي المباشر: يتطابق فيه كلام المتكلم مع ما يقصده.

ثانياً: مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر: لا يتطابق فيه كلام المتكلم مع ما بقصدة. فالمتكلم في نظر سيرل يمتلك إمكانات متعددة للتعبير عن مقاصد حدّدها في ثلاث، وهي:

~ أن يتلفظ المتكلم بجملة وهو يقصد ما تعنيه بشكل فعلي وحرفي.

~ أن يتلفظ المتكلّم بجملة وهو يعني ما يقوله.

~ أن يتلفظ المتكلم بجملة وهو يقصد ما يقوله.

يجيب سيرل عن تلك العملية التي يمكن الانتقال بها من حالة مباشرة إلى حالة تلميحية في شراكة مع التأويلية، لكن تلميح غير مباشر وذلك عبر سلسلة من الاستدلالات، وتتحقق العملية التواصلية بين المتكلم والمتلقي عبر الأسس الآتية:

1_ المعلومات المشتركة بين المتكلم والمتلقي سواءً أكانت هذه المعلومات لسانية أم غير لسانية.

2_ القدرات العقلية والاستدلالية العامة للمتلقي، واعتماد بعض المبادئ الحوارية.

وقد أشار سيرل إلى العدد الذي تحتويه الاستدلالات وتنوعها، والنتيجة المتحصل إليها هي مجرد نتيجة احتمالية فقط؛ لأنّ المتكلم هنا يمكنه أن يواصل الكلام بناءً على المعنى الصريح.[1]

[1]. ينظر: عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، ص254، 255، 256.

❖ أفعال الكلام في ديوان محمد العيد آل خليفة_نماذج مختارة_

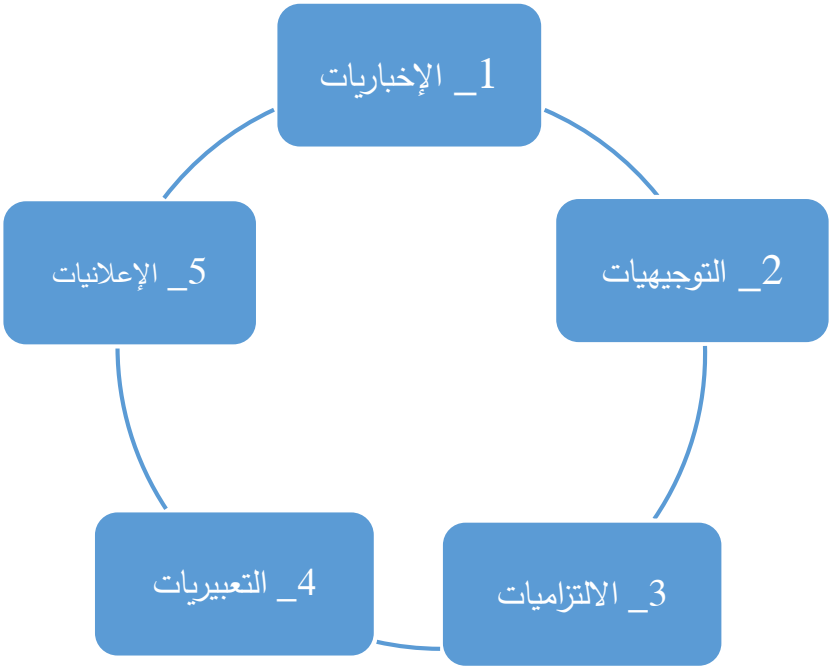

شكل رقم 23: أصناف الفعل الكلامي عند سيرل

إن الشعر من أرقى الفنون الأدبية وأعذبها التي عرفتها الأمة جمعاء، بشفراته ووظيفته الجمالية ومقاصده الواعية التي تميزه، أكدت ورسخت وجزمت بوجوده وسط الساحة الأدبية، من خلال (عملية إسقاط يقوم بها المتكلم لمبدأ التكافؤ من محور الاستبدال على محور التركيب).[1] إضافة إلى اللغة التأثيرية التي تميزه، أحياناً تكون بسيطة، في المقابل يركز أغلب الشعراء والدارسين في بعض المواضع بتوظيف التلميحات بدل التصريحات؛ إذ تكون اللغة مركبة من هنا تحولت مهمة الشاعر من بوق القبيلة يُخاطب الجمهور، ويُثير أحاسيسهم ومشاعرهم إلى شاعر مبدع يُعبر عن رؤيته الذاتية مستخدماً لغة الإيحاء بدل التصريح يقول عبد الوهاب البياتي: "الشعر ليس انعكاساً للواقع؛ بل هو إبداع للواقع"، ويقول صلاح عبد الصبور: "الشاعر إذن لا يعبر عن الحياة؛ لكنهُ يخلق حياة أخرى معادلة للحياة وأكثر منها صدقاً وجمالاً.." ويربط نزار قباني الشعر بالبعد الجمالي، والغاية الاجتماعية يقول: "لنتواضع إذن على القول إن الشعر هو كهربة لا تعمر طويلاً، تكون النفس خلالها بجميع عناصرها من عاطفة، خيال، ذاكرة مسربلة بالموسيقى" والذي يحدد معناه التداولي هو: السياق، وإذا

[1]. محمد مشبال: مقولات بلاغية في تحليل الشعر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1993، ص16.

قلنا المقاصد المركبة نعثر على "نظرية الأفعال الكلامية" التي من شأنها أن تظهر لنا بعض المقاصد والتأثيرات على القوة الإنجازية.

أولاً: النقطة التمريرية الإثباتية الإخبارية (التقريرات / التأكيدات)

يطلق عليها اسم: التقريريات أو التمثيليات؛ حيث يلتزم المتكلم فيها بصدق القضية المعبر عنها، والحالة النفسية هنا هي الاعتقاد، ترتبط درجة الالتزام بالفعل المستعمل، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عن أوستين وكثيراً من أفعال الأحكام.[1]

يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته "فلسطين العزيزة":

فَلسطينُ العزيزة لا تخافي * فَإِنَّ العُربَ هَبُّوا للدفاع

بحيش مُظلم كالليل عطّى * حِيالَكِ كلَّ سهْلٍ أو يَفَاع

وما أسيأفُهُ إلاَّ نُجومٌ * رُجومٌ لليهودِ بلا نِزاع

يُرابط في ثُغورك مستَعدًّا * على الأُهْبات للأَمْرِ المُطاع

ويتركُهمْ على الغبراءَ صَرْعَى * ومَا أنصارُهمْ غيْر النَّواعي

ونحنُ بَنِي العُروبة قد خُلقنا * نُلبي للمعارك كلَّ داعي

لنا في الحَرْب غاراتٌ كِبارٌ * وأيامٌ مُخلَّدةُ المَسَاعي

وهِمَّاتٌ تُهون كل خطب * إلى نيْل الشهادة في اطلاع

وكيف نَذِلُّ أو نرضَى انخِفاضًا * ونجمُ جُدودنا نجْمُ ارتِفاع[2]

فلسطين من أقدم مواطن الجنس البشري التي عمرها الإنسان، وفي هذا الخطاب الشعري الذي ورد من طرف المتكلم (الشاعر محمد العيد آل خليفة) ذي النزعة القومية، والتعبير الصادق، ناقلاً حالته الانفعالية، يُطَمْئِنُ في مطلع قصيدته فلسطين من خلال إقبال العرب للدفاع عنها، واصفاً تلك

[1]. ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 79.

[2]. محمد العيد آل خليفة: ديوان شعري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلية، الجزائر، دط، 2010، ص303، 304.

الصلة المتينة والمحبة الشديدة والعلاقة القوية التي تربطه (المتكلم أو الشاعر) بالأرض والقضية الفلسطينية خاصة، وبالأمة الجزائرية والعربية جمعاء عامة، حتى يصل لنتيجة مفادها أن: ستبقى فلسطين السقف الذي تشيد به جميع المنازل العربية المختلفة، ومحبتنا لها في الشريان، ويؤكد على همته وعدم استسلامه لنيل الاستقلال.

يدور مضمون الخطاب الشعري حول ما أُخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، هنا يتعهد للمستمع حقيقة الخبر وهو: تحقيق الانتصار على العدو الصهيوني الغاشم، واسترجاع الأرض المسلوبة، في المقابل يتوعد للعدو الصهيوني الرحيل قريب، ونحن نقف على مشارف النصر الكبير والنهائي، ويقول له أن لو اجتمعت السماوات ومن فيها، والأرض ومن عليها على أن يضروك بشيئاً (فلسطين) لن يضروك إلا بشيئاً كتبه الله لك.

إن رسالة محمد العيد آل خليفة في هذا الخطاب الشعري كانت عبارة عن توظيف الأفعال الإثباتية الإخبارية؛ أي إثبات حقيقة الانتصار، والوظيفة الانفعالية/ التأثيرية/ الإغرائية لاستمالة المستمع؛ حيثُ أعرب فيها المزاوجة وذلك بتوظيف النادر للأفعال الماضية الدالة على الثبات والاستقرار بصيغة الجمع والاتحاد نحو: (وهبوا)، في المقابل ورد التوظيف المكثف للأفعال المضارعة نحو: (يُرابطُ، يتركهم، تُلبي، تهون، نُذلُّ، نرضى) والتي كان لها حضوراً قوياً وسيطرة على هذا النص الشعري، وذلك تفيد تقرير وتأكيد الحقيقة وبثها، مع أنها واضحة؛ لكن هذا التوظيف السريع المسيطر للأفعال المضارعة جعلت من النص الشعري يتميز بخاصية الاستمرارية والحيوية والتجديد في الوقت نفسه، فكانت العبارات ومدلولاتها ومقاصدها التداولية التوظيفية تسعى وترمي إلى: الحفاظ على كينونة وحيوية.

رحل العلامة محمد العيد آل خليفة، ولم يرحل العدو الصهيوني.

ثانياً: النقطة التمريرية الثانية هي التوجيهية الإرشادية (آمرة)

تسمى أيضاً بـ: الأمريات أو الطّلبيات، غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطَب إلى فعل شيء ما.[1]

[1]. ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 79.

يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته "يا وفد سَائل فرنسا":

يا ابن الجزائر كنْ مستَوفزَ الحذَر * فإن قانونك الشَّخصيَّ في خطر

اللجنةُ اقترحت بالأَمس واقترَعت * فارفضْ بها كلَّ رأي سيء الأَثر

احتجَّ ان احتجاجَ الشعب ظاهرةٌ * بأنه مرهفُ الإحساس في البشر

وودع اليوم وفدًا عنكَ مُرتحلا * الى فرنسا كريمَ الوِرْدِ والصَّدَر

يا وفدُ سائلْ فرنسا عن مَطالبنا * الى متى هي تحتَ البحْث والنظر

يا وفدُ حذر فرنسا من مُماطَلَة * كدْنا نميل بها لليأسِ والضَّجر

لا ترضَ للدين لا مَحوًا ولا غَرَرا * تنزَّه الدينُ عن محوٍ وعن غَرَر

فمَنْ يعيشُ بِلاَ دِين يَدينُ به * كمَنْ يعيشُ بلا سمْع ولا بَصَر

يا وفدُ نُب عن بلاد فيك واثقةٍ * أزكى النيَابة وانشدْ كاملَ الوطر

وسر بحزم على اسم اللَّهِ متَّحدًا * مارستَ بالجَزِم إلاَّ عُدْتَ بِالظَّفر[1]

قبل أن يكون المتكلم (الشاعر محمد العيد آل خليفة) ذا نزعة قومية فهو يحمل في صدره نزعة وطنية ومن أصحاب الالتزام بالدرجة الأولى؛ إذ يكشف هنا عن مواجهته لفرنسا دافعا معه في ذلك المخاطَب (الوفد الجزائري) بلغة طبيعية عادية واضحة، أسلوب مباشر ومناسب لكل السياقات، إضافة إلى العنوان الذي يختصر مدلول الفعل الكلامي ومضمون القصيدة.

في هذا المقطع الشعري يدعو المتكلم أو الشاعر محمد العيد آل خليفة الجزائريين (أبناء بلده) وبالتحديد ركز على فئة معينة التي كانت مقبلة إلى الذهاب للبلاد الفرنسية وهي: (الوفد الجزائري) ويحذرهم بعدم الرضوخ لفرنسا وقوانينها، وينبه الوفد إلى تلك الشباك المنصوبة في طريقه والمكائد المترصدة لمطالبه، كما يأمرهم في ذلك طالباً من المستمعين (الوفدُ) القيام بأفعال معينة وذلك بتوظيف الأفعال الآمرة كما ذكرها سيرل ذات المدلول التوجيهي الإرشادي التي جاءت بكثرتها تسعى إلى تقويم سلوك المستمع ومحاولة إجادة الصواب بطريقة مباشرة نحو: (احتجَّ ، وودع، نُب..). فكانت

[1]. محمد العيد آل خليفة: ديوان شعري، ص291.

مهمة الأمر ومضمون الرسالة الموجهة للوفد الجزائري بأن يسأل فرنسا ويذكرها بالمطالب ويلهم الجزائريين بعدم الاستسلام لحماية دينهم وأرضِ وطنهم المسلوبة طوعاً أو كرهاً، والغاية في إرشاد المتلقي تتمثل في: أن يتقدم المتكلم ويوجه خطابه ويحث وينير دروبهم ليهتدوا به إلى شعلة والحق، من أجل استرجاع الحقوق التي أخذتها فرنسا من الجزائريين.

ثالثاً: النمط الثالث من النقطة التمريرية التصريحات

أو الوعديات، غرضها الإنجازي التزام المتكلم بتحقيق عمل ما، وشرط الإخلاص هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائماً فعل المتكلم شيئاً في المستقبل.[1]

يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدة "لا أنسى":

أأكتم وَجدي أو أهَدئُ إحساسي * و(ثامنُ ماي) جُرجُهُ مالَه آسِي

وأرقُب مَّن أحْدثوه ضِمادَه * وهمْ في جماح لم يَميلوا لإسْلاَس

تمُرُّ الليالي وهْو يَدْمي فلم نَجد * لهُ مِرْهمًا منهمْ سوى العنف والباس

إذا ما رجونا بُرأهُ ثَرَّ دافِقًا * بأحداث سُوء وقْعُها مؤلمٌ قاسي

فيا لجِريج ظلَّ ينكَأ جُرحهُ * ويؤذَى بلا ذنب على أعينِ الناس

ويا لضَعيف في الشعوب مُعَذَّبٍ * غدَا تحت نِيرِ الظُّلم منْحَنِي الراس[2]

في هذه القصيدة يعبر ويصرح الشاعر عن مشاعره وإحساسه عندما يتذكر ذلك اليوم وحسرته على هذه الواقعة، الذي أصبح (ذلك اليوم) مثل ضمادة الجرح يفتح ويغلق متى شاء إزاء وأمام هذه المأساة الدامية معلناً للمخاطَب والتصريح له عن هذا الفعل الشنيع، الذي سيبقى له جراحات لا تندمل (عدم الاقتراب من الشفاء، ولا يُريد الشفاء من أساسه) وهذا ما عبر عليه عنوان القصيدة "لا أنسى"؛ إذ ذهب ضحيته حوالي أو قرابة 45 ألف شهيد وطني؛ لأنهم نادوا بحرية واستقلال الجزائر.

[1]. ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 79.

[2]. محمد العيد آل خليفة: ديوان شعري، ص297.

من بين المعاني التصريحية المتمثلة في الأفعال المضارعة نحو:(أرقُب، تمُر.) وهذه الأفعال الكلامية صاحبة استمراية وديمومة ذلك الألم الداخلي والجرح والنزيف العميق، في المقابل تذكير موجه لفرنسا وما فعلته في هذا اليوم الذي أصبح مجزرة ومذبحة وفقدان أهلك الشعب الجزائري برمتهِ.

يمتاز هذا الصنف من الأفعال التمريرية بمطابقة محتواه القضوي للواقع؛ أي محاولاً في ذلك إحداث تغيير في العالم بأقواله بلهجة صادقة مباشرة، وذلك بتمثيل العالم وكأنه قد تغير من خلال غايته الخفية المتمثلة في البيت الأخير؛ حيث ضرب مثل ذلك الضعيف المعذب المُنحني الرأس؛ حيث يقول المثل السائر (جنت على أهلها براقش)، بالتالي يوجه رسالته ودعوتهُ للشعوب كافة في عدم وضع الثقة في تلك المساعدات والتدخلات الخارجية وحتى الداخلية.

رابعاً: النمط الرابع من النقطة التمريرية هي التعبيرية

تسمى أيضاً بـ: البوحيات وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص في التعبير عن القضية، ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والتعزية، والترحيب.[1]

يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته "يا نفس"":

عرفتك يا نفسُ أزهري أو ترهبي * على كل حال مذهبي فيك مذهبي

عرفتك نفسا بالغرور مريضةً * قديماً فما تُجدي ضروب التطُّبب

مباءة نكران ووِرد ضلالة * ومنبِت خسران ومهد تقلُّب

إخالُك ليثًا بين جنبيَّ أغلبا * فمن لي لليث بين جنبيَّ أغلبِ

يرَوعني بالوثب والزأر دائمًا * ويحبِسني ما بين ناب ومِخلَب[2]

يُعبر الشاعر في هذا النموذج الشعري بما هو موجود داخله من مشاعر وعواطف وشفقة على حاله ونفسه، واصفاً نفسه بالمغرورة المتقلبة، وهذا حال البشري عامة.

[1]. ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 79.

[2]. محمد العيد آل خليفة: ديوان شعري، ص263.

هنا المتكلم (الشاعر محمد العيد آل خليفة) أنجز فعلاً كلامياً تعبيرياً غرضه الإنجازي التعبير شرط الصدق للفعل الكلامي المتمثلة في: الحسرة والحزن في تتبع النفس الأمارة بالسوء الحريصة على دفع صاحبها نحو مخالطة المعاصي والدخول في عالمها الذي لا ينتهي، وخير دليل نستشهد به في قوله تعالى: {وَمَآ لأُبَرِّئُ نَفْسِىَ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ الاَّ مَا رَحِمَ رَبِّىَ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[1] والجري وراء ملذات الدنيا ومُغرياتها، في المقابل تظهر النفس اللوامة لقوله عز وجل: {وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}[2] التي تترنح بين الاستقامة والإقامة والخير وبين الاعوجاج والانحراف والشر، ساعياً وراجياً من الله الصلاح والتقي والعفاف، ذلك في ترك كل هذا وتفرغ النفس من كل شهوات الدنيا للعبادة الله وهذا يدخل في باب: الزهد. وصولاً لإحدى درجات النفس الإنسانية وهي: مرتبة الاطمئنان أو النفس المطمئنة الراضية الراجعة إلى ربها الفائزة بالرضا والجنة. يقول الله تعالى في كتابه الحكيم: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةَ*ارْجِعِي إِلَى رَبَّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}.[3]

خامساً: والنقطة التمريرية الأخيرة والخامسة هي الإلزامية

أيضاً يطلق عليها اسم: الإيقاعيات والسمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، وسماها أوستين في بداية ملاحظاته أقوالاً إنشائية.[4]

يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته "وعظ دقات القلوب"

(تشطير بيتين لشوقي)

(دقات قلب المرء قائلة له)

عجّل بما يبقى فإنك فاني

ما في حياتك للملاهي فسحةٌ

---

[1]. القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع، سورة يوسف الآية 53.

[2]. القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع، سورة القيامة الآية 2.

[3]. القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع، سورة الفجر الآية 30، 31.

[4]. ينظر: عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، ص260.

(إن الحياة دقائقٌ وثواني)

(فارفع لنفسك بعد موتك ذكرَها)

بصنائع المعروف والاحسان

من نال رفع الذكر عاش مخلَّدا

(فالذكر للإنسان عمرٌ ثاني)[1]

حيث يدعو الشاعر إلى الالتزام بالفعل وهو: تطبيق التوبة في القول والفعل والابتعاد عما يفسد البدن والبلاد قبل الموت والعمل بها في المستقبل وفي الحياة كونُ أن الدنيا فانية وزائلة، وينصح بالإحسان والالتزام بالذكر مع مجاورة الصحبة الصالحة؛ إذ بدأ المتكلم مباشرة من العالم (الحياة) ووصفها في كلمة "ملاهي" متجهاً إلى الكلمة.

توفر شرط الصدق في هذه المقاطع الشعرية؛ إذ نجد الشاعر أنجز فعلاً تمريرياً إلتزامياً هو (فارفع) أي أن الشاعر ملتزم بفعل هذا، فكانت له (التوبة) حتمية لا مفر منها، رجل حق ودين قبل أن يكون رجل إصلاح وقبل أن يستهدف فئة عمرية وهي: فئة الشباب أو فئة الناشئة عامة.

"فليس كل فرد منا إلا مخ في وعاء. والجمجمة هي الوعاء. ولا تصل الرسائل إليها إلا عن طريق التأثيرات التي تحدث للجهاز العصبي".[2]

المتأمل والملاحظ في التصنيف الذي وضعه سيرل، أنه يركز فيه على ربط اتجاه المطابقة بالأفعال الإنجازية، وبالرغم من هذا التصنيف الذي وضعه هذا العالم اللغوي سيرل؛ إلا أنه لم يتخلص كلياً من المآخذ الذي ورثه من أوستين.[3]

والنقطة التمريرية الأخيرة والخامسة هي الإلزامية. وكل إلزامي هو تعهد من المتكلم لمباشرة مساق العمل أو الفعل الممثل في المحتوى الخبري. وتتوفر الإلزاميات في المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات. والتهديد إلزامي أيضاً؛ ولكن عكس بقية النماذج، ضد مصلحة المستمع ولا يعود عليه

---

[1]. محمد العيد آل خليفة: ديوان شعري، ص252.

[2]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص287.

[3]. عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، ص260.

بالنفع، واتجاه الملاءمة في الإلزاميات هو دائماً من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق المعبر عنه دائماً القصد، والإلزاميات حين نُلزم المتكلم بقيام معين في المستقبل. ويتضح أن هذه الأنماط الخمسة للأفعال الإنجازية.[1]

في المقابل يستفيد هابرماس وسيرل من أفكار أوستن وبالذات فكرة التأثير على المستمع، ومن هنا تتحرر هذه الفكرة من تلك الهيمنة والسيطرة، من أجل صنع وتشكيل عالم وكون وكلام مثالي، وهذا من خلال إضافة سيرل[2] في هذا المجال التداولي وهي فكرة: قصد المتكلم، التي تشكل المحور الآخر والمهم من نظرية الأفعال الكلامية، أي أن سيرل يؤسس لنظرية الأعمال اللغوية لها مقصداً مزدوجا. (وعندما يحصل التأويل لدى المتلقي؛ فإن ذلك يعني أن الفعل التمريري لمنطوق المتكلم يجب أن يخضع لمصدر ما، يصدر عنه المعنى، في حلقة الاتصال بين المتكلم والمتلقي؛ أي أن المعنى يتحقق بالقصد من المتكلم، وبلا قصد فإن الكلام يصبح غير حقيقي ولا يسمى فعلاً كلامياً، والفعل التمريري هو ما يتعلق بمقصد المتكلم على خلاف الفعل التأثيري الإيحائي الأوستيني الذي يتعلق بالنتائج المترتبة عليه من قبل فهم المتلقي، والقصد الرامي إلى التواصل يجب أن ينطوي على نطق صحيح، ويجب أن يتوفر على شروط إشباع للقصد المطلوب من اللفظ، ويجب أن يتعرف المستمع عليه بنفس الأعراف التي تحكم اللغة المتداولة بين الطرفين، المتكلم والمستمع).[3] لإيصاله المثالية الهيمنة أو الأدلجة الفعل التمريري أو الفعل الكلام، يعود للقصدية شفافة وتأثيرات هادفة الفهم والتفاهم،

---

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص210. وكتاب: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص217 وما بعدها.

[2]. لقد صنف سيرل الجملة على أنها اتجاهين هما: الأول: الوسيلة الدالة على القضية والتي تحمل الصدق والكذب، والثاني: الوسيلة الدالة على المغزى الكلامي، وهذا بجعل تعلق المعنى الثاني بمعنى المنطلق الذات المتكلمة في تحديد دلالة الجملة. ينظر: عَلي عبود المُحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص223.

ـ الفعل التمريري:(كل قول منقول من شخص إلى آخر لُغوياً، ويحمل دلالة قصدية من المتكلم). المرجع نفسه: ص224. (وحينما نتكلم أو نكتب لبعضنا فإننا نؤدي أفعالاً تمريرية). جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص202.

[3]. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، 201 وما بعدها.

بغية الوصول إلى تواصل حر وصحيح ومثالي، لذلك فالحالة المثالية للكلام تعتمد على النقاش، وأدوات التداولية الأوستنية_السيرلية.[1]

تُعد القصدية (تلك السمة العقلية التي يتوجه بها العقل إلى، أو حول، أو عن موضوعات وظروف العالم. والقصدية قبل كل شيء، هي ظاهرة بيولوجية مشتركة بين البشر والحيوانات الأخرى. وأبسط أشكال القصدية هي الأشكال البدائية بيولوجيا مثل الإدراك الواعي، والأفعال المتعمدة، والجوع والعطش، ومشاعر.).[2]

(أما الأشكال الثانوية فهي أشياء مثل الإيمان، والرغبة، والأمل. تتكون كل حالة قصدية من مضمون ونمط نفسي)[3] باختصار هي: عملية طبيعية بيولوجية أو ظاهرة بيولوجية مثل أي ظاهرة بيولوجية (طبيعية) أخرى، تمثل صفة لكل أفعال الكلام والحالات العقلية وتشير إليهما معاً، أو لهذا نحن نهتم بالتأثيرات التي تنتج القصدية وتشمل الشبكة القصدية، وليس لدينا إلا العقل لِنمثل العالم بأنفسنا، في المقابل يُمثل القصد حالة شعورية واعية يمتلكها المتكلم أثناء التحدث، هذه الأخيرة تدفعه نحو إنتاج سلسلة لغوية بدافع الدخول في عملية التواصل أو في دائرة التخاطب اللغوي أو التداول اللغوي[4] مبدؤها المتكلم، ولضمان نجاح العملية التواصلية حبذا توفر شخصاً يخاطبه أو شخصية

---

[1]. عَلي عبود المُحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، 224.

[2]. جون ر. سيرل: رؤية الأشياء كما هي، ص43.

[3]. المرجع نفسه: ص43.

[4]. من شروط التداول اللغوي التي حددها طه عبد الرحمن في كتابه المُعنون بـ:" في أُصُول الحوار وتجديد عِلْم الكلام" نجد:**1_النطقية:** لا يكون فيها المحاور ناطقاً حقيقياً إلا إذا تكلم لساناً طبيعياً. ومن طبيعة كل منطوق: 1.1_ ألا تنفك الصور اللفظية فيه عن مضامينها، هذه المضامين التي كلما كانت صلتها بالمعتقدات والمقاصد ألصق، كان تأثيرها في نفسية المخاطَب أعمق.2.1_ أن يكون المنطوق متعدد الوظائف والمستويات، بحيث تتزاوج الأقوال ويتمازج فيه الاعتقاد بالانتقاد. 3.1_ أن يكون المنطوق موجها توجيهاً عملياً، بحيث تتداخل المعاني مع المباني. 4.1_ أن يكون المنطوق مفتوحاً فتحاً مستمراً تتأسس وتُبنى موضوعاته وأساليبه بناءً تدريجياً، تنتقل من الإجمال إلى التفصيل، ومن الإشكال إلى التبيين، ومن الخفاء إلى العلن أو الظهور، علاوة على ما قد يتحكم فيها من تغيرات تصيب أوضاعها الاستدلالية، وكل ذلك من شأنه أن يجعل المحاور يقوم بعمل "الصانع" الحقيقي و "الباني" الفِعلي للموضوعات التي يدور عليها حولها كلامه. ثاني الشروط المتعلقة بالتداول اللغوي نجد: **2_ الاجتماعية:** المُحاور يعلم جيدا أن كلامه يتوجه إلى غيره مُطلِعاً إياه على ما يعتقد وما يعرف، مطالباً إياه بمشاركته بكل اعتقاداته ومعارفه، هنا يظهر البعد الاجتماعي للحوارية متجاوزة بذلك الخلافات في الرأي بين المتحاورين تجاوزاً لا يأتي بالحل الوحيد والأوحد بقدر ما يأتي بحلول متوازنة معتدلة، إذن فالحوارية تقوم على مبدأ "التعاون" مع الغير في طلب الحصول على الحقائق واتخاذ القرارات وفي التوجه بها إلى العمل. **3_ الإقناعية:** عندما يطالب المُحاور من غيره بمشاركته، فهو بذلك=

أخرى أو طرف ثانٍ تسمى بـ: القارئ، وإطاراً زمانياً ومكانياً والغاية أو الهدف من الموضوع لا يخلو منهما حدث لغوي، وأدوات أخرى مثل سياق التلفظ المادي والظواهر الجسدية وتلك القواعد الاجتماعية والثقافية أو العُرف ومجرى العادة في التخاطب، والعُرف ما استقرت النفوس وتعودت عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول، الذي يتصل بقصد المتكلم وبيانه، والاستعمالات العادية للكلام؛ أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع، ولبناء كلام معين قائماً على الحجج والبراهين وتقديمها لسانياً أو اندرجت تداولياً، ويستهدف التأثير في السامع وطبيعتهُ مع الاتساق التداولي (مطابقة القول للفعل) ويقتضي هذا الأخير آليات إنتاجية في فهم الخطاب وتفسيره، ويتطلب إتقان الجانب القولي والفعلي من أجل الوصول إلى المقصد والمحدد اللغوي للمجال التداولي، يعتمد على مستويين أحدهما محلي الخاص بدراسة المقصود غير المتبادر، كمرامي الألفاظ (الواضح والمبهم)، وإدراك معاني الألفاظ ودلالاتها، كما يهتم هذا المستوى أو الجانب بدراسة العلاقات الموجودة بين الأفعال الكلامية داخل النص مثل: الاستنتاج، الإضافة، التسويغ، والعديد من الوظائف التي يقوم بتناولها، أما الجانب الثاني الذي يعتمد عليه الاتساق التداولي في عملية إنتاجه في فهم الخطاب ألا وهو: المستوى أو الجانب العام، يفترض في النص أن يكون ذا اتساق تداولي عام سواء كان بسيطاً أو مركباً، يهتم بدراسة ظاهرة التجانس الصوتي، وسبل تطوير التلقي الشفهي، وتأثير الروابط في الجوانب النفسية والاجتماعية للقارئ والمستمع. من العوامل التي سنقوم بذكرها، بدورها تُعين الطرفين لتشكيل قناة تواصلية ويكون بذلك الخطاب ناجعاً فعالاً داخل نسق دينامي مستقل، جاهداً يولد أنماط فاعليته المتسقة وذات معنى ويحافظ عليها ألا وهو: الجهاز العصبي؛ إذ تُعد البرمجة العصبية من أهم الروافد التي ساعدت في بروز الفكر التداولي، وهذا ما تطرقنا وعرجنا له سابقاً.

لقد عرفنا أهم النقاط والميكانيزمات التي سنسلكها في تحديد مدارات القصدية بوصفها حالات عقلية قائمة على مستويين هما: النمط النفسي كالمعتقدات والرغبات والمقاصد أو بما يسمى بـ: الحالة

=يتبع سبلاً استدلالية متنوعة تجر الغير إلى الاقتناع برأي المحاور، وقد تزدوج أساليب "الإقناع بأساليب "الإمتاع" فتكون وأجدر على التأثير في اعتقاد المخاطَب. **4_ الاعتقادية:** كل مُحاور يعتقد بعض القضايا ضرورية ومُسلم بها، فضلاً عن كونه يعتقد الرأي الذي يعرضه على الغير، ويعتقد أن هذا الاعتقاد يتطلب صحة وسلامة ودليل. لمعرفة المزيد يمكن العودة لكتاب: طه عبد الرحمن: في أُصُول الحوار وتجديد عِلْم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص37، 38.

القصدية المعبر عنها في تنفيذ الفعل. ويتمثل المستوى أو الركن الثاني في المضمون القصدي أو القصد الخاص بالقيام بالفعل.

(فمثلاً أقول "إن السماء تمطر"، أعبر عن اعتقاد "أن السماء تمطر"، وأنجز فعلاً قصدياً في القول "إن السماء تمطر". كذلك تكون شروط تحقق "الحالة القصدية")[1] وهذا (المضمون القصدي) يتطلب إشباع القصد أو علاقة التطابق أو التناسب، لا يتم هذا إلا إذا سبب القصد نفسه بقية شروط إشباعه وهذا الأمر تطرقنا له سابقاً، فالقصدية ومداراتها ستتضح من خلال حديثنا عن حدود المتكلم ومقاصده الإنتاجية وما هو قارئاً ومدركاً في الآن نفسه والعلاقة بين المنتج بوصفه متكلماً والقارئ وفق سياقات معينة يحكمها العُرف الاجتماعي، وذلك بتحليل نصوص ونماذج مختارات وفق المنهج التداولي الذي يتأسس على تحليل اللغة الطبيعية وفلسفتها التحليلية التي تُعد جزءاً من فلسفة العقل أو فرعاً منها، من منطلق استعمالاته والمبادلات الكلامية التي يجب أن تتطابق مع شروط تحقق شروط الصدق (أو المصداقية)، وقد يعتمد بعض المناطقة واللسانيين هذا الموضع في تحديد الدلالة اللغوية، فجعلوا دلالة الجملة هي: مجموعة الشروط الضرورية والكافية لصدقها القائمة بين الذوات الفاعلية؛ لبيان أثر السياق في كشف المعاني المقصودة من خلال العملية التواصلية اللغوية التي تجمع المتكلم والمخاطَب بوصفهما ركني الحدث القولي (الفعل الكلامي أو أفعال إنجاز أو تقارير الكلام) الذي يُعد شكل من أشكال الفعل البشري المرتبط بالقدرة العقلية، هدفها وصل الكائن البشري بالعالم، ويتكون الفعل القصدي الناجح من قصد مصاحب للفعل وحركة جسدية مصاحبة للفعل، ونجاح الفعل اللغوي يتحقق بحضور المتكلم والسامع معاً وكل الظروف السياقية التي تحيط بالفعل، ويهتم المنهج التداولي بإضفاء وتطور الدلالة على الوحدات اللغوية وإكسابها دلالات أخرى عن طريق قصد المتكلم وتأويل المتلقي والروابط بينهما.

يحاول المنهج التداولي الكشف عن النظام الدلالي ومشكلة تعدده المفتوح وغير المنتهي المتعلق بالمتكلم ومتلقيه في الخطاب، فالمتكلم ينجز أفعالاً مباشرة وغير مباشرة تؤثر في المستمع بمجرد سماعها أو رؤيتها أو الإحساس بها، من هنا يعتبر الخطاب عملية نتاج تواصلي تفاعلي تأثيري بين منتجه ومدركه.

[1]. طه عبد الرحمن: في أُصُول الحوار وتجديد عِلْم الكلام، ص207.

المبحث الثالث: بنية مقاصد المتحدث ومشكلة المعنى وتقارير الكلام

➢ قصدية العقل ودورها في تحديد صورة إمكانية المعنى

ما مدى قدرة المتحدث على إنتاج عدد كبير من الجُمل؟ كيف يتشكل التخاطب أو التشاور في ظل مقاصد المتحدثين؟

ما مدى تأثير مقاصد المتكلم في رواية "صقيع"؟

هناك قصدين أشار إليهما سيرل في كتابه "القصدية":

أولاً: القصد القبلي: "إن العميل قد سلك وفقاً لمقصده أو أنه أنجز قصده وحاول تنفيذه".

وحقيقة هذا المرء يقوم بالعديد من الأفعال بصورة تلقائية ومن دون أن يكون لديه قصد مسبق للقيام بها.

أما ثانياً: القصد المصاحب للفعل أو يشكل المضمون القصدي للفعل. (فلكل الأفعال القصدية "مقاصد مصاحبة للأفعال"؛ ولكن ليس كل الأفعال القصدية لها مقاصد قبلية).[1]

(وخبرة القيام بالفعل لها مضمون قصدي، بينما القصد المصاحب للفعل ليس إلاَّ عنصراً قصدياً بصرف النظر عن ماذا كان يتضمن، أي خبرة واعية بالفعل... يكون القصد المصاحب للفعل موجود من دون أي خبرة بالفعل).[2]

يمكن القول إن "الفعل" يتكون من عنصرين هما: خبرة القيام بالفعل، والحركة المادية وكلاً من القصدان القبلي والمصاحب يرتدان ذاتياً، فيُسبب "القصد القبلي" "القصد المصاحب للفعل" الذي يسبب بدوره الحركة الديناميكية، الذي يمكن أن نقوله:

(إن القصد القبلي يؤدي إلى وجود القصد المصاحب للفعل والحركة، وطالما أن المركب يشكل الفعل، نستطيع القول إن القصد القبلي يُسبب حدوث الفعل، ونستطيع التعبير عن ذلك كما يلي:

---

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص101، 117، 118.

[2]. المرجع نفسه: ص125.

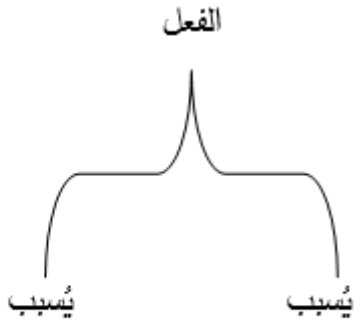

القصد القبلي ← القصد المصاحب للفعل ← الحركة الجسدية) [1]

(حين يسلك المرء وفق رغبته أو ينفذ قصداً قبلياً، تعمل الرغبة والقصد بصورة علّية. ومع ذلك لا يعني ذلك وجود الحتمية السببية، فليس بالضرورة ألا يستطيع المرء أن يغير سلوكه أو يسلك سلوكاً مغايراً).[2]

لا تُعد الذاكرة أو القصد القبلي أساساً للإدراك البصري أو للفعل القصدي؛ إذ نستطيع القيام بمجموعة من الأفعال القصدية من دون أي قصد قبلي. والفعل القصدي يتكون من عنصرين: مركب قصدي، وحدث يشكل موضوعه القصدي، ويُعتبر القصد المصاحب للفعل (القصد في الفعل) المركب القصدي ويُقدم الموضوع كشرط تحققه.

تتحدد مقاصد المتحدث من خلال الفعل الكلامي، لا تنتج قصدية العقل إمكانية المعنى؛ وإنما تحدد صوره من خلال قول يترتب عنه مباشرة عمل.

اعتبر سيرل الحالات القصدية والحوادث العقلية جزءاً من تاريخ حياتنا البيولوجية (الطبيعية) مثلها مثل وظيفة عملية الهضم تماماً؛ إذ تُعد الظواهر القصدية مثل العمليات البيولوجية في نظام تطورها وعملية سيرورتها وضمان نجاحها واستمرار غايتها، من خلال هذا المنطلق لاحظ سيرل وهو يدرس في الحالات عثر على كائنات غير إنسانية تتمتع بإدراكات حسية وأفعال قصدية، في المقابل يرى رؤية مختلفة لطبيعة الإنسانية التي وحدها تمثل صورة بيولوجية للقصدية ترتبط باللغة والمعنى وفق بنية منطقية، حين ننظر إلى المعنى في أن المتكلمين أو المتحدثين دائماً يقصدون شيئاً ما بعباراتهم، ومعظم المقاصد الإنسانية تتحقق لغوياً؛ إذ يرى فريقاً من المناطقة والفلاسفة أن مفاهيم

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص127.

[2]. المرجع نفسه: ص127.

القصد والفعل والاعتقاد والرغبة غير قابلة لعملية التحليل، بمعنى آخر أن العقل ليس بالضرورة الاعتماد عليه في تحليل المفاهيم اللغوية ودلالات الألفاظ؛ أي أن المتكلم يمتلك مجموعة من المقاصد حين ينطق عبارة معينة يتوجه بها إلى مستمع فعلي أو ممكن.

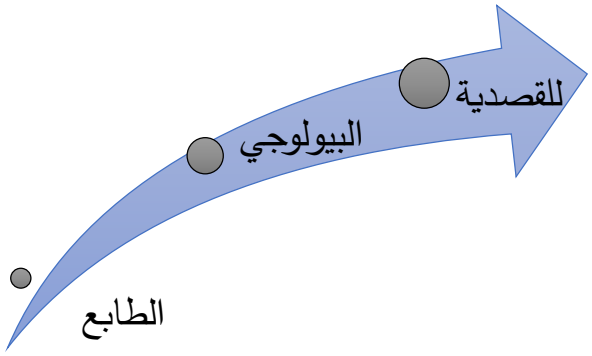

شكل رقم 24: خطاطة تقريبية توضح القصدية الإدراكية بوصفها ظاهرة وطابعاً بيولوجياً تحدث في المخ، وكل حالة قصدية تحتوي على مضمون ونمط نفسي

وإذا أراد المتكلم أو المتحدث أن يعني شيئاً بعبارته، وجَب أن ينطقها (العبارة) بقصد إحداث تأثير معين على من يستمع إليه،[1] وهذا الاتجاه رفضه سيرل رفضاً قاطعاً بقوله: (أرفض القول إن المقاصد التي تخص المعنى قصد بها التأثير في المستمعين).[2]

فعندما نمتلك قصداً لا بد أن يكون قصداً لفعل شيء ما، وله دلائل خاصة في الخطاب.

(فالمقصد هو الغاية والهدف من الحكم، والوسيلة هي الطريق الموصل للهدف والغاية).[3]

مبدأ القصد ومقتضاه "أنه لا كلام إلا مع وجود القصد".[4]

---

[1]. ينظر: جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص203، 204.

[2]. المرجع نفسه: ص204.

[3]. أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ص16.

[4]. المرجع نفسه: ص157.

➢ **الأفعال اللاقصدية: ما هو الفعل اللامقصود؟**

يجيب سيرل ويؤكد على أن الفعل اللامقصود أو غير مقصود بتلك الجوانب البعيدة تماماً عن "القصد"، يضرب بهذا الصدد مثالاً: عندما تزوج "أوديب" أمه حرك العديد من الجزئيات التي لا يمكن أن تكون فعلاً قصدياً؛ حيث سبب تغييرات في مخه، وغير علاقته المكانية مع القطب الشمالي. ولقد فعل هذه الأشياء بطريقة غير مقصودة، وليس أي منها فعلاً من أفعاله.

هناك علاقة وثيقة بين "الأفعال" و"المقاصد"، أقوى من العلاقة بين المعتقدات وحالات الأشياء، إذ تُعد الأفعال مركبات وتشكلُ "المقاصد" المصاحبة لها (المقاصد في الأفعال) إحدى عناصرها.[1]

➢ **"السلاسل السببية المنحرفة" عائقاً أمام مسيرة السببية القصدية:**

هناك في فلسفة العقل علاقة معقدة بين القصدية والسببية، فهذه الأخيرة بوصفها علاقة طبيعية بين حوادث العالم، أما القصدية تتنوع طرقها وتتعدد.[2]

(السببية جزء من خبرة القيام بالأفعال والإدراكات الجسدية والحركية)، تستد مفهومها من الملاحظات التي نضعها عن أنفسنا حين نقوم بأفعال قصدية.

وفي حديثنا عن السببية القصدية تظهر "السلاسل السببية المنحرفة" التي تُعِيق طريق الفعل وعملية الإدراك معاً. ولكي نتمكن منها ونتخلص من عراقيلها يجب أن نضع هذه الشروط بعين الاعتبار: يجب أن يكون هناك نوع من الكفاءة المستمرة للمضمون القصدي بكل عناصره القصدية. بذلك يتم القضاء على كل الحالات الدخيلة والوسيطة من كل الحالات القصدية.[3]

أما الشرط الثاني يتمثل في وجود درجة معقولة من الاتساق والعمليات الاطرادية القابلة للتخطيط، بهذا يثبت عدم وجود ما يسمى بـ: "السلاسل السببية المنحرفة" بذاتها.

---

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص127 وما بعدها.

[2]. المرجع نفسه: ص142.

[3]. المرجع نفسه: ص161، 172، 177.

هناك حالات أخرى بدائية من الناحية البيولوجية لا تتطلب وجود الشبكة أو وجود الشبكة أو وجود الخلفية.

تُعتبر الشبكة مجموعة من القدرات العقلية لا تتشكل من حالات قصدية (تمثلات)، وإنما تمثل الشروط المسبقة لقيام الحالات القصدية بوظيفتها، أما الخلفية مجموعة القدرات العقلية اللاتمثلية التي تمكننا من تشكيل التمثلات العقلية تأتي قبل القصدية، بمعنى أنه بالرغم من أنها ليست صورة من القصدية، وإنما تعتبر الشرط المسبق أو الشروط القبلية للقصدية.

❖ **قصدية القول:**

(لنفترض مثلاً أني أردت الذهاب إلى الثلاجة لإحضار زجاجة من العصير، فما هي الأشياء الضرورية التي أفكر بها؟) قد تكون المصادر البيولوجية والثقافية التي يجب أن نستحضرها لتنفيذ هذه المهمة أو لتشكيل القصد متغيرة ومتعددة. يجب معرفة منها حالات مثل: الوقوف والسير، فتح الأبواب وغلقها، تناول الزجاجات. ويتضمن تفعيل مثل هذه القدرات عادة عمليات الامتثال (الحضور) والتمثل، بمعنى: يجب أن نرى الباب لكي نفتحه، وهذه ليست تمثيلات مستقبلية؛ وإنما عبارة عن مجموعة من القدرات اللاتمثلية التي تشكل ما نسميه بـ: "الخلفية".

➢ فما هي أنواع الخلفية؟

الخلفية ليست مجموعة من التمثيلات؛ بل هي بنية اللعبة أو بنية الدستور التي تمنحنا مجموعة من الشروط التي تمكننا من العمل. تعمل الخلفية بطريقة سببية.

"الواقعية هي الشرط المسبق لوجود الفروض".[1]

(لقد اعتبرت الحالات القصدية والعمليات والحوادث القصدية. والعمليات والحوادث جزءاً من تاريخ حياتنا البيولوجية بالطريقة نفسها التي تكون بها عمليات الهضم والنمو جزءاً من تاريخ حياتنا البيولوجية، وكما يوجد وجهة نظر التطور نظام للأوليات في تطور العمليات البيولوجية، كذلك يوجد نظام للأوليات في تطور الظواهر القصدية).[2] إذ يُفهم من هذا القول إن الإنسان وحدهُ يعتبر صورة بيولوجية للقصدية ترتبط باللغة والمعنى؛ وبالتالي يتم تفسير المعنى الذي يقصده المتحدثون في صور

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص182 وما بعدها.

[2]. المرجع نفسه: ص183.

أكثر بدائية للقصدية، إذ نعرف المعنى الذي يقصده المتحدث في ضوء صور قصدية وليست لغوية. فإذا استطعنا تحديد المعنى في ضوء المقاصد نكون قد عرفنا مفهوماً لغوياً في ضوء مفهوم غير لغوي، بالرغم من أن معظم المقاصد الإنسانية تتحقق لغوياً. وهذا ما سنعالجه في الفصول القادمة.

هناك ما يسمى بـ: "الخلفية العميقة" التي تشمل على الأقل كل القدرات الخلفية والعامة والمشتركة بين كل أفراد البشرية بسبب تكوينهم البيولوجي، أي قدرات مثل: السير، الأكل، الإدراك، التعرف، الموقف السابق للقصد، ونعني بـ: "الخلفية المحلية" الممارسات الثقافية المحلية أو الخاصة، مثل فتح الأبواب، شرب العصير من الزجاجة.[1]

إننا دائماً نفهم أكثر مما تعنيه الكلمات، فنذهب دائماً وراء المعنى. "فالحكمة" إدراك كل المعاني المكونة للجملة ومع ذلك تستعصي على الفهم.

"يعد كل فرد منا كائناً بيولوجياً واجتماعياً في عالم يضم كائنات بيولوجية واجتماعية أخرى موجودة حولنا، ومحاطة بموضوعات طبيعية وصناعية".

والخلفية مجموعة من المهارات والمواقف، والفروض القصدية، الفروض المسبقة والممارسات.[2]

لا تؤدي الحالات القصدية وظيفتها بمعزل عن سواها، والافتراضات المسبقة المسلم بها التي تمكننا من الانسجام مع العالم.[3]

إذن فالقصدية هي قدرة العقل على توجيه ذاته نحو الأشياء وتعتمد على الافتراضات المسبقة التي تمثل خلفية، وهذا راجع لتواصل الأمثل؛ حيث يتحقق لدى المتلقي توليد معرفة أو فهم لم يكن يمتلكه قبل ذلك، وهذا الفهم يُشير بدوره إلى الوصول أو يعطيه القدرة لمعرفة مقاصد المتكلم الكامنة في ذهنه.

- **مفاتيح الفهم: القصدية بين الإدراك والشعور:**

ومن السمات الجوهرية للشعور أنه في جميع حالاته وأشكاله وأصنافه، هي طبيعته الداخلية التي تجري داخل الجسم، وفي داخل الدماغ على وجه التحديد. فلا يمكن أن يوجد الشعور بمعزل عن

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص182 وما بعدها.
[2]. المرجع نفسه: ص187، 195.
[3]. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص161، 162.

الدماغ، وهذه تشكل منظومة الحالات بأسرها التي يجب أن تترابط مع العالم الواقعي. هكذا تنطوي الأنطولوجيا[1] من متوالية من الحالات الشعورية المعقدة التي تشكل حياتنا اليومية، ولذلك فالحالات الشعورية تمتلك ما يمكن أن نسميه بـ "الأنطولوجية الحضورية". أي أنها نفس حية تمتلك هذه الأشياء.

ويتسم الشعور أيضاً بالنوعية الذاتية، فالأولى تعتبر حالات شعورية، ومعناه أن هناك طريقة معينة نشعر بها في كل حالة شعورية، أو هناك خاصية نوعية معينة لها، أما الثانية وهي: الذاتية، فالحالات الشعورية ذاتية، بمعنى أن ممارستها دائماً ذات إنسانية أو حية.

(للحالات الشعورية نمط وجود حضوري؛ أي ليس هناك ألم، مثلاً، إلا كما تجربه فاعل معين، وبالتالي "ذات" معينة. أما الكيانات الموضوعية كالجبال وغيرها فلها نمط وجود غيابي. ووجودها لا يعتمد على كونها تجربها ذات ما).[2]

من خلال هذا وبعيداً عن التفسير الميتافيزيقي بين الشعور والدماغ، يمكن القول إن الدماغ بمثابة العضو البيولوجي؛ لأن نط التفسير لوجود الظواهر العقلية هو بيولوجي، وإن الشعور عملية داخلية ونوعية وذاتية ذات حالة بيولوجية؛ فهذه هي الطبيعة البيولوجية إذ يكون القالب والعمل يدور حول تغذية الشعور ومتطلباته وتلبية رغباته، وهذا لا يمنع من وجود عراقيل تتسبب في تلاشي الشعور ومضغته، بعدها يلجأ الشعور وحالاته إلى الحالات اللاشعورية لتلبية ما صعُب تحقيقه في المحطة الأولى ألا وهي: الشعور.

وليست جميع الحالات القصدية شعورية، كما أن الحالات الشعورية ليست قصدية جميعاً؛ حيث لا نفهم القصدية إلا من خلال الشعور.[3]

---

[1]. الأنطولوجيا: هي ذلك العلم الذي يكون موضوعه الوجود المحض، أو الموجود المشخص وماهيته، أو الموجود من حيث هو موجود أو الموجود في ذاته مستقلاً عن أحواله وظواهره، والأنطولوجيا عند أرسطو الفلسفة الأولى، وعلم الجوهر في فلسفة ديكارت وليبيتز، وعند هيجل "وعي الحياة". لمعرفة المزيد يمكن العودة لكتاب: ياسين حسين علوان الويسي: الأنطولوجيا، في المصطلح والمفهوم والاستعمال الفلسفي، دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، بيروت، لبنان، ط1، 2019، 12، 14.

[2]. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص70.

[3]. المرجع نفسه: 102، 103.

من هنا علينا أن ندرك أن الشعور مادي تماماً وهو في الوقت نفسه عقلي غير قابل للاختزال.[1]

إذا وصفنا بنية الشعور نجدها في السمة الأولى تتمتع بالذاتية الأنطولوجية، وتأتي السمة الثانية للحالات الشعورية بصيغة موحدة؛ أي أن هناك تجربة شعورية كلية واحدة، وسمة الشعور الأكثر جوهرية لبقائنا في العالم هي أن الشعور يسمح لنا بالاحتكاك بالعالم أكثر من حالاتنا الشعورية، أما السمة الثالثة كون الشعور يرتبط في الجوهر بالقصدية. بالنسبة لسمة الرابعة هناك كثير من الحالات القصدية اللاشعورية، وكثير من الحالات الشعورية التي هي غير قصدية، لكن هناك ارتباط جوهري بين الشعور والقصدية في ناحية حاسمة: وهي نسبة حالة شعورية أو نسبة حالة أن شيئاً ما يمكن أن يكون شعورياً، وكذلك حالاتنا الشعورية تأتي لنا في نمط نفسي أو آخر. تخالجنا دائما حالة نفسية معينة، أعي وعياً حاداً ذلك التحول في حالتي النفسية، والسمة الخامسة للحالات الشعورية هي أنها في صيغتها غير المرَضية دائما مبنية؛ أي أننا نبني تجاربنا الشعورية في أشكال كلية متماسكة. السمة السادسة للشعور أنه يأتي في درجات متفاوتة من الانتباه. في أية تجربة شعورية، فالانتباه أشبه بضوء يمكن أن ننقله من جزء من حقلي الشعوري إلى آخر. أما السمة السابعة للحالات الشعورية، وهي سمة ترتبط بالتمييز بين المركز والمحيط التي يخلقها تفاوت درجات الاهتمام، والحالات الشعورية نمطياً تأتي مصاحبة لإحساس بتموقعها. ففي بعض أشكال الغفلة والنسيان عن الزمان والمكان، لا يتذكر المرء فجأة في أي شهر هو، أو أين هو. السمة الأخرى لتجاربنا الشعورية هي أنها تأتينا في درجات متفاوتة من الألفة، والألفة ظاهرة متدرجة. ونحن نُجرب الأشياء في درجات متفاوتة من الألفة. من خواص تجاربنا الشعورية أنها تحيل نمطياً إلى ما وراء ذاتها، وكيف أن هذه البيوت تذكرني ببيوت أخرى رأيتها سابقاً؟ وأفكار أخرى تتدفق من ذلك، والحالات الشعورية هي دائما تسرُّ وتسوء بدرجة معينة. ومعنى هذا أن للتجربة الشعورية الواحدة نفسها أن تنطوي على مظهري السرور والإساءة معاً.[2]

[1]. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص107.

[2]. ينظر: المرجع نفسه: ص222 وما بعدها.

➢ **ما العلاقة بين الشعور والقصدية؟**

(لا يمكن أن تُفهم الحالات الدماغية التي ليست بشعورية بوصفها قادرة، من حيث المبدأ، على التسبب بحالات شعورية).[1]

(أن مفتاح فهم القصدية يكمن في شروط الإشباع. يتم إشباع الحالة القصدية إذ كان العالم هو الطريقة التي تمثلها الحالة القصدية كوجود. هناك مجاراة حقاً بين المحتوى الخبري والواقع الممثَّل).[2]

فإن وجود تداولية. عامة للقصدية واللغة معاً، تشكل نوعاً من المنطق الذي يضمن الشروط المعيارية وإمكانيات نجاح الفعل التواصلي.

نظرية القصد في بعدها التداولي لتحليل الخطاب؛ تعتمد على نوعين من القصود:

- ✓ القصد الإخباري، الذي يكمن في رغبة المتكلم في إظهار مجموع ما يضطلع عليه المخاطَب.
- ✓ القصد التبليغي، وهو أن يعلن المتكلم صدقهُ بحقيقة قصده الإخباري.[3]

فالمتكلم لكي يملك حالة قصدية لا بد له من امتلاك هذه الحالات التي تكمن في المنهج القصدي: يكون عقلي في التصور، يتصف بالإنجاز في التوجه، أنه ذهني التعلق.

وعلى هذا الأساس بنى سيرل نظريته القصدية بافتراض الترابط، بين الفعل والمرجع، من أجل بناء شروط الصدق في الكلام.[4]

ما نوع المعرفة التي يجب أن تتوفر لدى المتحدث حتى يقال عنه إنه يفقه اللغة الفرنسية أو الإنكليزية مثلاً أو لغة من اللغات الأخرى خارج لغته الأم طبعاً؟

تنشأ مشكلة المعنى وتظهر بصورة حادة في هذا الموقف، بين أناس يحاولون التخاطب من دون وجود توافق أو لغة مشتركة بينهم. وحين أكون وأقطن في بلاد أجنبية أحاول التخاطب والتواصل من

---

[1]. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص222 وما بعدها.

[2]. المرجع نفسه: ص129، 156.

_ لا يمكن نسيان ذلك الفضل والعائد النافع للعلوم الطبيعية في تكريس وإعادة بناء وتوجيه العلوم الإنسانية القائمة على منهجية الفهم، والاستفادة من بعضهما البعض.

[3]. أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ص158.

[4]. المرجع نفسه: ص19.

أشخاص ليس بيني وبينهم رابط لغوي أو لغة مشتركة، فقد أعني في هذا الموقف شيئاً معيناً بحركاتي (إشاراتي)، بينما لا أعني بها شيئاً في موقف آخر؛ فكيف تكون المقاصد في الحالات المتعلقة بالمعنى؟[1]

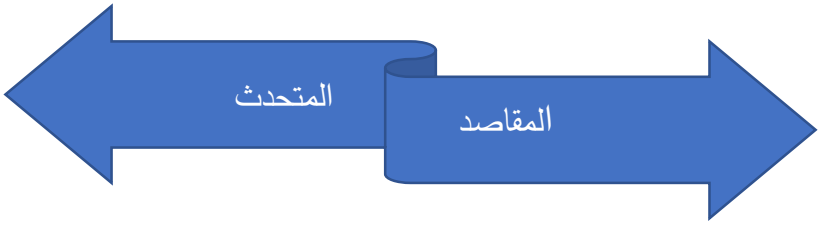

شكل رقم 25: تمثيل تشكيلي يوضح العلاقة التواصلية بين المقاصد والمتحدث، فلا يكون عملاً كلامياً أو فعلاً كلامياً ناجحاً خارج إطار المقاصد، لكل عملاً سواء أكان شفهياً أو مكتوباً له مقصدية معينة وإطار زماني ومكاني معين، وطبعاً هدفاً وغاية معينة.

لا يتكلم المتحدث مع غيره إلا إذا كان لكلامه قصد، وهذا القصد محدد عند المتكلم وثابت لا يتغير، فالمتكلم يتخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يُعين السامع على إدراك ما يريد؛ ولكن مراتب السامعين تتفاوت في إدراك مقصود المتكلمين تبعاً لتفاوت قدراتهم العقلية واللغوية وحتى الثقافية.[2]

يقع المتحدث (بين "التمثل" و "الاتصال". يقصد الرجل الذي ينطق عبارة معينة تمثل واقعة معينة أو وصف حالة من حالات الأشياء، ويقصد في الوقت نفسه توصيل أو نقل هذا التمثل إلى مستمعيه.) وفي ذلك قصد التمثل لا يشبه قصد التوصيل الذي يُعنى بإنتاج تأثيرات معينة على المستمع.

- ✓ **مقاصد المعاني وعناصرها**

بإمكان المرء النطق بعبارة معينة دون أن يقصد توليد أي قناعة أو اعتقاد معين لدى من يستمع إليه، ولا يقصد أن يجعل المستمعين يؤمنون بما يؤمن، بل أحياناً لا يهتم ولا يضع في باب اهتماماته بأن يفهم المستمعون ما يقصده. لذلك يوجد عنصران لمقاصد المعاني: الأول، قصد التمثل، والثاني،

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص205.

[2]. ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص89.

قصد التوصيل أو النقل. وبالتالي تكون مقاصد "التمثيل" أسبق من مقاصد "التوصيل"؛ فيكون مضمون تمثلات المرء جزءاً مما يريد توصيله إلى المستمع.[1]

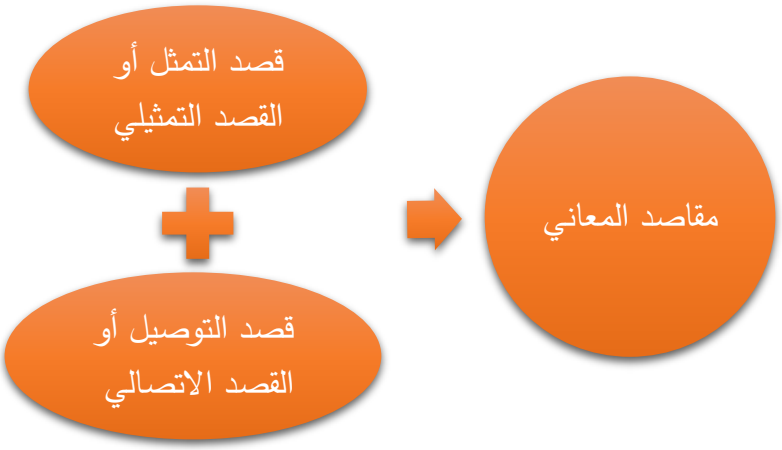

شكل رقم 26: خطاطة توضح أهم عناصر "مقاصد المعاني" والعلاقة التشابكية بينهما التي تساعد في بناء هوية المتحدث

الانتقال من قصد "التمثل" الذي يُعد لب المعنى إلى قصد "الاتصال أو التواصل؛ من أجل أن يتعرف المستمع على الفعل الذي تم تقديمه مع الفعل التمثيلي، فحين نقول عبارة ما ننوي أن تكون صحيحة وصادقة أو يعبر فعلاً عن الحقيقة، ونقصد غرس معتقدات معينة لدى المستمع، ومع ذلك يختلف القصدان؛ أي عند قول عبارة معينة عن قصد غرس اعتقاد معين أو قصد قول الحقيقة. في المقابل يسمح للغة بإمكانية وجود الكذب، في ظل وجود شخص يقول عبارة معينة ولا يبالي بأن يصدقه من يستمع إليه أو حتى يفهمه.[2]

يحاول المتحدث جعل المستمع يقوم بتنفيذ الفعل المشكل في المضمون اللغوي القضوي، لذلك يقدم ويخلق النطق به سبباً للمستمع للقيام بالفعل، ويُعبر عن رغبة وقصد المتحدث في أن يقوم المستمع بالقيام بالفعل أو القيام بالفعل، لبيان أن المنطوق له قوة الإلزام.

من بين الخطوات الضرورية والأساسية للانتقال من ملكية الحالات القصدية إلى تقديم أفعال المتضمنة في الكلام وتحققها فيما يلي: أولاً: التعبير عن الحالات القصدية يسعى إلى إعلام الآخرين بوجود هذه

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص209.

[2]. المرجع نفسه: ص212، 213.

الحالات. ثانياً: تقديم الأفعال إلى إنجاز الأهداف الإضافية للغة التي تخدمها الأفعال المتضمنة في الكلام.[1]

✓ **هناك شروط منهجية للقصد اللغوي منها:**

أ_ الشرط المتعلق بالمتكلم: يتمحور حول الإرادة والاعتقاد، إذ أن الإنسان لا ينجز الحدث الكلامي إلا وكل طاقاته النفسية وقدراته الفكرية ومداركه التصويرية مجتمعة متآزرة بغية بلوغ الكلام والمقصد معاً، وهذا ما سنركز عليه.

ب_ الشرط المتعلق بالمتكلم والمخاطَب معاً: فينظر إلى القصد شرط أساس لكل أنواع التواصل، ولتحقيق ذلك لا بد من الأمور الآتية:

أ_ أن يتوجه المتكلم إلى المخاطب بكلامه، قصد إبلاغ الخطاب بطريقة معينة.

ب_ أن يتمكن المخاطَب من فهم مقصود المتكلم، وأنه كان قاصداً ذلك الكلام، ويتم هذا الإبلاغ بطريقة قصدية. (ولإنجاح شروط القصد في الخطاب لا بد أن يراعي المتكلم مستوى المخاطَب الفكري والاجتماعي والثقافي، متحرياً في الوقت نفسه السلامة اللغوية وعدم غموضها، حتى يتحقق مستوى الفهم بين المتكلم والمخاطب؛ وهو "المستوى الأول للتوصل إلى الدلالة).[2]

للتوصل إلى الدلالة أو إلى المستوى الدلالي يتطلب مهارة ودرجة عالية من التعلم، بحيث أن الدلالة تسند إليها فعل الاصطلاح والمواضعة.

فتصور طه عبد الرحمن ينطبق على تصور أصحاب الفلسفة التحليلية بحيث يرون بأن الخطاب يتصل بحدس المتخاطبين، وأن ما ينقل يكون ملائماً لتبليغ حقيقة الكلام المتلفظ.

من خلال هذا التصور أُعتبرت القدرة على مزاوجة الكلام بين حدس المتكلم وقصده في منطوق الكلام مهم جداً من أجل استيعاب وهضم مضمون "القول" وفهمه.[3]

---

[1]. المصدر نفسه: ص225.

[2]. أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ص23.

[3]. المرجع نفسه: ص190.

أحياناً تكون مرجعية المحيط الاجتماعي العامل المؤثر على المتحدث وبشكل كبير بأعرافها، أحياناً تدفعه إلى فعل ما أو تبعده عنه، وهذا يدخل في باب موجهات داخلية من القصد اللغوي لدى المتكلم، وما له علاقة بالفهم لمداركه ومسبباته، الذي يسعى للتأثير على مخاطبه بغرض الفهم والإدراك والتأويل.

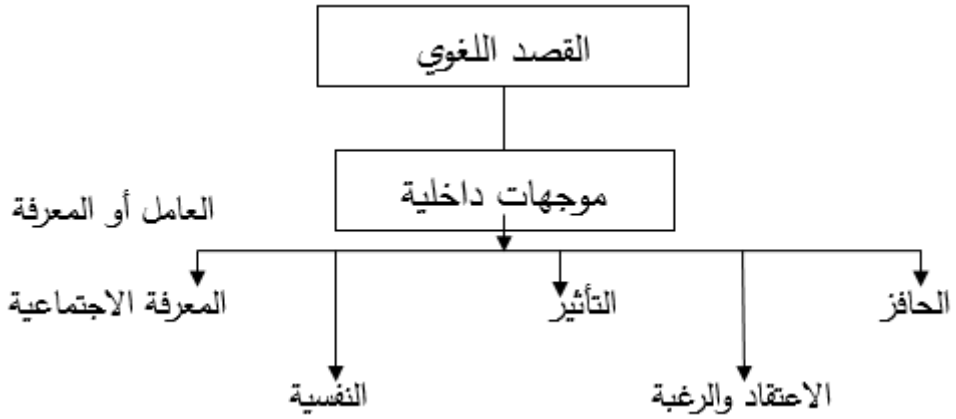

شكل رقم 27: تصور تشكيلي للقصد اللغوي وبعض موجهاته الداخلية لدى المتكلم

❖ **مقاصد المتحدث في توظيف الروابط التفاعلية وخرق النسق في الرواية الواقعية الرقمية "صقيع" لمحمد سناجلة_أنموذجا_**

تتحدد مقاصد المتحدث من خلال الفعل الكلامي في "رواية صقيع"

حققت التكنولوجيا بوسائطها المتعددة نقلة نوعية في المجال الأدبي، فقد نقلت الأدب من عالمه الورقي إلى عالم رقمي جديد ومختلف عكس المؤتلف الذي تعودنا عليه. فلم يعد الإبداع لحمة من نسيج الحروف فحسب؛ بل أضحى علامات عدة تجمع بين اللغوية والبصرية والسمعية، لكلاٌ منها دلالة لا تكتمل بمفردها؛ بلفي حاجة للأنساق الأخرى لبناء دلالة كلية شاملة.

جدول رقم 02: مقاصد المتحدث في "رواية صقيع"

الرابط	النص المنشط	مقاصد المتحدث من خلال النص المنشط
قمت أجر نفسي	1	الانطلاقة الفعلية للعمل أو بما يسمى نقطة التحول؛ حيث قام البطل الذي أصبح نصف عمره دخان، استند على نفسه واضعاً قدح النبيذ على الطاولة متجهاً نحو الأمام دون النظر للخلف. إن لكل فعل كلامي غرض إنجازي أو قصد ما يُفهم من خلال سياق الكلام، وذلك في توظيف المتكلم "الروائي" لفظة "قمتُ" التي تعني الجبر والغصب في كل مرة. أما الاعتقاد والرغبة والمقاصد الخاصة بالمعاني يسبب القصد المصاحب للفعل الحركة الجسدية.

[1]. محمد سناجلة: رواية صقيع، رواية واقعية رقيمة، تقديم سعيد يقطين، مساعدة عمر الشاويش، منشورات اتحاد كتاب الأنترنت العرب، أكتوبر،2006.

الجدار يترنح تحت يدي		واصل المشي قدماً، فجأة أَحَسَّ وكأنه يستند على الجدار واقفا والجدار يشتد ويستند عليه في عملية معاكسة، معتمداً على نوعين من المقاصد: القصد الإخباري، والقصد التبليغي معلناً (المتحدث) صدقه بحقيقة قصده الإخباري.
فجأة انضم السقف		نظر للأعلى فجأة سافر السقف في اتجاه أمامي متحرراً من كل الفوضى التي كانت تسود في المنزل باحثاً عن وكرا يغطيه وركناً يحميه.
وصلت إلى الفراش		بعد الرحلة العبثية الشاقة عاد للفراش، استقر جنب زوجته التي كانت تغط في النوم.
كم أحتاجك الآن		في هذا الرابط بدأ المتكلم يتحدث بنبرة المشتاق لعالم غاب عنه، ونشوة وحشية تعانق السماء، مع صرخة وجع، وحنين للماضي، يطمح في الحاضر ولا يريد الوصول لمطبات المستقبل، تتخلل الأبيات الشعرية الحرة دمعة حزن تحت وقع أغنية محتجالك لوردة الجزائرية.

انضمت آسرة كثيرة		إن وظيفة الإشارة في الكلام تتمثل في كونها ترسم حدود الجمل التي ينطق بها المتكلم، حتى الآسرة صار لها أجنحة وأقدام تطير بها ووزن خفيف، فطارت محلقة للسماء نحو اتجاه أمامي وسط الصقيع.
ما بقالي قلب بعدك		الشعور بالوحدة والفقدان مازال يُخيم على نفسية البطل، وهو في منزله ومع زوجته لكنهما غريبان في خيمة واحدة فكانت الأبيات تصاحبها أغنية لمحمد عبده بعنوان " ما بقالي قلب".
امتدت يد في الظلام		تواصل الشعور والحركات المستمرة، فجأة ظهرت يد في العتمة والضباب، وكأنه ملك الموت يحاول القبض على روحه.
فتحت عيني بصعوبة		قفزة نوعية فعلها البطل مع أنه لم يفهم ذلك الشيء الذي يحدث معه فتح عينيه ظهر وهو حامل بين أنامله قدحا من النبيذ فوقف باستغراب ودهشة وسط ركام وتراكمات من التساؤلات.

يا الله عفوك	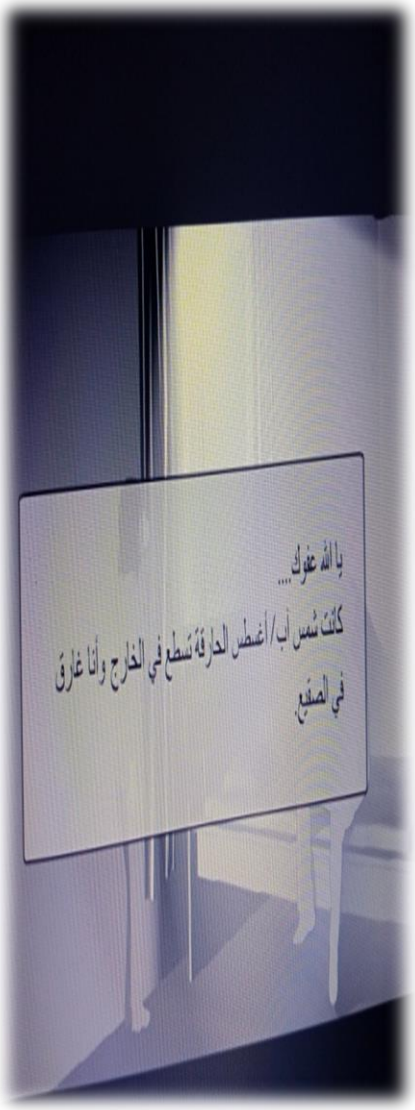 1	جاءت نهاية القصة بطلب النجدة ومناجاة من الخالق والاستعانة به والاستغاثة منه، وطلب المساعدة من الخلق (زوجته) التي قامت وفتحت النافذة، وسطعت شمس آب الحارقة. الإشارات الجسمية بمثابة نوع من الكتابة على الهواء. كان كل ما حدث عبارة عن كابوس طارد البطل منذ البداية حتى النهاية وجاءت الصحوة من الغيبوبة واليقظة من الخوف والتعب السوداوي. وهذا ما يدخل في باب المقاصد الباطنية كالرغبات والاعتقادات. فهي تمثيلات عقلية خاضعة لذواتنا ومستقلة عنا في الآن نفسه.

نلاحظ أن أغلب الروابط التفاعلية ساهمت في بناء هذا العمل الروائي وسدِ ثغراته ومقاصده وفجوات نقصه، فالصور أغلبها اعتمدت على اللون الأبيض والأسود، هذا راجع لشخصية المتكلم (البطل) الغامضة، الواضحة في الآن نفسه التي تتجسد في الحقيقة الواقعية الأسرية.

يتكون الفعل القصدي الناجح من قصد مصاحب للفعل (قصد في الفعل) وحركة جسدية.

[1]. محمد سناجلة: رواية صقيع.

تلك الإشارات الجسمية المصاحبة للكلام المتحدث قصد التأكيد والتوضيح، وتلك الأفعال الكلامية الإخبارية والتعبيرية الأكثر حضوراً؛ حيث تضمنت القليل من الأفعال المضارعة (يترنح.) تفيد تقرير الحقيقة والتعبير عما يلج بداخله من حزن وألم متواصل، مع توظيف للأفعال الماضية (انضم، أحتاجك، بقالي، امتدت، فتحت.) الدالة على الثبات؛ إذ نجد المتحدث أو المتكلم تسيطر عليه البنية الفوقية (الأنا الأعلى) المتمثلة في الجو العائلي الكئيب (القيم ونظام المجتمع)، في المقابل تظهر الهو (اللاشعور الفردي وليس الجمعي) في البنية التحتية الباطنية التي تكمن في: في الوقائع والأحداث والتخزين للمكبوت أو المسكوت عنه وعليه بعدها تنفجر؛ حيث تظهر الأنا (النفس أو الذات) وشعورها بالوحدة والنقص في وعاء حزين، الواقعة في حلبة صراع وتضارب بين الأنا الأعلى والهو.

يمكن أن نصنف رواية "صقيع" وندرجها في الملمح الأخير الذي تطرق له سيرل وتم تناوله سابقاً في جانب الخبرات الواعية (اللاسرور)؛ حيث جاءت مقاصد المتحدث على شكل قالباً حزيناً وغير سارة بدرجة ما، فكل خبرة واعية ينشأ نحوها سؤال أو ينجرف وراءها عدة أسئلة: هل تستمتع بها؟ هل هي لهو أم جد؟ وهل أنت سعيد أم حزين؟ منزعج أم مريح؟ قانط أم ساخط؟ والتمييز بين السرور واللاسرور يأتي بصورة متدرجة شأنه في ذلك شأن الألفة؛ إذ يمكن للخبرة الواعية الواحدة أن تتضمن جوانب سارة وغير سارة سواء بسواء.

والملاحظ أن المتكلم _أحياناً_ يميل ويعمد إلى استعمال النغمة هذا ما نجده في رواية "صقيع"، بصورة جلية وواضحة؛ حيث كان لها الدور الكبير في تقوية العلاقة بين إحدى كلمات السياق وبين معناها الذي سيقت فيه.

❖ **مقاصد المتحدث في توظيف الموسيقى والمؤثرات الصوتية**

للموسيقى دورها ال يقوم عليها العمل الأدبي، وللمؤثرات الصوتية زئبقية فنية جميلة وهذا ما يتجسد في هذا العمل الروائي الرقمي" صقيع ".

كان الدخول للعمل الروائي " صقيع " بهبوب عاصفة شديدة بالخارج، مصاحبة بصوت عواء الذئب المخيفة، بعدها تظهر مباشرة هذه الصورة الغير الواضحة في بداية الأمر.

بعد التركيز العميق نقلب الصورة رأساً على عقب ويظهر الإبداع الفني الأدبي.

شكل رقم 28: صورة البداية للرواية

1

بعد التمعن جيداً نجد أن خلفية الصورة توضح شخصية المتكلم أو البطل وهو جالساً على أقدامه، ودائرة الخيبة ودوامة الفقدان تسيطر على مخيلته، فإحساس المرء بالأحزان والآلام مثلاً هو جزء من ممارسة الحياة الواعية، بمعنى أن الحالة الواعية لا تتحدد هويتها إلا عندما ترتبط مع بقية الحالات الأخرى، ويرتبط النسق الكامل من الحالات مع العالم الواقعي.

فتذكري لموقف حدث لصديق أيام الطفولة المبكرة هو جزء من شبكة معقدة من أفكاري وخبراتي وذكرياتي الأخرى، ويرتبط التذكر بحدوث الموقف بالفعل، كل حالة عقلية تتميز بإحساس كيفي خاص. والحق أن كل الظواهر الواعية هي خبرات ذاتية وكيفية، ومن ثم فإن الحالات الواعية هي كيفيات. يقول سيرل: "لا يوجد نوعان من الظواهر، وعي وكيفيات؛ وإنما هناك وعي وفقط، الذي هو سلسلة من الحالات الكيفية".[2]

وهو في حالة مريضة (بطل الرواية) ومناجاة فاقداً للدم متألماً بصمت، بعد هذا العرض مباشرة رجعت الموسيقى مجدداً وهذه المرة تحت وقع ذرات المطر وقرقعة الرعد معا، لا زالت هبوب العاصفة مسيطرة واستمر الغيث بالوقع حتى استقر وتكرر مع الرعد فكان البقاء لهما ولا ننسى تلك الذرات الثلجية ذات الحجم الصغير المصاحبة للعمل والأداء والتمثيل والمشهد والحركة معا.

---

[1]. محمد سناجلة: رواية صقيع.

[2]. ينظر: صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم، في الفلسفة المعاصرة، ص103.

جميع هذه الأصوات الموسيقية التي حدثت بالخارجي كان لها تأثير كبير على من كان يسكن بالداخل (المنزل) وهو البطل وعما يدور حوله ويتحرك فحتى الجماد أصبح له دور.

إن الروائي أجاد من ناحية تنسيق البنى الداخلية وانسجامها مع ما يقع بالداخل وما هو واقع بالعالم الخارجي.

وهذا ما يدخل في باب الإدراك الذهني والمشاعر في الوقت نفسه، فهما جانبان في الحياة ونظامان مستقلان ونادراً ما يتفاعلان؛ حيث يقول أرسطو بخصوص الجانب العقلاني، والجانب العاطفي. فـ: العقل "منفصل عن ملكة الإدراك الحسي في النفس الشهوانية"، ويمكن القول إن عبارة الفيلسوف الفرنسي الشهير باسكال (1662م) "للقلب أسبابه لا يعرف العقل عنها شيئاً" شعاراً دالاً عن هذا التمييز. هذه الأفكار والمقولات بمرور الوقت تغيرت مما جعل الإدراكيين يذهبون إلى أن المشاعر تلعب دوراً كبيراً على مستوى الفرد، في جوانب مختلفة من الإدراك؛ مثل الإدراك الحسي، والذاكرة، والفعل، والتعلم. وتلك الأفكار لا تقع في الدماغ بدون مشاعر، والمشاعر لا تقع بدون أفكار، فالأفكار والمشاعر لا يمكن الفصل بينهما.[1]

فالفكرة الواحدة تمثل المفتاح، من خلالها نبني أوصافاً دماغية لعالم الأشياء، هذه الأوصاف الدماغية تمنح وتعطي للإدراك الحسي وللسلوك العقلي حضوراً لغوياً.

في حالة الإدراك الحسي يجب أن تكون الحالة منطقية يجب أن تظهر الخبرة البصرية ذاتها بصورة علّية (وبوصفها سبباً) في شروط التحقق.[2]

(إذاً توجد ثلاثة عناصر للمعنى عند فريج يُعبر عنها المتحدث في منطوق تعبيرات المرجعية. (1) صفة الارتداد الذاتي التي تُعد الصفة المحددة للمرجعية أو لماهيتها. (2) باقي المعنى الجذري الذي يمكن التعبير عنه بمصطلحات عامة. (3) وعي المتحدث أو المستمع في كثير من المنطوقات

[1]. ينظر: محي الدين محسب: الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهاتٌ تطبيقية، ص87 وما بعدها.

[2]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص268.

المرجعية بالصفات المتعلقة والمرتبطة بالنسق الفعلي للمنطوق)[1]، يتطلب تحديد شروط التحقق مثل شروط الصدق للوصول للقصد اللغوي.[2]

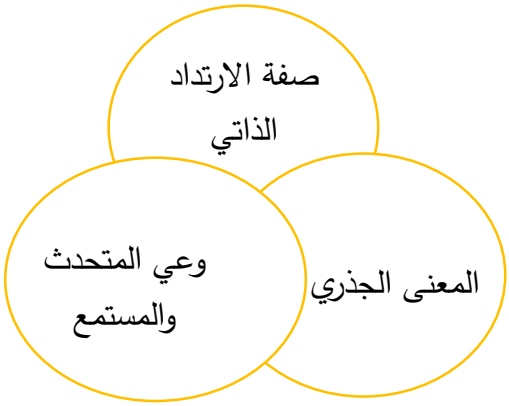

شكل رقم 29: الرؤيا الثلاثية لعناصر المعنى عند فريج

المبحث الرابع: العلاقة بين العقل والجسد في رسم مسار القصدية

- **ما هو دور الحوادث العقلية والإشارات الجسدية في إفراز القدرات البيولوجية الأساسية للقصدية؟**

يرى سيرل أن العلاقة بين العقلي والجسدي علاقة سببية، وهذا إذا نظرنا إلى العقلي والجسمي كأساس كائن موجود، وفئتين مستقلتين عن الأشياء التبادلية، أشياء عقلية وأشياء جسمية. يصبح العالم عالمين، عالم عقلي وعالم مادي، تؤدي هذه العمليات والحوادث إلى شد الأنسجة وتحريك بعض التغييرات الفيسيولوجية، وضغط الجهد والامتداد والانتفاء، ثم بذل الجهد مرة أخرى، في نهاية المطاف تؤدي هذه الحركات كلها إلى انقباض العضلة. نعلم جيداً أن هذه الحوادث والتغييرات مرتبطة بالحالات القصدية في المخ قابلة للوصف في مستوى وظيفي أعلى من المستوى الكيميائي الحيوي للأعصاب المكونة لهذه الحالات؛ إذ وجب علينا معرفة وفهم العملية التي يقوم بها المخ لإفراز القصدية.[3]

---

[1]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص279.

[2]. المرجع نفسه: ص279.

[3]. ينظر: المرجع نفسه: ص332 وما بعدها.

وبذلك ركز سيرل على قصدية العقل واعتبرها هي الأساس العميق الذي تنبثق منه الصور الأخرى من القصدية مثل: قصدية الرموز أو اللغة أو الصور وغيرها، وتسمى هذه الصور بـ: القصدية المشتقة.[1]

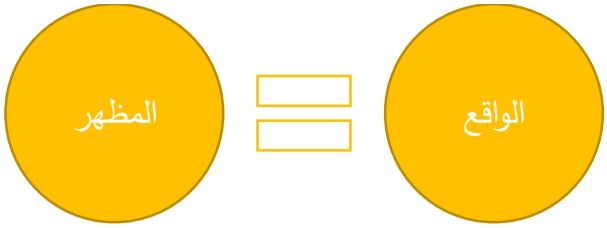

شكل رقم 30: خطاطة نلاحظ من خلالها ذلك التساوي والتطابق الذي يجمع بين أمرين هما: المظهر والواقع، شرط أن يكون هذا التساوي داخل الإطار العقلي.

بما أن سيرل ربط القصدية بالحالات العقلية، واعتبرها في حد ذاتها سمة عقلية للعملية الذهنية الإدراكية، بهذا سوف نعرج ونتعرف ونتطرق لبنية المخ وكيفية عمله في تلقي المعلومة وتخزينها، ويحولها، وينقلها بشكل معقد، من خلال هذا نطرح سؤال كالتالي: كيف يعمل المخ؟

❖ **المخ وسيرورة معالجة المعلومات والرموز والتمثيل والحوسبة**

تنطلق جميع العلوم المعرفية أو العلماء المعرفيون عامة واللغة خاصة، أن الذهن البشري نسقاً معقداً، يستقبل المعلومات من مكان واحد ويتم معالجتهم فيه وهو: المخ؛ فترى المدرسة المعرفية "أن الذهن البشري نسق معقد، يتلقى معلومات ويخزنها ويستعيدها ويحولها وينقلها، في إطار ما يسمى سيرورات معالجة المعلومات؛ ويمكن دراستها باعتبارها نماذج وأمثلة ومعالجة لهذه النماذج".

في الحقيقة إن المخ هو المسؤول عن الشعور بالجوع وليس المعدة؛ لأنه الجزء الأكبر من الدماغ البشري.

المخ/الذهن نسق معقد؛ لأنه يقوم باستقبال وتلقي المعلومة؛ ثم يُخزنها ويستدعيها ليحاور بها وينقلها، فهو الذي يتحكم بأنظمة الأعضاء في الجسم ويكون مسؤولاً عن إفراز الهرمونات. لذا فهو مسؤول حتى عن الأحاسيس التي نشعر بها، فهو العضو الأهم والمهم في الجسم، لاتصاله بالأعضاء الأخرى من خلال السبيل العصبي، وهو المسؤول عن القسم الأكبر من النشاط الدماغي مثل: التفكير

[1]. ينظر: أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ص20.

والحركة، وتتم معالجة اللغة فيه بالطريقة نفسها التي يعالج بها سائر العلوم المعرفية الأخرى، مما يسهل عملية التواصل والاتصال والتفاعل القائمة بين المرء وبيئته بنجاح، لذا يتناول سيرورات الرموز والعلاقة التمثيلية بين الرموز وما ترمز إليه وتمثله، وتقوم أيضاً (العمليات العقلية) على الترميز كالأعداد والعمليات الحسابية، وكل هذا يتم في الذهن، وفي الوقت نفسه تعتبر المعرفة ظاهرة دينامية منبثقة من المخ.[1]

نحن هنا نركز على دور المخ في تحديد المدار القصدي للمتحدث، أما قضية الربط بين عمل المخ وتنظيمه ووظائف اللغة والإدراك المعرفي جديرة بالدراسة تحتاج لتحليل واستيعاب دقيق.

لم تعد اللغة البشرية منعزلة ومستقلة بذاتها؛ بل ترتبط بقضايا أخرى، فهي تساعدنا على معرفة كيف تمت عملية الربط بين وظيفة (حواس/ مدارك) الإنسان التي توصل إلى مخه العلوم والمعارف، وتنظيم المخ لها، فتكسب (اللغة) المخ القدرة على ترتيب أموره وتنظيمها داخله ليسهل استدعاؤها، فالمخلوقات تتواصل معاً من أجل الحياة والإبقاء على نوعها بوسائل تواصل مختلفة. فالموجات الصوتية أفضل وسيلة للحيتان والخفافيش، كما كانت الإشارة الحركية وسيلة التواصل المفضلة لدى مملكة النحل، لذا قيل عن الإنسان حيوان ناطق يتشابه في بنائه البيولوجي (القدرات الفطرية الخاصة بالإنسان وتكوينه) مع المخلوقات الأخرى؛ من هذا الأساس بدأت عملية المقارنة بينه وبين أقرب الحيوانات شبهاً به وهما القردة، في المقابل وبعدما تطورت الحياة وأخذت مجراها الطبيعي، وأسسها الهيكلية اختار الإنسان لنفسه اللغة (الطفرة) التي يعجز عن اكتسابها كل المخلوقات كوسيلة للتواصل بين النوع البشري ككل، فالإنسان بمثابة الكرة الأرضية؛ لأنه يتأقلم مع التغيرات لكي تبقى استمرارية عيشه على سطح الأرض معتدلاً، بسبب وجود ماء ومناخ، والقشرة تظل ناشطة جداً جيولوجياً وهي تزال في حالة شكل دائم، والحركات اللاشعورية التي نراها بعض الأحيان هي بمثابة الحقيقة التي تتجسد في شكل خيال، يقول ألبرت آينشتاين "الخيال أهم من المعرفة"، ويبقى البقاء للأقوى، في المقابل يعجز كل البشر عن تعلم لغات تلك المخلوقات.

فعلى الرغم من تلك الجهود والمحاولات البشرية؛ لكنها لم تنجح قط. فالطفل يتعلم لغة أمه أو لغة محيطه لأنه مهيأ ومجهز بيولوجياً وله القدرة على اكتسابها ونطقها والتواصل بها في الآن نفسه،

[1]. ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون: الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، تر: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص18.

فكانت هذه القدرة من صنع اللغة في مخه (الإنسان عامة)، التي أصبحت ملكه داخله؛ إذن ليس هناك ملكة لغوية؛ بل هناك قدرة فطرية على التعلم مكنتهُ من صنع ملكته اللغوية التي هي أصل لغته. فالعناية بالمظاهر والأبنية والأنماط الاجتماعية والتلاقي الثقافي هي الأساس لتكوين البيولوجي اللازم لإنتاج اللغة أو لنشأة الملكة اللغوية وبناء قصدية وهوية المتكلم، ما أدى إلى تطور مجال اللغة من جهاز تواصلي بسيط مع حيزه الضيق إلى نظام وشبكة تواصلية مع دائرتها الواسعة وغاية في التعقيد.[1]

(هناك من يرى أن الوعي الإنساني يتفرد بخاصية تميزه، وهي أن حين يكون واعياً يدرك أنه واعٍ، أما بقية الكائنات الواعية فلا تعرف أنها واعية، وهذا يعني أنها تفتقر إلى الوعي الذاتي، الذي يبدو أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتمتع به).[2]

رغم أن سيرل قد اشترك مع غيره من الفلاسفة التحليليين من أبناء جيله؛ إلا أنه تجاوز الإطار التقليدي للفلسفة التحليلية، وذلك باستخدام منهج التحليل المنطقي المتبع في الفلسفة التحليلية أو استخدم النمط غير الصوري من التحليل المنطقي.

تميز سيرل عن هؤلاء الفلاسفة في العقود الأخيرة، في رسم "صورة فلسفية كبيرة" أو "نظرية عامة" وتفرد بمجموعة من الطرق المهمة:

1_ ينظر إلى اللغة ذاتها في مقابل خلفية من القدرات البيولوجية العصبية والنفسية للكائنات البشرية، بوصفها تستخدم وتستعمل اللغة.

2_ اعتنق موقفاً سلبياً فيما يتعلق بدور الإبستمولوجيا في الفلسفة المعاصرة؛ وإنما أصبحت الصدارة لفلسفة العقل التي ينظر إليها (سيرل) باعتبارها فلسفة أولى، بمعنى أن الموضوعات المرتبطة باللغة، والمعرفة، والأخلاق، والاجتماع، والعقلانية، وحرية الإرادة ونحو ذلك، تفهم كأحسن ما يكون الفهم عن طريق فهم الظواهر العقلية.

3_ حاول بناء ما يمكن الإشارة إليه على أنه نظرية فلسفية كلية.

---

[1]. ينظر: عطية سليمان أحمد: اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية. عصبية. عرفانية)، ص50، 66 وما بعدها.

[2]. صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم، في الفلسفة المعاصرة، ص101، 102.

4_ نظر إلى الحس المشترك ومنحه أولوية كبيرة، الخاص بالحقائق التي جاء بها العلم.

والشيء الذي ليس فيه شك هو أن العناية بالاستعمال اللغوي_ وخاصة الكلمات الفلسفية المهمة والمحورية_ التي تؤدي دوراً كبيراً في مناقشة مشكلات الفلسفة، التي يمارسها بوصفها تحليلاً مفهومياً، وهذا ناتج عن تأثره بمنهج التحليل اللغوي في أكسفورد؛ لكن دراسته للغة في رائعته ومحطته الأولى أفعال الكلام التي كانت بمثابة الخطوة والرحلة الأولى، ثم اهتم بمعالم اللغة الأخرى وهي: الوعي، والقصدية، ونقد الذكاء الاصطناعي، والواقع الاجتماعي والمؤسسة الاجتماعية، والعقلانية، وحرية الإرادة.

يرى سيرل أن "المرء إذا لم يتمكن التعبير عن نفسه تعبيراً واضحاً صريحاً؛ فإن هذا علامة على أنه لا يعرف ما يتكلم عنه.[1]

المبحث الخامس: الحجاج رافداً ومبحث من مباحث الفعل القصدي لبناء هوية المتكلم

الحجاج: ماهيته وشروطه وغايته، وما مدى تأثيره في القرآن الكريم؟

(ميدان الحِجاج ليس الصادق الضروري_ وهو ما يميز عن البرهنة_ وإنما الممكن المحتمل لذا يقول جيل دكلارك "إن الحجاج وهو يتخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلاً له يبرز كأداة لغوية وفكرية تسمح باتخاذ قرار في ميدان يسوده النزاع

وتطغى عليه المجادلة).[2]

---

[1]. ينظر: صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم، في الفلسفة المعاصرة، ص64 وما بعدها.

[2]. سامية الدريدي: الحِجاج في الشّعر العربي، بنيته وأساليبه، ص24.

_شروط النص الاستدلالي: **النصية:** كل نص هو بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها. **الاقترانية:** وهو ما كانت فيه عناصر النص مرتبطة فيما بينها ارتباط وانسجام وتكامل، **والاستدلالية:** وهي تلك العلاقات الاستدلالية التي تسود وتطغى على النص الاستدلالي من صور منطقية، أو تلك العلاقات التي يتم نسجها بين المتحاورين لغوياً. للمعرفة المزيد يمكن الرجوع للكتاب: ينظر: العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2011، ص106، 107.

✓ **خصائص النّص الحجاجي:**

نجمع سمات النص الحجاجي في النقاط التالية:

1_ القصد المعلن: يقصد به البحث عن إحداث أثر في المتلقي؛ أي إقناعه بفكرة معينة وهو ما يعبر عنه اللسانيين بالوظيفة الإيحائية.

2_ التناغم: فالنص الحجاجي يقوم على منطق ما في كل مراحله، ويوظف على نحو دقيق التسلسل.

3_ الاستدلال: يخص سياقه وترتيبه العقلي؛ أي تطوره المنطقي ذلك أن النص الحجاجي نص قائم ومبني على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميع عناصر إلى تحقيق غاية مشتركة لنية الإقناع.

4_ البرهنة: إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع، مروراً بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولاً إلى ألطف فكرة وأنفذها.[1]

✓ **من هنا يتميز الحجاج بخمسة ملامح رئيسية ألا وهي:**

(1_ يتوجه إلى مستمع.

2_ يعبر عنه بلغة طبيعية.

3_ مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4_ لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5_ ليست نتائجه ملزمة.)[2]

في إطار الحديث عن خصائص الحجاج أو سمات النص الحجاجي أثار العديد من الباحثين سمة أخرى عبروا عنها بالحوارية أو التحاورية، فالنص الحجاجي في جوهره "حوار مع المتلقي"، أي حوار يقوم على علاقة بين مؤسس النّص ومتلقيه، هذه العلاقة تتخذ دون شك أشكالاً عديدة يكشفها الخطاب ذاته باعتباره يراهن أحياناً لإقناع أكبر عدد ممكن من المتلقين بما جاء فيه.

---

[1]. سامية الدريدي: الحِجاج في الشّعر العربي، بنيته وأساليبه، ص26، 27.

[2]. المرجع نفسه: 27، 28.

وعموماً تبقى الخاصية التحاورية هامة وأساسية في تأكيد حجاجية النص إذ تجعله بشكل ضمني أو صريح موضع رؤى متباينة متناقضة فيتأسس حول أطروحتين متباينتين حتى اقتضت استراتيجية الإقناع تغيب إحداهما أو أقصاهما بحيث لا يجليها ظاهر النص ولا تلمحها القراءة التي تقف عند حدوده لا تتجاوزها.[1]

يشير ويذهب بيرلمان إلى أن الخطاب الحجاجي يلزم الباث بوجهة نظر معينة، يتخذ من إقناع المتلقي هدفاً أساسياً، ويبتعد عن كونه مجرد تواصل عادي من جهة؛ أي أنه لا يقوم على مجرد التبليغ الذي يقتضي من المتلقي مجرد فك الرموز بواسطة اللغة ليكون الفهم بل يقوم على الفعل في هذا المتلقي ويقتضي منه تأويلاً محدداً للخطاب وبهذا وحده يكون الحجاج ناجحاً والخطاب ناجعاً لأنه تمكن من تغيير وضعية سابقة له، ويخلص برلمان إلى نتيجة مفادها أن العلاقة بين الباب والمتلقي ليست معطى كما هي عليه من وجهة نظر سكونية؛ بل هي موجه يقود الخطاب في كل مراحله، وهو ما يقترب كثيراً من النظرية البلاغية القديمة، تحديداً من حديث القدامى عن خصال الخطيب أو المتكلم عموماً وأصناف المخاطبين ومقتضيات المقام.[2]

لذلك نجد أن المعنى التداولي يقاس بـ: مطلب تحقيق إجماع توافقي وعقلاني؛ عن طريق حجج محددة، يكون هدفها الأساسي بلوغ الإجماع القائمة بين الذوات المنضوية في حوار ما.[3]

لا ننسى معيارية المصداقية التي تجمع (حقيقة القضية، وصحة الفعل، وصدق القول)، وتُحيل هذه الممارسة إلى الوضع التواصلي التالي: يتلقى المتلقي المعلومة من مرسل هو بمثابة ذات تقول الحقيقة النزيهة من خلال مقولات: الدقة، والضبط، والعلميّة، والكلّية، وكل ذلك قائم على شراكة مجتمعية، ومن ثم تتكشف المرحلة الثانية، القائمة على تحقيق الاستمالة المبنية على قناعة معينة، وتأسيس هذه القناعة معناه إشراك المتلقي في صبغ العمل والتفاعل الجماعي المحكوم بقيم العالمية والجدية والمسؤولية والاستمرارية.[4]

---

[1]. سامية الدريدي: الحِجاج في الشّعر العربي، بنيته وأساليبه، ص28.

[2]. المرجع نفسه: ص32.

[3]. عَلي عبود المُحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص227.

[4]. المرجع نفسه: ص227، 228.

تتبين الحاجة إلى الحجاج في نظرية هابرماس؛ لأنه يخلق المعنى، وينتج الفهم، وذلك لأن "الملفوظات الحجاجية تختص بقطبية حجاجية، أي بكفاءة في الدخول إلى محمل لُغوي موجه نحو تأتي وليس نحو استنتاج دقيق، وهذه القطبيات الحِجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ، ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساساً لكل دلالة.

إن الحِجاج لم يعد نشاطاً لسانياً من بين أنشطة أخرى، ولكنه أساس المعنى نفسه، وأساس تأويله في الخطاب.[1]

ثلاثة مسارات للمحاججة التي قام بتحديدها هابرماس، من أجل بناء وتأسيس آلية لتنظيم عملية الحجاج وتحصيل المعرفة الاتفاقية تتمثل في:

1_ النزاع أو الإشكال القائم: وهو سبب الحجاج.

2_ اختبار الحجج أو تمحيص لقوة الحجة وأفضليتها على غيرها تأييداً أو رفضاً: وهو موضوع الحجاج.

3_ الإجماع: وهو نتيجة الحجاج.

(إن مهمة الحجاج كمرحلة جزئية تُكمل المهمة الكبرى للتواصل، وهي الفهم بين أفراد المجتمع).[2]

إن الحجاج ليس رفيق التواصل برمته؛ بل هو ما يظهر حين نشوء نزاع ما، فليس كل تواصل هو حجاج أو نقاش، فقد يكون الفعل الكلامي مثلاً يهدف إلى التأثير عبر الأمر، أو الطلب من المستمع.[3] هذا ما سنتطرق له في الفصل الثاني الذي يمثل مدار ومبحث أساسي ورئيسي من مباحث القصدية.

(إن الأصل في الالتباس الحجاجي هو أن الحجاج يجتمع فيه اعتباران اثنان هما: "اعتبار الواقع" و "اعتبار القيمة"؛ فإذا كان البرهان ينبي على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء للعلم بها، فإن الحجاج ينبي على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد، بمعنى أن الحجاج يزدوج فيه طلب معرفة الواقع وطلب الاشتغال بقيمته، وقد توافق

[1]. عَلي عبود المُحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص230.

[2]. المرجع نفسه: ص234.

[3]. المرجع نفسه: ص234.

قيمة المستدل عليه واقعهُ، فتصادف مقتضياتهُ الحجاجية مقتضياته البرهانية، وقد تُخالفها، فتصادم مقتضياته الأولى مقتضياته الثانية).[1]

(أما عن المفاهيم الأساسية للحجاج التداولي هي:

1_ وجهة النظر: إن الادعاء أو الاعتراض في قضية ما هي مما يؤسس وجهة النظر بعدها معنى حجاجياً غالباً ما يشك فيه المتلقي؛ فيسعى المرسل إلى إقناعه بقبول الدعوى المطروحة، بعدها تمثل وجهة نظر المرسل.

2_ القضية: الحجاج عبارة عن قضية أو مجموعة قضايا يتم ادعاؤها والدفاع عنها.

3_ العرض: إن الحجاج بحسب التداولية استعمال مجموعة من التقنيات؛ لتسويغ قضايا مطروحة من المرسل عن طريق العرض.

4_ الاعتراض: يفرض التحاج[2] بالضرورة وجود معترض على الدعوى أو وجهة النظر، فالاعتراض يهدف إلى الوصول إلى صدق القضية أو كذبها وبالنتيجة الاقتناع أو عدم الاقتناع بها.)[3]

والذي يمكن قوله إن الحجاج عرف تعريفات متباينة تبايناً كبيراً، لتشعب مجالاته وتعدد استعمالاته؛ إذ حصر بعضهم الحجاج في أنواع ثلاثة: الخطاب الحجاجي الفلسفي، الحجاج الخطابي البلاغي، والحجاجي الخطابي التداولي، وتختلف هذه الخطابات باختلاف أصولها وامتداداتها المعرفية والمنهجية. ومن مميزات الخطاب الحجاجي: التأثير والإقناع، وهو ركيزة النصوص الموجهة المتضمنة للقصدية والنقاش والجدل. والحجاج بمعناه العام فعالية لغوية خطابية قائمة على قضايا من شأنها الإقناع والتأثير في نفس المتلقي، وهي ظاهرة ملازمة لإنتاج الخطاب بين الناس مذ كانوا، فنظرية الحجاج هي القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، ويمكن وصف الحجاج بالحوار اللغوي القائم بذاته على الاستدلال البرهاني والحمل على الإقناع والتأثير.

---

[1]. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص230.

[2]. احتراماً للأستاذ والباحث مثنى كاظم صادق، يأتي الحجاج بدل التحاج.

[3]. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، ص53.

موضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكاناً أساسياً لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم، في اللحظة التي يتكلم فيها، يوجه قوله وجهة حجاجية ما.[1]

(إن المهمة الأساسية للحجاج التداولي هو تحويل ضروب الخطاب (الجمل) إلى أفعال منجزة، فعملية تحويل الخطاب إلى أفعال منجزة يمكن أن تسمى أيضاً تأويلاً للعبارات، أما المهمة الثانية فهي تنزيل هذه الأفعال في موقف معين وصياغة الشروط التي تنص على نجاح هذه العبارات في أي موقف من المواقف وهذا ما يجعل الحجاج التداولي يستحضر نظرية أفعال الكلام في الخطاب).[2]

والحجاج بوصفة عملية اتصالية، تتطلب حضور طرفي الاتصال الأساسي، كما أنه نوع من أنواع الخطابات؛ لأنه يعتمد على الاستدلال والتدليل ويخضع في دلالته لما يميز ألفاظ اللغة الطبيعية من مرونة تداولية.

إن الطرح اللساني التداولي للحجاج تأسس على مجموعة من القواعد التي وضعها اللسانيين من أبرزهم: أزوالد ديكرو الذي ينظر إلى فعل الحجاج على أنه فعل محدد بواسطة البنية اللسانية للملفوظات. المجتمعات الإنسانية تستعمل أساليب خطابية متعددة سواء أكانت مباشرة أو غير مباشرة تحاول الوصول لخاصية الإقناع المتعارف عليها لدى عامة الناس، معتقدين بذلك أنهم يمارسون استدلالات منطقية_ أرسطية_ في إثبات صحة دعوى ما أو تنفيذها، ناسيون أهم عامل في توجهاتهم الحجاجية ألا وهو: ضابط اللغة؛ لأن اللغة بما تتميز به من الاستعمال اليومي وثراء أبنيتها في اعتقاد ديكرو هو الكفيل بجعلها محور الدراسات الحجاجية، فموضوع الحِجَاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم، في اللحظة التي يتكلم فيها، يوجه قوله وجهة حجاجية ما.[3]

والحجاج[4] عبارة عن قضية خلافية يعرض فيها المتكلم رسالته، معتمداً في ذلك على مجموعة من الحجج والبراهين قصد إقناع الطرف الآخر بصدق دعواه.

---

[1]. بن الدين بخولة: الحجاج في التداولية اللسانية، ص 170، 171.

[2]. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، ص52.

[3]. ينظر: بن الدين بخولة: الحجاج في التداولية اللسانية، 172.

[4]. لقد كان للحجاج حضور قوي في الفكر العربي القديم أمثال: الجاحظ وأبي هلال العسكري وحازم القرطاجني والجرجاني الذي اهتم بالحجاج لما تكلم عن النظم والذي بين أهميته وآليات اشتغاله داخل الخطاب، ومن النقاد=

(تنتمي دراسة الحجاج، إلى ما أسماه ديكرو في "الدليل وفعل القول": البحث عن "منطق اللغة"، أي قواعد داخلية للخطاب، تتحكم في تسلسله. وفي المقابل تنتمي دراسة الاستدلالات، إلى مجموعة أخرى من الأبحاث، ممكنة ومشروعة أيضاً).[1]

=العرب في العصر الحديث الذين اهتموا بموضوع الحجاج طه عبد الرحمن الذي حاول به ملء الفراغ الذي خلفته القواعد الغربية بدءا من "كرايس" استكمال "بليتش"، ويقوم هذا النموذج على مبدأ (التصديق) الذي ينطلق من مطابقة القول للفعل، وتصديق العمل الكلامي، وقد صاغ هذا المبدأ على الشكل التالي:

- الصدق في الخبر.
- الصدق في العمل.
- مطابقة القول للفعل. لمعرفة المزيد يمكن العودة لكتاب: عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، شارع يعقوب المنصور، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2006، ص103.

أما الحجاج في الفكر الغربي ظهر عند فلاسفة اليونان أمثال: أرسطو الذي اهتم بالممكن والمحتمل وثار بحجته هذه على أستاذه أفلاطون، وحركة السفسطائية التي ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، هذه الأخيرة اعتمدت وبشكل كبير على التلاعب بالألفاظ والهروب من الحقيقة وإثبات عكسها.

✓ **نظرية برلمان في الحجاج (ممهدات الخطابة البيرلمانية):**

يرى بيرلمان أن الهدف الرئيسي للحجاج هو: الإقناع، (ويتسم الحجاج العقلاني بكونه قادراً على إقناع جمهور كوني أو متلقي كونيّ) _ صابر حباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ص70. أي أنه عملية اتصالية تستهدف استمال المتلقي والتأثير عليه (إقناعه). بما أن الحجاج عملية اتصالية فإنه يشتمل على طرفين رئيسين هما المرسل والمستقبل، من هنا وضع بيرلمان **عناصر الحجاج.**

تتمثل أركان الحجاج الرئيسية التي وضعها الفيلسوف البلجيكي بيرلمان حوالي في النصف الثاني من القرن العشرين في: المرسل: المؤثر بالحجة، **والمرسل إليه:** المتأثر بالحجة، **وقضية خلافية** أو تسمى بـ: **الموضوع:** القضية بين المرسل والمستقبل، و**الحجة:** الدليل الذي يعتمد عليه المرسل لتأثير على المرسل إليه وإقناعه برأيه.

لقد وجد بيرلمان حسب نظريته في دراسته للبلاغة الجديدة أنه هناك فرقاً بين الإقناع والتأثير: الأول يستهدف العقل، أما التأثير يستهدف العاطفة.

من أهم الشروط التي تتأسس وتقوم عليهما الحجة نذكر: المنطقية: أن تكون الحجة التي ينقلها العقل من أجل تسهيل عملية الإقناع، ثاني الشروط السياق أو المقامية: الذي يمثل الحجة التي تكون مقامية ولا يشترط أن تكون مناسبة لكل مقام، أي: ما يصلح في مقام أو موقف معين قد لا يصلح كحجة في موقفاً ومقاماً آخر، ثالثاً وأخيرا هو: القوة والصدق: أن تكون الحجة قوية وصادقة، والحجة الضعيفة هي التي تكون عِرضة للكشف عن إخفاقها وفشلها وغير صالحة للخطاب الحجاجي.

_ من أنواع الحجج نذكر: حجة السلطة، حجة التعريف، قياس التمثيل، بيان المغالطة، حجة الإحصاء. لمعرفة المزيد يرجى العودة لكتاب: سامية الدريدي: الحِجاج في الشّعر العربي، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط2، 2011، ص21، 22.

[1]. أرفالد ديكرو: السلميات الحجاجية، تر: أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2020، ص 52.

هناك الكثير من الأفعال التلفظية، التي تتميز بالوظيفة الحجاجية، وفي ذلك تهدف إلى دفع المخاطَب إلى نتيجة معينة، أو صده عنها.[1]

يرى بيرلمان أن الدليل البرهاني الأكثر إقناعاً يختلف عن الحجاج الذي يسعى إلى نفل الموافقة التي تتمتع بها المقدمات إلى النتيجة، وهذا بغية تحرير الحجاج من القيود الصارمة والمجال الضيق الذي يتمتع بها الاستدلال البرهاني.

جدول رقم 03: الاستدلال البرهاني والحجاج عند بيرلمان

الاستدلال البرهاني	الحجاج
1_ منطق صوري لا يقبل اللبس (برهنة تحليلية).	_ مسار حواري، يستخدم أحكام القيمة (برهنة جدلية).
2_ مسارهُ عقلي يخاطب الإدراك.	_ هدفه الإقناع على أسس عقلية.
3_ برهنة لا شخصية وهي ملزمة.	_ برهنة ليست لا شخصية (موجهة إلى طرف ما) وهي ليست ملزمة.
4_ مجاله اليقينيات.	_ مجاله الرأي والممكن (العرف).
5_ حجة واحدة يمكن أن تكون قاطعة.	_ الحجج فيه تكون كثيرة نسبياً.
6_ جمهوره كوني.	_ جمهوره خاص لكن يقصد من خلاله جمهور كوني.

[2]

وبالتالي يكون الحجاج التداولي فعالية تواصلية مبنية على خاصية التأثير، وهذه المقارنة التواصلية تهدف إلى استمالة المتلقي، وشروط إنجاز هذا التواصل وجود (المرسل والمتلقي والمشتركات اللغوية)، وهذا ليس كافيا؛ لذا على المحاج أن ينقب على العيوب التي تمس عناصر التواصل؛ لأنه الطرف الأول في هذه العملية الذي يضع القصدية في النص المرسل إلى المتلقي.

[1]. أرفالد ديكرو: السلميات الحجاجية، ص52، 55.

[2]. حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف_أنموذجا_، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، عز الدين صحراوي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012، ص32.

والمخطط التالي يوضح نظرية الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:

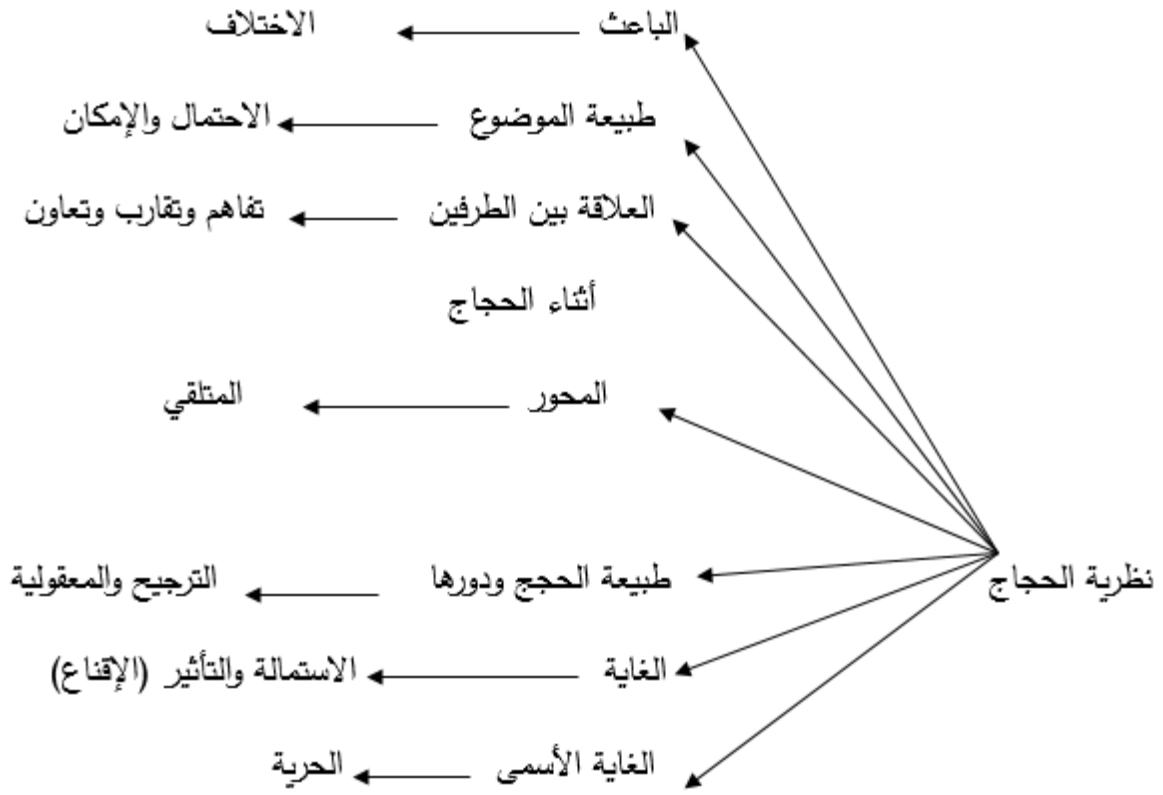

[1]

شكل رقم 31: نظرية الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا

❖ **آليات الحجاج التداولي في آية {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ} سورة هود عليه السلام الآية [44]**

لم يقتصر القرآن الكريم في إقامة حجته وبراهينه على طريقة واحدة؛ بل تنوعت طرقه وأساليبه في تقديمها وعرضها، لتكون ألزم ومناسبة للحجة، واتخذ من القصص سبيلاً للإقناع والتأثير ليحاج بها الناس وكل عاص متجبر، ولا نكاد أن نمر بقصة من قصصه (القرآن الكريم)؛ إذ نجده وتقريباً كله مملوء بالحجج القاطعة الجازم فيها وهذه الحجج تكون تلويحية أو تصريحية.

[1]. حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف_أنموذجا_، ص60.

قال الله تعالى في نصه القرآني: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وغِيضَ المَاءُ وقُضِيَ الأَمْرُ واسْتَوَتْ عَلَى الجُودِي وقِيلَ بُعْدً لِّلقَوْمِ الظَّلِمِينَ}[1]

ففي هذا النموذج القرآني تحققت شروط الحجة التي قمنا بذكرها آنفاً المتمثلة في: المنطقية التي تعتمد على المناط العقلي لتسهيل عملية الإقناع، المتمثل في الفصاحة المعنوية ونظم للمعاني إذ أن ألفاظها تسابق معانيها، ومعانيها تسابق ألفاظها، والفصاحة اللفظية جارية على قوانين اللغة، سليمة عن التنافر الصالحة لأي زمان ومكان ولأي تداول قصد به التذكير بالدعوة المحمدية، وكذلك شرط السياق المقامي الصالح في معناها فلكل مقاماً مقالاً، والحجة التي لا تصلح في مقام معين لا تصلح في موضع ومقام آخر المتمثل في: تهديد الظالمين وعاقبتهم ومعاقبتهم أشد العقاب، وثالث شرط للحجة هو: مجيئها صادقة وقوية وكيف لا تكون صادقة قوية وهي أوامر وحجج من عند الله تعالى؟

تحدث أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" عن هذه الآية من منظور بلاغي أو من جانب البلاغة وبالتحديد من جهة علم البيان محدداً بنيتها العميقة بقولة:

("أنه عز سلطانه، لما أراد أن يبين معنى: أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض، وأن نقضي أمر نوح، وهو انجاز ما كنا وعدنا، من اغراق قومه فقضى، وأن نسوي السفينة على الجودي فاستوت.).[2]

1_ الاستعارة: ابلعي/ أقلعي شبه الأرض بعاقل (الإنسان) يأكل ويبلع وحذف المشبه به وأبقى على لازمة من لوازمه وهي البلع فكانت استعارة مكنية، والأمر نفسه في يا سماء أقلعي (استعارة مكنية).

وأما النظر فيها من حيث علم المعاني جاءت مناسبة من حيث ترتيب الكلم، بالنظر في فائدة كل كلمة منها؛ فإنه اختبر **يا** دون سائر أخواتها لكونها أكثر الاستعمال؛ وإنها دالة على بعد المنادي الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة، وابداء العزة والجبروت، واختبر لفظة **الأرض** دون جميع أسمائها لكونه أخف وأدور، واختبر لفظ **السماء** مع قصد المطابقة، ولفظة **ابلعي** وذلك لمجيء التجانس بينه وبين **اقلعي**، وقيل **ماءك** بالإفراد دون الجمع الدال على المقام والعظمة والكبرياء. بين المراد اختصر الكلام مع: **اقلعي** احترازاً عن الحشو المستغني عنه، واختبر **غيض** لكونه أخصر وأبلغ من المشدد

[1]. القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع من طريق الشاطبية، سورة هود، الآية 44.

[2]. محمد بن علي السكاكي: مفتاح العُلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص417.

غيّض، وقيل **الماء** لقصد الاختصار، ثم قيلَ بُعْداً للقوم، دون أن يقال: ليبعد القوم، وهذا نزول: بعداً منزلة ليبعدوا بعداً، وهذا لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيار القوم الظالمين الرسل وتكذيبهم لهم.[1]

جدول رقم 04: المقاصد الحجاجية في آية: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ}

الكلمة	المقاصد الحجاجية
ابلعي	بدل أشربي: لأن المقام أبلغ يقتضي السرعة وذهاب الماء.
ماءك	توظيف الإنشاء الطلبي غرضه (الأمر) أي حدوث الفعل المتمثل في أمر الله عز وجل الأرض ببلع مائها، والغاية من هذا أن تجف الأرض وتستوي السفينة؛ لكي ينزل راكبوها للياسة
ويا سماء أقلعي	أي انتهي تماماً وتوقفي.
وغيض الماء	تحقق الأمر فالأرض بلعت ماءها.
واستوت على الجودي	استوت السفينة على جبل الجودي.
وقيل بعداً للقوم الظالمين	ذكر المصدر وليس الفعل لمناسبة الاختصار والإيجاز في مقام الآية. والقائل هنا هو الله عز وجل والملائكة وكل الصالحين ومن نجوا على السفينة.

أما النظر فيها من حيث علم البديع نجد:

1_ الطباق: بين السماء والأرض وبه يظهر حسن الكلام حيث تتقابل السماء والأرض في تركيبة واحدة.

2_ التجنيس والمقابلة: وفي هذه الآية من ذلك اللاحق وهو: أن يجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلا بحرف سواء كان أولاً أو وسطاً أو آخراً، كقوله تعالى: "يا أرضُ ابلعي" "ويا سماء أقلعي".[2]

[1]. ينظر: سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العُلوم، ص419 وما بعدها.

[2]. ينظر: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري: كفاية الألمعي في آية يا أرض إبلعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص206.

ثم ختمت القصة بما خُتمت.

من هنا يمكن القول إن القصص القرآني عبارة عن وسيلة وأداة أسلوبية محكمة من عند الله عز وجل ومعجزة في الآن نفسه، وأداة حجاجية بالدرجة الأولى، والهدف أو الغاية أو الغرض التداولي من الحجاج هو تحصيل وتحقيق والإقناع (إقناع الناس بصدق الدعوة المحمدية، وبالنهاية الوخيمة التي تنتظر في القوم الظالمين).

لقد اهتمت نظرية أفعال الكلام بالبعد التداولي للحجاج؛ حيث نجد أن الحجاج ألية حوارية تداولية قائمة على الحوار والمناظرة وفن التنظيم، تخضع فيه الحجج لنشاط الأفعال اللغوية وغير اللغوية المتنوعة.

الحجة ---------- النتيجة

(وَنَادى نُوحٌ ابْنَهُ وكَانَ في مَعْزِلٍ (وقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّلِمِينَ)
يَا بُنَي ارْكَب مَعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الكافِرِينَ)

وفي هذه اللحظة الآنية تستيقظ في (الوصول إلى الحقيقة المصيرية لك
كيانه الأبوة الملهوفة، ويذهب ليهتف من كان ظالماً وعاصياً لنفسه ولغيره)
لأحد أبنائه الشارد الذي كان معزل عنهم وليس معهم.

أهم النتائج المتحصل عليها في الفصل الأول

- ✓ من خلال هذا قمنا بالتكريس الدلالي ونوعاً ما من الشمولية للمفهوم الإدراك والقوى المدركة وفي تحولاته الأخيرة وبعد انطلاق ما يسمى بـ: "إدخال الجسد في الإدراك الذهني" من أجل بناء مداراً قصدياً يسعى لإثبات هوية المتحدث في ظل العملية التواصلية.
- ✓ يعد المتكلم مداراً من مدارات القصدية الأساسية؛ إذ لا زال وسوف يبقى يشكل الذات المحورية في إنتاج الخطاب القصدي؛ لأنهُ هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف ما وغاية ما، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابة. من المستحيل أن يقوم المتكلم بإنتاج خطاب دون أن يمنح اعتباراً للسياق، فلا خطاب خارج سياق ما، فقد يستعمل المتكلم اللغة الطبيعية، مع استعمال بعض العلامات غير اللغوية، ليمارس بها خطاب، لذلك نجد أن التواصل بين الناس لا يتوقف على اللغة الطبيعية وحدها، بالرغم من أن الإنسان لا يستغني عنها في الفعل التواصلي مع الآخرين؛ لذلك يعتمد أحياناً على الاستراتيجية المباشرة في بناء خطابه، ومرات يستخدم الاستراتيجية التلميحية (غير المباشرة).
- ✓ إن النص أو الخطاب يتشكل من خلال التواصل والاشتباك بين الخلايا العصبية القائمة على مثير معين أو انفعال ما، من هنا تبدأ العقول وتنتهي مهمة المحسوسات بصورة متزنة ومتوازية للوصول للقصد المراد تحقيقه.
- ✓ إن الخبرات الواعية تشير إلى خبرات أخرى، فالفكرة الواحدة التي نملكها تذكرنا بأفكار أخرى، وكل مشهد نشاهده ونلمحه ينقلنا إلى أشياء أخرى وهذا ما أطلق عليه سيرل اسم: الفيضان.
- ✓ الوعي الذي يملكه المتحدث لا يمكن أن يقع في مكان منفصل عن المخ.
- ✓ لا يتكلم المتحدث مع غيره من فراغ؛ بل يتكلم مع غيره حاملاً معه قصداً محدداً وثابتاً لا يتغير.
- ✓ يقع المتحدث بين التمثل والاتصال؛ أي ينطق عبارة معينة تمثل واقعة معينة، ويقصد في الوقت نفسه توصيل أو نقل هذا التمثل إلى مستمعه إذ لا بد أن يراعي المتكلم مستوى المخاطَب الفكري والاجتماعي والثقافي، متحرياً بذلك السلامة اللغوية وعدم الغموض.

- ✓ لقد ركز سيرل على قصدية العقل، واعتبرها الأساس العميق الذي تنبثق منه الصور الأخرى من القصدية مثل: قصدية الرموز أو اللغة أو الصور وغيرها، وتسمى هذه الأخيرة بـ: القصدية المشتقة.
- ✓ في الحقيقة إن المخ هو المسؤول عن الشعور بالجوع، وليس المعدة؛ لأنه الجزء الأكبر من الدماغ البشري مما يسهل عملية التواصل والاتصال معاً والتفاعل القائمة بين المرء وبيئته.
- ✓ يرى سيرل أن المرء إذا لم يستطيع التعبير عن نفسه تعبيراً واضحاً صريحاً؛ فإن هذا علامة على أنه لا يعرف ما يتكلم عنهُ.
- ✓ الفعل التمريري:(كل قول منقول من شخص إلى آخر لُغوياً، ويحمل دلالة قصدية من المتكلم).
- ✓ لقد اهتمت نظرية أفعال الكلام بالبعد التداولي للحجاج؛ حيث نجد أن الحجاج ألية حوارية تداولية قائمة على الحوار والمناظرة وفن التنظيم، تخضع فيه الحجج لنشاط الأفعال اللغوية وغير اللغوية المتنوعة.
- ✓ تبقى الخاصية التحاورية هامة وأساسية في تأكيد حجاجية النص؛ إذ تجعله في شكل ضمني أو صريح.
- ✓ إضافة إلى عوامل أخرى تتحكم في سيرورة الإنتاج الخطابي اللغوي وغير اللغوي، وفي بناء العملية التواصلية لدى المتكلمين.
- ✓ لا ننسى العُرف ومجرى العادة في التخاطب التي شكلت بوابة مهمة في بناء قصدية العقل لدى المتكلمين.

الفصل الثاني:

حد المستمع ومعيناته على الفهم والإدراك

المبحث الأول: نظرية المزج التصوري في بلورة وتجديد عملية الإدراك الذهني لصاحبها مارك تورنر

المبحث الثاني: عملية البحث عن التأويل التداولي والمعنى المقصود داخل دائرة الفهم أو التصور المسبق

المبحث الثالث: الصيغة المنطقية للقول القائمة على الممارسة الذهنية

المبحث الرابع: سلطة القارئ التداولي ومدارك فهمه في بناء المعنى وولادة النص الأدبي

المبحث الخامس: من الافتراض المسبق إلى الفهم المسبق

أهم النتائج المتحصل عليها في الفصل الثاني

المخاطَب/ المرسل إليه: وهو الطرف الثاني للخطاب، الذي يستقبل المعلومات والمعاني من المرسل، وهو مكمل دائرة التواصل، ومن ثمة فإن دوره لا يقل عن دور المرسل ومحوريته؛ بل إنه عنصر أساس في العملية التواصلية، وإليه تتجه لغة الخطاب، وعليه فإنه يمارس، بشكل غير مباشر، دوراً في توجيه المتكلم عند اختيار أدواته وصياغة خطابه، وذلك بحضوره العيني أو الذهني.

كل هذا يترك أثره بوصفه ممارسة تقوم على تفكيك الخطاب وتأويله وتفكيك الرسائل التي يبعث بها المرسل، لمعرفة مقاصد المتكلم وأهداف وغايات ومعالم وأبنية الخطاب التي يرى أنه يريد تحقيقها.[1]

لا يكون المرسل مرسلاً إلا في حالة وجود المتلقي فمن هو المتلقي إذن؟ يتطلب الوضع التواصلي ويستلزم علاقة فك التسنين فما هو دور المتلقي؟ ما هي العوامل التي تساعده في فهم مقاصد المتكلم؟ ماذا أضافت نظرية المزج للمفهوم القصدي؟ ما الذي يحدث للقارئ أثناء تتبع مسيرة فكر متشعب؟ إن كانت اللغة تمثل الوجود فما هو الفهم المسبق للغة والتأويل معاً؟ هل هناك تأويل تداولي محض؟ ما هي العلاقة بين القارئ والنص؟ وما هي العلاقة التي تجمع بين التأويل والاستعارة؟

الأصل أن يكون الغرض الأساس من كل مجهود فكري أو عضلي يبذله الإنسان هو تحسين حياته وحياة الآخرين وتغييرها نحو الأحسن. وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكننا فهم الإنسان؛ إلا بهم كل نسيج في عالمه من منتوج ثقافي: أدب، وفلسفة، وطب، ونحت، وموسيقى.[2]

[1]. ينظر: يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص2.

[2]. حسن بدوح: المحاورة، مقاربة تداولية، 57.

المبحث الأول: نظرية المزج التصوري في تجديد وبلورة عملية الإدراك الذهني لصاحبها مارك تورنر

يبدأ الإشكال والتأسيس الحقيقي لنظرية الدمج المفهومي انطلاقاً من قول تورنر:

(يكمن الحافز الأول في تبلور نظرية المزج في المسألة العلمية الكبرى التي تدور في عصرنا: كيف لبني البشر أن تكون لهم هذه القدرة العجيبة على التجديد؟ فما هي العمليات الذهنية التي تفسر ما لنا من القدرة الآلية على إنشاء شيء إضافي من لا شيء إلا؟).[1]

يقترح أفلاطون ويأتي بحجته مفادها: أن المعاني الجديدة والأشكال الجديدة لا تُحلق أبداً؛ وإنما تتذكر ليس غير، هذا الرأي والموقف فطري يجعل من الإبداع والتجديد مجرد تذكر لما كنا نعرفه قبل الولادة، لذلك ركز تورنر على زاوية عملية تكوينية فردية في مستوى الطفل التي تتشكل من خلال المعاني ومن الأشكال.

لقد اقترح مارك تورنر إطار العمل الأول في بلورة نظرية المزج في محاضرات مشتركة سنة 1993، التي تطورت بسرعة فائقة، واعترف أن لها من العمر عشرون سنة أو أكثر.

يؤكد تورنر على حاجته الملحة في كشف العمليات العرفنية وفي إبراز هذه النظرية ودورها في تفسير وفهم وإدراك اختراعات المعاني[2] في قوله: (يحدث هذا النمط من التغير لأن الناس فرادي وجماعات يتولون اختراع المعاني الجديدة اختراعاً ذهنياً، وينتج عن هذا المعنى الجديد مظاهر ثابتة جديدة في العالم... فنحن محتاجون إلى نظرية في التجديد تفسر هذا النوع من اختراع المعنى الذي يسبق التغيرات التي تتقدح في العالم).[3]

إن الحديث عن المزج يحمل معنى غير مباشر عن الشبكة، وهذه مزية وخاصية عظيمة لشبكات الدمج المفهومي.

---

[1]. مارك تورنر: مدخل في نظرية المزج، تر: الأزهر الزناد، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون الإنسانيات، تونس، د ط، 2011، ص4.

[2]. ينظر: المرجع نفسه: ص4

[3]. المرجع نفسه: ص5.

فنظرية المزج تعمل بسرعة فائقة في أغلب الحالات، ملازمة في الواقع لكل نشاط ذهني حركي أو هي محاولة إدراكية الذي تنشأ بفضل التقدم والتطور البيولوجي، وعملية الأفضية الذهنية[1](متصلة بالفضاء الإدراكي) ، شائعة يومياً وضرورية لاشتغال الذهن عن طريق الإسقاط الانتقائي، قائمة على قاعدة تأويل وتفسير وفهم قدرات البشر البسيطة والمركبة وطاقته وكشف خبراته التفاعلية المعرفية، وحقائقه الخفية والمعلنة، على حركية الاندماج بين الواقع، والعالم التراكمي للبشر، المبنية على التجديد السريع والدمج المفهومي عبر شبكات المعنى والحيوية في تشكيلها، هذه الأخيرة (المعاني) تتفاعل لإنتاج معانٍ جديدة بالاعتماد على معاني الأصول (الأفكار والمعاني الأولى). فالمزج عملية تقوم على مبادئ تكوينية وعلى مبادئ حاكمة.

وكما قال دايفيد بروكس، منذ زمن بعيد، أن يقول "أنا نمر". بزعم أنهُ (نمر). ويبدو هذا على غاية من البساطة؛ إلا أنه من المعقد تعقيداً هائلاً، في الواقع، أن نأخذ مفهوم "أنا" ومفهوم (نمر) وتمزج بينهما؛ إذ تقترح نظرية المزج أنه يوجد عملية نظامية ذات أهداف شاملة بعيدة المدى ومبادئ تأسيسية تحكمها أبنية وأفضية ذهنية وقوالب نموذجية بها يكون بناء شبكات الدمج، بالتالي تظهر مختلف شبكات الدمج العامة المتنوعة مراراً وتكراراً في العرفنة البشرية، التي تجعل من اللغة شيئاً ممكناً من خلال العمليات الذهنية العليا عند البشر، ولنا في اللغة قوالب مهيئة لاستعمالها، ولنا اللغة للتعبير عن هذا المزج تعبيراً حقيقياً، ولسنا بحاجة إلى اختراع لغة جديدة حتى نعبر عن التعقيد وعن

---

[1]. تترابط الأفضية، لكي تنتج عملية المزج استناداً لعمليات ذهنية ثلاث هي:

(1_ التركيب (التأليف): يشكل عملية إسقاط مضامين، وعناصر من كل من الفضاءين الدخلين بالشكل الذي تمنح بخلق علاقات دالة في الفضاء المزيج.

2_ الإكمال: هي عملية انعكاس بين الفضاءين، والفضاء المزيج، تجري هذا العملية من دون وعي منا، وتتمثل باستكمال نواقص الصورة الذهنية وإكساء المزيج. لتشكل بذلك نقطة الإثارة وذلك أن المتلقي سيُسقط شيئاً من انفعالاته التي تصاحب عملية الاسترجاع اللاوعي لتتلاحم وتترابط وتتلاءم مع عناصر الأفضية، لتتبلور فيما بعد فيدرك المخاطَب المقصود، وهذا للغرض الفهم والإدراك.

3_ البلورة: عملية مواصلة التركيب، والإكمال، وهي تكشف عما يمكن أن يقود إليه المزج. فكل مزج يجري إلى غاية يتحقق المطلوب منه ببلوغها). وهذا سنتعرف عليه في الرسم البياني الرباعي الذي شكلهُ أصحاب نظرية المزج الذهني. للمعرفة المزيد يمكن العودة لـ: المتمرس محمد علي الصغير وجنان تكليف علي: التعبير بالمزج التصوري عن التقابلات الوجدانية في القرآن الكريم، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ع60 آذار، 2012، ص4، 5.

البنية الناشئة في شبكة المزج المفهومي، فاللغة تملك القدرة على تعبئة القوالب الأساسية وعلى إعادة تعبئتها وتشكيلها في عملية ديناميكية.[1]

1_1 اللغة بين القدرات التكوينية للخطابات ودورها في عملية المزج

(اللغة نظام علائقي يتكون من أزواج من الشكل والمعنى، يُطلق عليها "أبنية" وهي بدورها تندمج الواحدة منها في الأخرى. وتقودنا هذه الأبنية والمزج بين الأبنية إلى إقامة شبكات من المزج المفهومي. تتمازج المعاني من خلال الإسقاط الإنتقائي والبنية الناشئة. وهذا المعنى هو حافز لنا بأن تجري عملية ذهنية ذات درجة عالية من الدقة).[2]

يذكرنا تورنر بنوع آخر من المزج وهو: مزج الدوامة الذي يقوم بتجميع الأفكار والأبنية والمعاني التي تتصادم فيما بينها، كما يجعل المزج الدوامة الذهن البشري قادراً على أن ينهل من مجال واسع الأفكار والأبنية الموجودة سلفاً فيما مضى لنسج طاقات ناشئة من قبيل اللغة.[3]

شكل رقم 32: خطاطة تصورية توضح مفهومين في عملية واحدة ألا وهي: فهم المعنى المقصود وتلك القدرة الذهنية في ظل التطور البيولوجي للغة والذهن معاً.

فنظرية المزج تتبنى الفكرة التي مفادها أن قدراتنا العرفنية البشرية الحديثة؛ إنما خُلقت ونشأت نشؤا واحداً، وأن محاولة تفسيرها كلا على حدة إنما تقودنا إلى المغالط لقد تنشأ معاً من زاوية تكوينية

---

[1]. مارك تورنر: مدخل في نظرية المزج، ص5 وما بعدها.

_ إن مزج الدوامة عبارة عن عملية ذهنية عامة شاملة، تعمل وفق عدد من المبادئ التكوينية والحاكمة، لكي تعطينا القدرة على تخيل الأذهان الأخرين، أيضاً تمدنا بالتصورات المتعلقة بالأذهان الأخرى.

[2]. المرجع نفسه: ص41.

[3]. المرجع نفسه: ص12.

_ (لا يجب أن نستعمل المزج الدوامة لنفهم العبارة فقط؛ وإنما نستعمله لنفهم الوجه الذي به يكون مزج الأبنية، ولكي نفهم جيداً يجب على المرء أن يكون ذا قدرة على المزج الدوامة ليدمج الأشكال بالمعاني على طريقة بني البشر لا على الطرق المحددة التي تستعمل بها سائر الأنواع من المهيئات التواصلية) _ المرجع نفسه: ص57.

فردية في مستوى الطفل. ونتبنى الفكرة التي مفادها أن هذه القدرات تتجمع: اللغة والفن والحقيقة الرياضية في الموسيقى والاكتشاف العلمي والدين والعرفنة الاجتماعية المتقدمة واستخدام الأدوات الدقيقة والموسيقى المتقدمة والرقص...

1_2 عامل التفاعل الخيالي في شبكة المزج المفهومي

يقوم المزج بعرض نوع من التفاعل الخيالي، وتسمية خيالي لأن المشاركين لم يتفاعلوا قطّ.

ومن أبرز الأمثلة التي أوردها تورنر في كتابه " مدخل في نظرية المزج" السباق الأسطوري والراهب البوذي، وقد كان المزج في قصة الراهب البوذي ملاقياً نفسهُ خيالياً، فالراهب البوذي لا يلاقي نفسه أبداً لقاء حقيقي. فالخيال ضروري في التصور البشري.

نحن نفكر في "خيالي" على أساس كلمة ضدية لـ "حقيقي"، ثم إن المفاهيم الخيالية، في الأغلب، على غاية من الأهمية في فهم الحقيقة.[1]

(فالتصور الخيالي في بقعة ما من الشبكة قد يكون بالفعل خيالياً، إذ ما أُخذ على أنه بنية معنوية مستقلة بنفسها؛ ولكن هذه المواضع الخيالية في الشبكة قد تعيننا على الإمساك بالحقيقة التي سترى عبر الشبكة. فالمزيج يؤدي عملهُ الذي يجب أن يؤديه ليسر لنا فهم الحقيقة. والمزيج لا يكون إثباته على أنه الحقيقة؛ لكنه، عوضاً عن ذلك يقدم على أنه سبيل إلى فهم الحقيقة. وكثيراً ما تأتي الحقيقة من الخيال).[2]

1_3 شبكات الدوامة وعلاقتها بالترابط والتكثيف الخيالي

المزج بين أفضية متصادمة تصادماً مركزياً هو ما يختص فيه بنو البشر؛ أما بالنسبة للشبكات المرآة، تعمل على الربط بين أفضية دخل تشترك في إطار فالمزج يحدث حدوثاً روتينياً في جميع الأفضية الذهنية المتنوعة وفي مختلف العلاقات الأساسية التي تربط بينها. فهو يبني شبكات من الاندماج المفهومي. يعرض أصحاب نظرية المزج رسماً بيانياً رباعي الأفضية دالاً عليه (المزج)، في الشكل التالي:

---

[1]. مارك تورنر: مدخل في نظرية المزج، ص19.

[2]. المرجع نفسه: ص19.

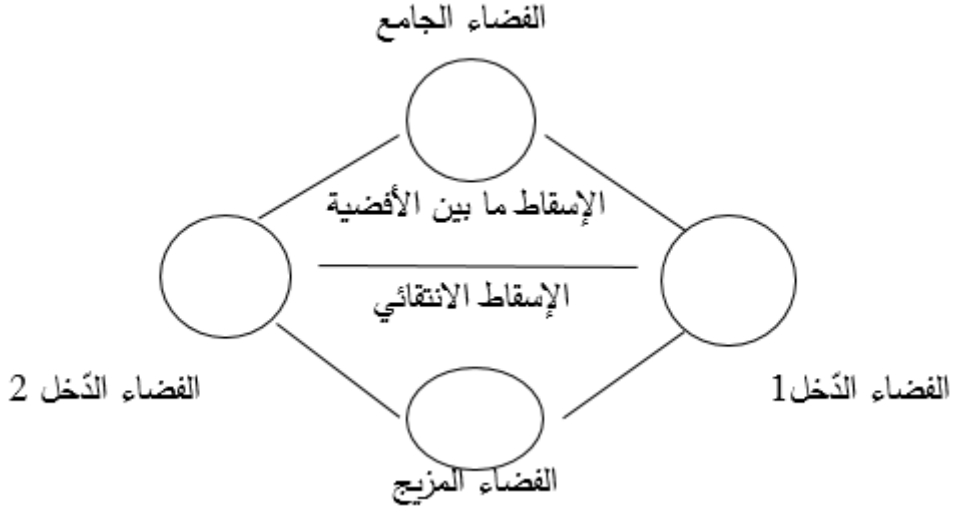

[1]

شكل رقم 33: رسماً بيانياً رباعي الأفضية الدال على المزج، الذي عرضه أصحاب نظرية المزج الذهني اعتماداً على شبكة المرآة، من خلال فضاءين دخلين مختلفين وفضاء مزيج وفضاء جامع.

يستطيع المرء أن يبدأ من الفضاء الجامع ويخلق شبكة فيه، أو خلافاً لذلك يمكنه أن يبني فضاء جامعاً، بعد الجمع مع سائر المكونات في الشبكة تجميعاً كاملاً. فنشوء المعنى وتوليده من جديد لا يكون فقط في المزيج؛ وإنما يكون غالبا على مستوى الشبكة إذ يمكننا أن نقيم في الشبكة ترابطات جديدة لم تكن موجودة فيها من قبل.[2]

فكلما بنينا الشبكة، لا نحافظ عليها؛ إذ تزول وتتلاشى، نترك كل شيء يتلاشى من تلك الشبكات؛ ولكن بناء الشبكة يمكن أن يغير العناصر التي دخلت الشبكة، نستطيع أن نصنع شبكة قادرة على أن تغير المعرفة التي نحملها معنا.

---

[1]. مارك تورنر: مدخل في نظرية المزج، ص23.

[2]. ينظر: المرجع نفسه: ص21.

ـ ويبدو أن الأطفال يطورون قدرات على المزج في سن مبكرة جداً.

ـ مدى الانتباه والأداء عند البشر على غاية من الاتساع والتنوع؛ لكن ينبغي أن تكون معرفتنا وقدرتنا اللغوية قادرتين على الاشتغال. في خضم ذلك المحدود القائم بين "الاستحضار" و "الاشتغال".

نلاحظ أن هذا النوع من المزج والتعبئة في مظاهر التواصل البشري وحتى في الإقناع.[1]

التعبئة والتفكيك يشكلان واحدة من السمات المركزية في المزج. فالمزج الدوامة قادر، بوجه مخصوص، على إنتاج مشاهد كائنة على السلم البشري معبأة وجوالة تقيم جسوراً عابرة للزمان والمكان وللذوات، وهذا ما يساعد في إدراك الأشياء وفهمها.[2]

لا يكون التفكير والشعور بعيدين عن الأحداث البيولوجية، وهما حاضران، تحدهما وضعيتنا المحلية الكائنة على السلّم البشري، التي، يحكمها نظام الآن.[3]

وقد فكر العلماء في مدى الفكر البشري وحاولوا تفسير أصوله. يقدم أنطونيو داماسيو في كتابهِ "الإحساس بما يحدث"، نظرية محل جدال بعدها جعل التطور العصبي "الوعي الموسع" ممكناً:

(ما يزال الوعي الموسع عالقاً بنفس النواة "أنت"، ولكن ذلك "أنت" مرتبط الآن بالماضي المعيش وبالمستقبل المرتقب اللذين يمثلان جزئيين من سجلك التراجذاتي. وقد ركز أندال تولفينغ في قدرتنا على السفر الذهني في الزمان، وعلى طاقة الذاكرة الحديثة عندنا وعلى الوعي بمعرفة الذات. ففي الوعي بمعرفة الذات، يمكننا أن نستحضر المقطع الذي حدث فيه شيء).[4]

نحن بنو البشر نملك تجارب الناس الآخرين، وذلك عن طريق المزج والخيال نصور صور عنهم، ولا ننسى القدرة العجيبة والطاقة الكبيرة التي تحتوينا؛ إذ يجب الوعي بمعرفة الذات، هذا الأخير يُمكن الشخص من أن يصير واعياً بهويته ووجوده في الزمان الذاتي الذي يمتد من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل.

---

[1]. ينظر: مارك تورنر: مدخل في نظرية المزج، ص31.

[2]. المرجع نفسه: ص34.

[3]. المرجع نفسه: ص34.

[4]. المرجع نفسه: ص34.

فشبكة الدمج المفككة تصور الأشياء بطرق متنوعة، لا يكون ذلك لأنها تبدو ذات فهم للأحوال الذهنية محدودة جداً فقط؛ وإنما هي كذلك لأنها تبدو غير قادرة على إنشاء الترابطات بين الأحوال الشاسعة، فهي تشتغل على امتداد حياتنا كلها وعلى جميع اختلافاتها.[1]

(الهوية الشخصية واحد من الأشياء التي نعبئها في حقيبة الشفر الذهنية لنحملها معنا فنصل أنفسنا بالعالم فنشغل بذلك في العالم.

وننشط تصوراً لذواتنا في المستقبل أيضاً. فذواتنا في المستقبل ليست موجودة بعد فنحن لا نجري تكثيفاً على التجربة إذن ولكننا عوضاً عن ذلك، نفكك ذاك التصور الذي عندنا إلى شبكة دمج مفهومي تكون فيها أزمنة صالحة لتكون في المستقبل)[2].

1_4 نظرية الذهن والتفكير المسبق

(نحن لا نملك تجارب الناس لتخرين، ولكن بواسطة المزج يمكن أن نتخيلها. فعملية إسقاط خصائص بشرية (السلوك، المشاعر، المظهر) على شيء جماد تقربُ كثيراً مما أطلق عليه "المزج المفهومي"، وهو تلك القدرة على اختراع مفاهيم جديدة وعلى تجميع قوالب ذهنية جديدة حركية بـ "مزج" العناصر والعلاقات الأساسية من سيناريوهات متباينة ((فوكونياي وتورنر2002)).[3]

1_4 التغير والتطابق والتماثل والتباين

(لا يرمي المزج بكل شيء في عجنة واحدة، وأغلب التوليفات الجارية وفق قاعدة مبدئياً لا تحدث أبداً عندنا فالقيود شديدة ولكن عملية نشوء المعنى ليست تركيبة ولا خوارزمية. فبنو البشر مبدعون بهذه الوجوه. وليس للكلمات معنى ولا هي حاملة إياه. إنما الكلمات والأبنية قوادح نجربها لإنشاط عمل الذهن لبناء المعنى. إنما نستخدم عمليات ذهنية أساسية نملكها سلفاً لنشتغل على الأشياء التي نعلمها في جلها. مسبقاً).[4]

---

[1]. ينظر: مارك تورنر: مدخل في نظرية المزج، ص35 وما بعدها.

[2]. المرجع نفسه: ص36.

[3]. المرجع نفسه: ص37.

[4]. المرجع نفسه: ص56.

1_5 الحالة الانفعالية الوجدانية الفيزيولوجية (مراسيم الغضب) للفهم الحقيقة القصدية في شبكة الدمج في رواية ليس لهافانا ربّ يحميها لـ: ياسمينة خضرا_أنموذجاً_

تعد الرواية نص يحاكي كل النصوص، هذا ما جعلها تعتبر من أحدث الأنواع النثرية التي عرفها العرب؛ إذ نجدها من بين الأجناس الأدبية التي تحظى شعبية كبيرة، والأكثر رواجاً وذيوعاً وتأثيراً على المتلقي؛ لأنها تعبر عن اهتمامات الإنسان المعاصر ومشكلاته.

يعتبر الغضب ظاهرة عادية تصيب الإنسان العادي، أو مظهر داخلي شعوري قبل أن يكون مظهر فيزيولوجي شكلي، انطلاقاً من المثير إلى الاستجابة الصادرة عن الإحباطات.

عُرف الغضب على أنه استجابة عاطفية طبيعية تظهر لمساعدتنا على التكيف مع:

_ التهديد.

_ الأذى.

_ العنف.

_ الإحباط.[1]

كثيراً ما يجعل (الغضب) المتلقي متفاعلاً مُدركاً لقصدية المرسل، في سلك تفكيري سريع الفهم والإدراك، نحو:

(خبط بيدرو بقبضته على الطاولة خبطةً قوية، فسقطت منفضة السجائر على الأرض وتطايرت أشلاءً.

_ كفى.

تحولت سحنته إلى مزيج من الرمادي البنفسجي، وانكمشت شفتاه في تكشيرة وحسية.

.. إلتمع الدمعُ في عينيه. شدّ قبضتهُ ليكبت شهقةً كادت تفلت منه. أحزنني غضبه).[2]

---

[1]. ينظر: جيل لندنفيلد: إدارة الغضب، مكتبة جرير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط4، 2008، ص13.

[2]. ياسمينة خضرا: ليس لهافانا ربّ يحميها، رواية، نقله من الفرنسية حسين قبيسي، عن نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان، ص24.

تشير وتوحي الأبنية اللغوية في الجملة ذات الشحنة السلبية (حدوث انفعال الغضب) بإقامة شبكة دمج مفهومي يجري فيها تكثيف علاقة أساسية بين الأفضية الدّخل في مزيج ما، هذا التغير في الأسباب ينجر عنه تغير كبير في النتائج وفي التأثيرات؛ إذ ويجد القارئ صياغة لهذه القصة هي بمثابة المدخل إليها.[1]

هذا النموذج شكل بناء معنى وفهم جديد، إذن نحن نعيش في المعنى. هذ المزيج الروائي مثل لنا زاوية نظر وإحالة وقراءة إدراكية للظاهرة بيولوجية معتاد ومتعود عليها وهي: حالة الغضب، فمن بين العوامل والمثيرات والمنبهات التي سببت في إحداث وحدوث مظهر الغضب وتقلب داخلي وخارجي في البنية البشرية وعلى مستوى شخصية خاصة وهيكل بيدرو، وهو ينشئ في هذا المشهد، مزيجاً فضائياً يعبئ مسافات شاسعة في شيء صغير يمكننا رؤيته، هذا المزيج جعله ينتقل من الحالة الشعورية العادية إلى حالة أشد تعقيداً ومزيجاً وإضراماً هي: الإدراك الفردي بالشيء الذي سيحدث وتحمله المسؤولية.

نستطيع القيام بالإسقاط الانتقائي الذي يخلق مزيجاً يُكون فيه للفكرة الإعطاء بنية ناشئة، وذلك عن طريق انفعال الغضب وشعوره مع غليان دم القلب.

[1]. مارك تورنر: مدخل في نظرية المزج، ص13 وما بعدها.

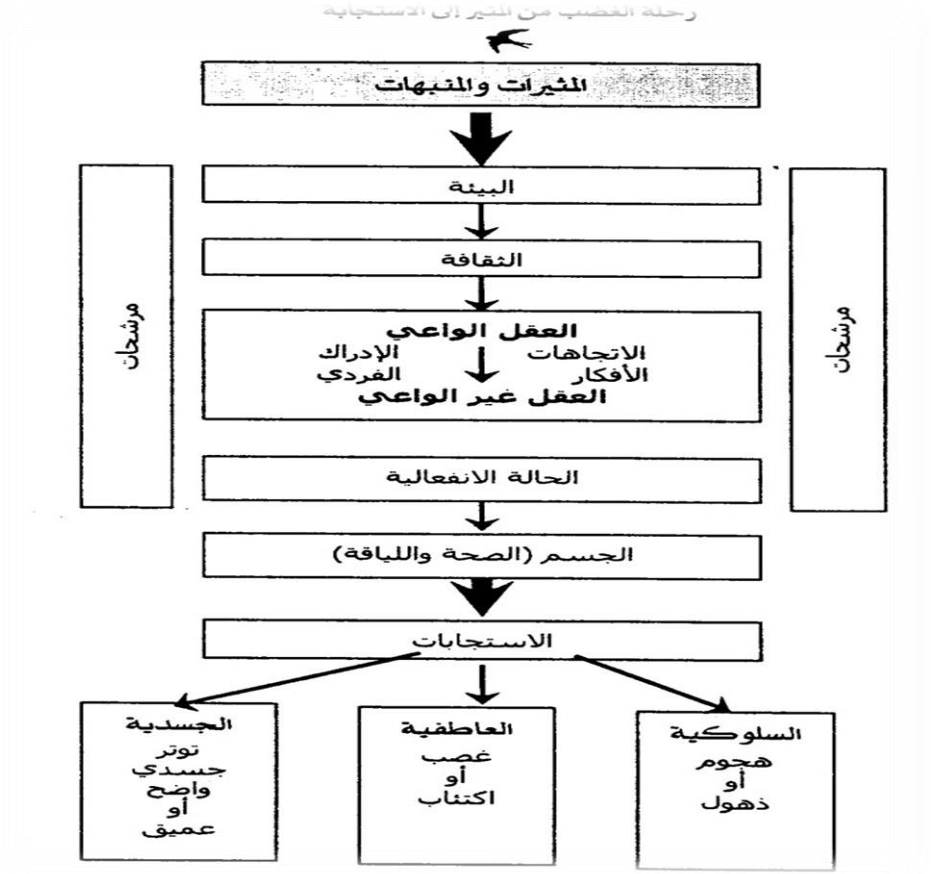

[1]

شكل رقم 34: المثيرات والمنبهات أثناء عملية الإدراك

بإمكان المرء الانتقال عبر الدرجان المختلفة من الشبكة المفردة إلى شبكة الدوامة، تنقلاً سريعاً، كما هو الحال في العبارة "زيوس هو أبو أثينا، لقد وُلدت من رأسه تكسوها الدروع المعدنية". ففي الفضاء المزيج بنية ناشئة عجيبة: فلا أم لأثينا ولا طفولة لها، فقد وُلدت من رأس أبيها. فولادتها مزيج مهم لافت لأن الرأس حاوية والرحم حاوية. ومن إطار الولادة نسقط الوليد، والحاوية ولحظة الولادة ولكننا لا نسقط الأم والرحم والإفضاء الجنسي. هنا مظاهر الترابط والتكثيف الخيالية التي يمكن إقامتها عند البشر باستخدام إطار العلاقات البشرية، فالخيال يعني الوصول إلى الحقيقة الجادة.[2]

[1]. جيل لندنفيلد: إدارة الغضب، ص15.

[2]. ينظر: مارك تورنر: مدخل في نظرية المزج، ص21.

المبحث الثاني: عملية البحث عن التأويل التداولي والمعنى المقصود داخل دائرة الفهم أو التصور المسبق

يحتوي ومتوقف وجودنا ككائنات بشرية على ذلك الموقف الذي يأتي بعد التصورات المسبق، هذا التصور نتناول به العالم ونفصح عنه، وعلى "فهمنا المسبق" للعالم.

الحقيقة الأساسية الجوهرية هي تلك: التي تشكل قالباً أو هي عبارة عن هدية من جانب الوجود وجزء منه الذي يفكر بنا، هذا الأخير (الوجود) لغوي في بنيته وصميمه، يعقل ويفقه لغتنا ذاتها.

(و"ليست الكلماتُ واللغةُ قواقع تختزن فيها الأشياء ببساطة من أجل تجارةِ الحديث والكتابة. في الكلمة وحدها، تصبح الأشياء وتكون").[1]

بما أن في قلب الوجود وصميمه ثمة مسافة: هذه المسافة قد يقال لها "الدلالة" تصنيع الخبرة، أن التداولية لها أصول ومكتسبات تأويلية وخاصة في مدار المستمع (القارئ)، ونادت بـ: "الوعي بالذات". وكذلك "الوعي بالآخر". أمر قصدي، والفهم هو أساس التفسير، وقبل أن نخوض للتأويل التداولي، حبذا التطرق إلى التأويل عند الأوائل أمثال: هايدجر الذي جاء تعبيره عن اللغة مقابل الوجود، موفقاً نوعاً ما؛ إذ يختم رسالته وهو يتحدث عن النزعة الإنسانية بقوله: "إنما اللغة لغةُ الوجود، كما أن السحب سحبُ السماء.[2]

تمثل اللغة فضاء هذا التواصل بين الأفراد والجماعة المتحاورين، يدركها الوعي بالإنصات والرجوع إليها، هذا الإنصات يتجلى على المستوى السياقي ويهمس في حروفها.

في المقابل نلاحظ أن "غادامير" كما قمنا بمعالجته ودراسته سابقاً: "إرادة الفهم" داخل إرادة التفاهم والمشاركة. فالذي يُريد أن يفهم يجب أن يشكل تصوراً ما، ينجزه عن طريق الاسترجاع قبل أن يسقطه على الأشياء، هذا الاستحضار يشكل تصور وفهم قبلي مسبق لمعنى شامل بمجرد ما يظهر

[1]. عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيُوطيقا، ص256.

[2]. ينظر: المرجع نفسه: ص257.

المعنى الأصلي (الأول) للنص. هذا الأخير لا يظهر بدوره؛ إلا إذا قرأنا النص بنوع من جوانب الانتظار بخصوص دلالته الدقيقة، الخاضع للمراجعة المستمرة كلما تقدمنا في اختراق المعنى.[1]

(كما ينبغي للتأويل أن يسير وفق مفاهيم وتصورات مسبقة والتي تغوص تدريجياً بتصورات متناسبة ومتلائمة. فلا يتعلق الأمر سوى بسياق التصور المتجدد باستمرار والذي يؤسس رغبة البحث عن المعنى).[2]

يعمل الفهم كأساس للتأويل على تصور مسبق بجمع حضوره وبصورة تدريجية مناسبة ومتلائمة للحالات التي يقوم بتفسيرها والتطرق إليها، والذي يسعى جاهداً إلى فهم الحقيقة يجد نفسه تحت تأثير الآراء المسبقة. وجب على المؤول توظيف الموضوعية في هذه الحالة. إن المرء لا يمكنه معرفة العالم إلا من خلال الفهم المسبق. إن المرء أو النفس عبارة عن كيان ثقافي لا تجد في دائرة التأمل المباشر معنى حياتها الخاصة؛ لذا لا بد أن نقول بنفس القوة إن التأمل ليس شيئاً دون وساطة العلامات والأعمال (الفنية، الأدبية) وهذا ما يطلق عليه تسمية "عملية الفهم الذاتي".

من خلال هذا يمكن القول: كل قراءة هي محضُ تأويل وليس هناك معنى دائم مثالي؛ بل هناك معنى وجودي فقط؛ إذ نجد أن هناك تلاق بين أفقُ القارئ بأفق النص، والقارئ يقرأ بفهمه وبأطره المرجعية الخاصة به.

ثمة حدود لعالمنا الخاص ولواقعنا المدرك، لا يمكن أن نتجاوزه؛ ثمة "أفقٌ" ليس بوسعنا أن نرى وراءه.

إن فهم النص يقتضي التجهيز والاستعداد للتعبير عن شيء ما؛ إذن، الوعي الذي يتشكل في مدرسة فن التأويل عليه أن يبدي نوعاً من قبلية التأثير، وهذا ما وقع ضده سيرل، بالنظر إلى غيرية النص. لكن هذه القابلية لا تفترض "الحياد" أو إمحاء الذات (انسحاب رأي المؤول). فهي تستلزم بالأحرى المطابقة (مع مقاصد النص) والكشف عن آراء القارئ وأحكامه المسبقة. على أن ينتبه

[1]. ينظر: هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، الأصول. المبادئ. الأهداف، ص123.
[2]. المرجع نفسه: ص123.

المستمع إلى تحيزه حتى يتمكن النص من الظهور في غيريته والحصول على إمكانية الكشف عن الحقيقة المتوازية في مواجهة رأيه المسبق الخاص.[1]

الوعي الذاتي فعلٌ ثقافي، والثقافة فعلٌ شخصي، وفي هذا يقول ريكور: "من ناحية يمر الفهم الذاتي خلال منعطف فهم العلامات الثقافية التي فيها توثق النفسُ ذاتها وتشكلها.

وفي علاقة الثقافة بالنفس يقول جادامر: "بزمن طويل قبل أن نفهم أنفسنا من خلال عملية التفحص الذاتي. فإننا نفهم أنفسنا بطريقة بديهية في الأسرة والمجتمع والدولة التي نعيش فيها. إن بؤرة الذاتية هي مرآة غير أمينة. وإدراك المرء لذاته لا يعدو أن يكون بصيصاً ضئيلاً في الدوائر المغلقة للحياة الاجتماعية.[2]

لكي "يفهم" المرءُ ينبغي أن "يفهم" سلفاً، أن يكون لديه موقف. استباق. سياقية. هذا هو ما يُعرف بدائرة الهرمنيوطيقا": فالمرء لا يسعه أن يعرفَ إلا ما هو مؤهل لمعرفته. غير أن العالم من حيث هو عيني ويتجاوز ترميزنا له؛ يحملنا على مراجعة أفهامنا المسبقة؛ والخبرة التأويلية. اللقاء بالآخر. الإصغاء إلى "صوت الآخر". انصهار الآفاق. ذلك الانصهار السياقي التاريخي. رغم انصهار لغوي. هو ما يُنتج لنا الهروب من سجن اللغة.

و "الأفق" هو مجال الرؤية الذي يشتمل على كل ما يمكننا رؤيته من منظورنا الخاص. هو مقولات الفهم المتاحة لنا، والتي نرى بها وبقدرها ولا نملك أن نرى أبعد منها، وللنص نفسه. بما هو بنية رمزية قصدية. أفُقهُ الخاص. أي نطاق المعرفة عن العالم التي كُتب النص في ظلها.[3]

(وأن "المعنى" هو مسألة "سياق"؛ فالإجراء التفسيري يقدم ساحة لكي يجري عليها الفهم. ولا يتجلى الحدثُ بالمعنى إلا في سياق معين).[4]

إن فهمنا جزئياً، بطريقة ما وبعملية دياليكتيكية، يُستخدم لفهم المزيد. ولعل المشكلة الأساسية للتأويل هي كيف يمكن لأفق الشخص أن يتلاءم مع أفق العمل؟ من جهة لا بد من توافر قدر معين

---

[1]. هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، الأصول. المبادئ. الأهداف، ص127.

[2]. عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخا إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص16.

[3]. المرجع نفسه: ص19.

[4]. المرجع نفسه: ص50

من الفهم المسبق للموضوع؛ وإلا لن يحدث تواصل على الإطلاق؛ ومن جهة أخرى ينبغي لهذا الفهم المسبق أن يتغير أو يتعدل في عملية الفهم؛ ووظيفة التأويل التفسيري في المجال الأدبي يمكن أن تُرى، في هذا السياق، على أنها محاولة للارتكاز على الفهم المسبق من أجل فهم النص.[1]

يبدو أن فهم الأحوال السائدة يعني فهم حقائق الموضوع، وعلى المعنى أن يبزغ ويحدث التفاعل المتبادل بين القارئ والنص.

يرتبط الفهم بمسألة النية أو القصد، يمكن رؤية بعض النصوص تعني ما هو أكثر من تقرير حقائق، وتقدم ما هو أكثر من أخبار وقائعية. فهناك نصوص تقدم دروساً أخلاقية وبعض النصوص تُعلم مفاهيم. فإذا ما تم لنا تعلم هذه المفاهيم وتلك الدروس نكون قد فهمنا النص فهماً كاملاً.[2]

في المقابل هناك أحوال عادية طبيعية؛ حيث لا غموض في النص ولا التباس، هنا تكون مفاتيحُ فهمِ النص كاملة في يد المفسر. والفهم يجد موضوعه الحقيقي في موضع الحياة ذاتها.

نحن "نعبر" عن مشاعرنا، ونظرية التعبير في الفن ترى العمل الفني على أنه تمثيل رمزي للمشاعر، وشاعر مثل وردزورث (وهو من دعاة نظرية التعبير في الخلق الشعري) ينظر إلى القصيدة على أنها تدفق تلقائي لمشاعر عارمة.[3]

نلاحظ أن الفهم عند شلايرماخر عبارة عن تصور بعيد عن التصورات السابقة، يرتكز على مبدئه التماثلي للعوالم الداخلية؛ بحيث إن المرء ليهتز في تجاوب مع المتحدث عندما يفهمه، فالفهم يتضمن كلا اللحظتين: المقارنة والاستشفافية. أما الفهم عند "هيدجر" هو قدرةُ المرء على إدراك ممكنات وجوده ضمن سياق العالم الحياتي الذي وجد فيه.

الفهم ليس موهبة فطرية أو القدرة على معرفة الشعور، ولا هو القدرة على إدراك معنى أحد تعبيرات الحياة على مستوى أعمق. الفهم ليس شيئاً نمتلكه بل هو شيء "نكونه" فهو مكتسب.[4]

---

[1]. هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، الأصول. المبادئ. الأهداف، ص52.

[2]. المرجع نفسه: ص86.

[3]. المرجع نفسه: ص137.

[4]. المرجع نفسه: ص222.

بما أن هذه الأفكار وجدت اهتماماً معاصراً من طرف فلسفة اللغة العادية أوستن ولاحقاً سيرل، ولأنه مازال مفهوم التأويل التداولي غير واضح، فنحن نتفق ونتجاوب مع أفكار التأويليين وكل ما جاءوا به من أجل إعادة بناء هيرمينوطيقي فلسفي جديد؛ إلا أننا نقف عند المعاني اللغوية التي تحملها المفردات لدى استعمالها في سياقات لغوية وفي الإطار المقصود، الذي يصدر عن المتحدث وعلاقات تلك العلامات بمؤوليها، في سياق محدد أو تكون البنية الصورية (اللغوية) التي تحمل القصد في سياق معين، فيحاول المتكلم إيصال مقاصده إلى المتلقي عبر البنى اللغوية مع مراعاة ظروف الاستعمال.

المبحث الثالث: الصيغة المنطقية للقول القائمة على الممارسة الذهنية

تقوم التداولية على الاستنتاج بالدرجة الأولى و (إنَّ استنتاج المستمع هو فعل تأويل لكنه يعلم بمعنى أن المتكلم يقصد بعض التأثير المعين، وبأن المتكلم يريد عمل فعل كلام، ويريد من المستمع أن يدرك ما هو فعل الكلام هذا.[1]

وصرح أوستين في كتابه بكلمة تأويل إلا أنها مفتقرة لكلمة (التداولي)، ومن الملاحظ أيضاً أنه ناقش التأويل التداولي في مواضع متفرقة من كتابه، وفي موضوعات تداولية مهمة نحو: الاستنتاج، والاقتضاء، والسياق وأثره في إقرار دلالة التأويل من جهة التطبيق وليس من جهة التنظير.

مر مصطلح التأويل التداولي بتسميات منها (إثراء الصيغة المنطقية للقول)، ويقصد بالصيغة المنطقية المعنى الحرفي في البناء اللغوي. وبعبارة أخرى؛ فإن التأويل اللساني المعتمد على المنظومة اللسانية والذي يكشف عن الصيغة المنطقية للقول لا يكفي لتحديد ما يقال؛ إذ ينبغي إثراؤه بواسطة عمليات تداولية للوصول إلى تحديد تام لما قيل. وهذا ما أفضى بهما إلى التمييز بين الصيغة المنطقية للقول، وهو ما نتمكن منه في نهاية عملية التأويل الحاصلة بواسطة المنظومة اللسانية، والشكل القضوي، وهو ما نتمكن منه في نهاية العملية التداولية الخاصة بإثراء الصيغة المنطقية

[1]. ينظر: خالد حوير الشمس: اشتغالات في اللسانيات التداولية، مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع_ نشر_ توزيع)، بغداد، العراق، ط1، 2022، ص30.

(عندما تُكلَّلُ العملية بالنجاح). أما الصيغة المنطقية فنادراً ما تقبل تقييماً يتصل بصدقها أو كذبها خلافاً للشكل القضوي.[1]

ويطلق الدكتور محمد العبد مصطلحاً آخر (تداولية التأويل): (صار للسانيات التداولية بعامة وتداولية أفعال الكلام بخاصة دور مهم في منهجية التأويل وفلسفته العامة فيما يسمى بتداولية التأويل).[2] القائم على الممارسة الذهنية.

يعتبر التأويل التداولي على نحو ما فاعلية فعالة تنشأ في الذهن، يعتمدها المتلقي من أجل فهم البنية الضمنية أو المسكوت عنها في خطاب التفسير التأويلي الذي يركز على مقصدية العلاقة المرجعية التقابلية في كتابة ورسائل المراسلات والمفاهيم الثقافية التي يتناولها الأدباء وغيرهم من الناس. فالتأويل التداولي يتعلق بالمتلقي.

أكد التداوليون على إعادة الاعتبار للتأويل التداولي تجعل منه نشاطاً يقوم به المرسل إليه للتفاعل مع المرسل في التواصل البشري اللساني وحتى الحركي.[3]

ولا يتم التأويل التداولي إلا بشروط يجب أن توافرها على المتلقي سميت بـ (كفايات المؤول) التي قسمها عبد السلام إسماعيلي علوي إلى ثلاث: (الكفاءة اللسانية، والكفاءة التداولية، والكفاءة الاستدلالية) وهذا تم التطرق إليه سابقاً.

ووضع فان ديك شروطاً، يتسنى لنا اقتطاعها من كلامه، تلك الشروط المنطلقة من البنى المنطقية، والسياق وهو يلتقي مع أصحاب النظريات السابقة، مع الافتراق بالتسمية، فقد سماها (مجموعة المعرفة)، فيقول: (ومن خلال مجموعة المعرفة ينبغي أن تكون ثلاث فئات مندرجة تحت هذه المجموعة:

1) معرفة العالم الذي تؤول فيه العبارة.

2) ومعرفة المقامات المتنوعة للسياق.

---

[1]. آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء_بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص99، 100.

[2]. خالد حوير الشمس: اشتغالات في اللسانيات التداولية، ص33.

[3]. ينظر: المرجع نفسه: ص35.

3) ومعرفة اللغة المستعملة أعني قواعدها في الاستعمال الممكنة، ومعرفة أنساق أخرى لضروب مواضعة الفعل المشترك الإنجاز. إذ دون هذه المعرفة لا يجوز أن تعامل العبارة معاملة لفظية. إذن لا يجوز إنتاجها ولا تأويلها).[1]

(تتمثل المهمات التي يجب على التأويل التداولي أن يضطلع بها للحصول على الشكل القضوي للقول انطلاقاً من صورته المنطقية في جملة ما في **رفع اللبس، وتعيين المراجع** (الخاصة بكل إحالة)، **وتدقيق معنى بعض العبارات** بالنسبة إلى بعض الألفاظ المبهمة). وتخلق هذه المهام الثلاث قيمة تواصلية.[2]

من خلال هذا نفهم أن التأويل التداولي يجب أن يقوم لأجل الفهم، وذلك يتحقق بإدراك المقصود، وهذا ما يجعل التأويل ذا قيمة تواصلية.

يعتبر الخطاب اللساني التداولي الحديث بيئة حاضنة للبعد التأويلي في زاوية تشتغل وإذكاء وترسيخ المعاني وراء النصوص، وقد جاءت حيثيات هذا التأويل متناثرة ومبعثرة في كتب التداوليين.

(صرح بعض التداوليين بأثره مباشرة، إذا كان أوستين يستعمل الإيماء، والإشارة، فيعد من أهم المعطيات التي تسهم في التأويل، ويتم عن طريق نظام استنباطي تكون مقدماته مكونة من جهة من الصورة المنطقية للقول، ومن جهة ثانية من السياق).[3]

يتضح أن استجلاء (استكشاف) المعنى كان عبر منفذ التأويل على أساس المشابهة بين المعنيين الحرفي، والاستعمالي.

غرايس جاء بالتأويل التداولي دون أن يصرح بلفظ تأويل؛ إنما ندرك أنه يعتمد على آلية لفهم إحدى المعاني التي يسير إليها في النص، ومنه في تقسيماته للمعنى إلى طبيعي وغير طبيعي وهو المستلزم حوارياً.

---

[1]. فان ديك: النص والسياق، استقصاء البحث، في الخطاب الدلالي والتداولي، ص261، 262.

[2]. خالد حوير الشمس: اشتغالات في اللسانيات التداولية، ص38.

[3]. المرجع نفسه: ص43.

المبحث الرابع: سلطة القارئ ومدارك فهمه في بناء المعنى وولادة النص الأدبي

لم يعد دور المتلقي دوراً سلبياً استهلاكياً في صلته بالنص ولم تعد استجابته للنص استجابة عفوية ترضي تعطشه الجمالي، وتشبع فيه نزوعه إلى التلقي الشخصي لممعن في كثافته وفرديته في آن، بل أصبح هذا القارئ مشاركاً في صنع النص.[1]

إن القارئ[2] والنص كليهما يعملان على إنتاج المعنى وبذلك لا يحتكر القارئ السلطة أو ينفرد بها؛ بل تخضع عملية القراءة للتفاعل والحوار بين القارئ والنص وكل لقاء بينهما هو حوار واستجابة.

وكل قراءة تقدم معنى جديداً وتفسيراً/ تأويلاً جديداً، هذا يقودنا إلى النص المفتوح، النص الذي لا نهاية له فالنص ليس منجزاً وليس ثابتاً أو نهائياً أو مغلقاً وكل قراءة جديدة للنص تمثل ولادة جديدة له.

والنص من هذا المنظور متعدد الدلالات والمعاني متعد التفسيرات والتأويلات بتعدد القراء والمتلقين.[3]

---

[1]. ينظر: عبد الناصر حسن محمد: نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، دار الشرق للطباعة، القاهرة، مصر، د ط، 2002، ص2.

[2]. يمكن تقسيم القراء إلى ثلاثة أقسام حسب التصور الشامل لإيزر خاصة، وعند الدراسات الأدبية الأخرى عامة:

ـ القارئ الضمني: هو القارئ الذي يمثل رؤية نقدية مكتسبة، في المقابل يحاول المتحدث الوصول إليه، ويمكن تقسيم مصطلح قارئ إلى (قارئ مضمر) و (قارئ فعلي) والأول يقوم بخلق النص لنفسه، والثاني المتمثل في القارئ الفعلي فهو الذي يستقبل صوراً ذهنية أثناء عملية القراءة، ولكن هذه الصور لا بد أن تتلون حتماً بلون "مخزون التجربة الموجودة".

ـ القارئ المستهدف: يعتبر من بين آفاق النص، يقوم بإعادة بناء مفهومية تمثل الاستعدادات أو القابليات التاريخية للجمهور الذي هو مرمى المتحدث.

ـ القارئ الجامع: مصطلح تم طرحه من قبل ميشيل ريفاتير وهو قارئ يساعد في قراءة أي نص مهما كان جنسه العلمي والأدبي، وهو متواجد بنسبة عالية وكبيرة، لكي يصل إلى حقيقة ما يريد. ينظر: عبد الناصر حسن محمد: نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، ص45 وما بعدها. وينظر: محمد سرير: الكتابة الأدبية بين هيمنة الذات وسلطة القارئ، مجلة البحوث والدراسات العلمية، جامعة يحيى فارس المدية، الجزائر، ع1، جانفي، 2023، ص1089 وما بعدها.

[3]. محمد دعاوي: نظرية التلقي...، القارئ شريكاً، الثقافة_مدحت عكاش، سوريا، ع7، تموز 2008، ص64.

المبحث الخامس: من الافتراض المسبق إلى الفهم المسبق

- **الفهم المسبق في نموذج مقتطف من قصص قصيرة جداً لـ: جمال الدين خنفري بعنوان: تراتيل الجراح على الأجساد المهترئة_أنمودجاً**

يُعرف جميل حمداوي القصة القصرة جداً على أنها: جنس أدبي حديث يمتاز بقصر الحجم، والإيحاء المكثف، والانتقاء الدقيق، ووحدة المقطع، علاوة على هذا النزعة القصصية الموجزة، التي تحتوي على المقصدية الرمزية المباشرة (التصريح) وغير المباشر (خاصية التلميح)، بالإضافة إلى سمات الحذف والاختزال والإضمار، كما يتميز هذا الخطاب الفني الجديد بالتصوير البلاغي المجازي، ويدخل هذا ضمن بلاغة الإيحاء والانزياح والخرق الجمالي.[1]

يوجه المتكلم (الروائي) وهو في حالة كمون داخلي حديثهُ إلى السامع على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له، بعدها يأتي المستمع لتأويل ما يجب تأويله، انطلاقاً من الافتراض المسبق المتمثل في الخلفية التواصلية ومعطيات لغوية وصولاً إلى الفهم المسبق، وبين هذا وذاك تتربع الأقوال المضمرة التي تتحقق داخل سياق محدد، التي تعتبر في أساسها تأويلات متنوعة وخاصية للمستمع دون غيره، فلولا التأويل لا يستطيع إقرار المعنى الحقيقي وفرزه عبر الاستنتاج، وقد يُكللُ ذلك الاستعمال التأويلي بالنجاح إذا وعى واستوعب المخاطَب بعض الافتراضات المسبقة.

هذا ما تم التطرق له في عنصر سابق بعنوان: متضمنات القول، التي تسعى وتحاول رصد كل الظواهر المتعلقة بالخطاب وقصديته، وإلى حد ما فإن هذه الوسائط اللغوية عامة، والموارد المُعينة على فهم الكلام كثيرة وغنية بالدلالات، حتى تكاد أن تجرنا من تلقاء ذاتها إلى الالتباس، وسوء التأويل؛ إذ يمكن ملاحظة القارئ وهو يتحرك داخل النص كاشفاً من خلال ذلك المنظورات المختلفة التي يترابط بعضها ببعض، من شأنها تعديل من المعنى في القراءة، هذا ما نجده في المقتطف التالي في قصة قصيرة جداً جاءت بعنوان: "ضياع" يقول الروائي فيها:

[1]. محمد محضار: خصائص القصة القصيرة جداً عند القاص: عبد الحميد الغرباوي/ مجموعة "قال لي ومضى" نموذجا، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب، ط1، 2021، ص17.

(التهمه الوقت، ألف نفسه بغية في دوامة التيه، خسر ما كان يمكن كسبه بيمينه، رحل إلى آخر نقطة بلا رجوع، هناك، حيث المجهول في انتظاره).[1]

يتمثل الافتراض المسبق نقطة البداية (الانطلاقة الحقيقة في هذا العمل الروائي)، في قول الروائي الذي جاء بصيغة مجازية وهذا ما سماه أصحاب المنهج الأسلوبي بـ:" الانزياح" أو "المفارقة" أو "العدول" "الانحراف" والعديد من التسميات التي تعرض لها هذا المنهج؛ إذ يرى شكري محمد عياد أنه عبارة عن حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ وتأثيره المباشر في المتلقي من أجل تحقيق الأثر الكلي للنص.[2]

"التهمه الوقت". وهذا يحدد أنه: ساب وقته وأظل طريقه وتاه شخصه.

فلولا التأويل لما استطاع المتلقي إدراك معنى المعنى من الجملة، كما يستطيع المتلقي تأويل الاستعارة التي تعد من أهم المقولات التداولية، التي ركز عليها سيرل، مما يمكن ملاحظته أن هناك علاقة تلازمية بين التأويل والاستعارة في الشرح التالي:

ففي عبارة "التهمه الوقت" صورة بيانية جلية واضحة، والذي يمكن قوله إن الروائي شبه الوقت بـ: الحيوان المفترس الذي يلتهم، فذكر المشبه وهو: الوقت وحذف المشبه به وهو "الأسد" تاركاً قريبة دالة عليه وهي: "يلتهم" على سبيل الاستعارة المكنية. الغرض من هذا التوظيف وبلاغته تكمن في: تجسيد المعنى وتشخيصهُ في سياق نصي معلوم.

والتأويل التداولي لدى سيرل في الاستعارة عبارة عن تأويليين الأول يكون في المعنى الحرفي وهو تفسير تداولي. والثاني في المعنى غير الحرفي بعدما يقارن بينهما على الأساس الرابط بينهما

[1]. جمال الدين خنفري: تراتيل الجراح على الأجساد المهترئة، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2016، ص33.

[2]. ينظر: نعيمة سعدية: الأسلوبية والنص الشعري، المرجعية الفكرية والآليات الإجرائية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، دب، ط1، 2016، ص45.

(ثم ينطلق بداية من مبادئ تأويل المنطوق الحرفي بالبحث في السمات الضرورية للمقارنة بين المنطوق الحرفي، والمنطوق الاستعاري من خلال المقارنة بين بعض الجمل التي يصح أن تقف عند حدود المنطوقات الحرفية التي لا تتوفر لها قرينة مانعة من إرادة المعنى الحرفي ذاتها، أي بمعزل عن سياقها).[1]

أما الأقوال المضمرة التي تحققت في قول الروائي: "خسر ما كان يمكن كسبه بيمنه، رحل إلى آخر نقطة بلا رجوع"؛ إذ تحتمل هذه العبارة العديد من الأقوال المضمرة وما التأويل سوى التصريح بتعبيره على أنه خسر المال في أشياء لا معنى لها، أو ربما توجيه إشاري يراد به توجيه شخص يراد به عدم الوقوع في للزلات والأخطاء التي تفقد الإنسان إنسانيته، إلى غير ذلك من التأويلات التي تتنوع حسب تواجدها في السياق.

من خلال المعالجة الإدراكية والرسالة اللغوية والتأويلات المنطقية، والذي يهمنا بالتحديد الفهم المسبق الناجم عن هذه الافتراضات والأقوال المتعددة في قوله: "حيث المجهول في انتظاره" هنا نهاية الوصول، والتوقف على مقدار دلالة الألفاظ وعلى معانيها وأن معيارها الأصلي؛ هو فهم المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن، التي تحتمل إما النجاح وتعديل ما يجب ويستحب تعديله من خلال إدراك ما فاته، إما الخسران والاخفاق مرة ثانية؛ إذ تبقى الأمور مرهونة بأوقاتها، وهذا ما شكل لنا الفهم السليم وبعض ضوابط التأويل التداولي.

يجب على المستمع أن يتعرف على قصد المعنى، وإدراك قصد المنطوق.

(وتضم العبارة المعبّر عنها المضمون القصدي للخبرة الإدراكية المصاحبة للمنطوق أو القول. والدليل على ذلك بسيط؛ فالإنسان الذي ليس لديه هذه الخبرات الإدراكية، لسماعه العبارة عبر الهاتف أثناء حديثي معه، أو الفرد الأعمى الذي كان بالغرفة المجاورة وسمع عبارتي، لا يستطيع أن يدرك أي منهما معنى القضية التي نطقت بها؛ فلا يستطيع أي فرد منهما أن يفهم حرفياً من دون الخبرة الإدراكية كل معاني الكلمات التي جاءت في المنطوق).[2]

[1]. خالد حوير الشمس: اشتغالات في اللسانيات التداولية، ص53.

[2]. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص283.

ويلاحظ من خلال الدور النظري الذي يميز الدراسات القصدية؛ بأن هناك بعداً منهجياً تقوم به؛ وهو تأويل منطوق النص وملفوظه باعتباره صادراً عن شخص قد لا يصرح عن مقاصده إلا قليلاً، وعلى المحلل في هذا المجال، أن يبحث عن هذه المقاصد في جميع الكلام الذي تلفظ به المتكلم، ثم البحث في مختلف الظروف التي أسهمت في صدور هذا الكلام. فالقصد، يشكل محور تأويل الملفوظات والخطابات لدى المتلقي أو المخاطَب.[1]

[1]. أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ص157.

أهم النتائج المتحصل عليها في الفصل الثاني

صفوة الكلام، ومن خلال ما تطرقنا إليه في الفصل الثاني نقول:

- ✓ بما أن المتكلم يعتمد على الدماغ في إنتاج خطابه، حتى المتلقي يحاول الدخول في عوالم ومعالم النظرية الإدراكية (المزج المفهومي) لفهم وإدراك رسائل المتكلم ضمن خطاطات تصورية مترابطة. لذلك شكل ولا يزال يشكل (المتلقي) مداراً من مدارات القصدية، فهو الطرف الثاني للخطاب، الذي يستقبل الكلمات والمعاني، ومن ثمة فإن دوره لا يقل عن دور المرسل ومحوريته؛ بل إنه عنصر أساس في العملية التواصلية.
- ✓ هذا المستمع في النص أعاد ترتيب الأولويات، وخلق تنوعات نقدية.
- ✓ شكل ولا يزال يشكل القصد محور تأويل الملفوظات والخطابات.
- ✓ نظرية المزج التصوري عبارة عن عملية نظامية تحكمها أبنية وأفضية ذهنية، وقوالب نموذجية.
- ✓ تملك اللغة القدرة الكافية على تعبئة القوالب الأساسية في عملية ديناميكية، وفق مبادئ تكوينية وحاكمة، وهذا ما شكل مظهراً من مظاهر التواصل البشري.
- ✓ شكلت الحالات الانفعالية محطة كبرى لبناء مبحث قصدي عند المستمع، من خلال نموذج الغضب، الذي يسعى في تشكيل معنى وفهم جديد؛ إذن نحن نعيش في المعنى.
- ✓ إن اللغة تتأرجح بين البشر لذلك وصفها أغلب المناطقة وفلاسفة اللغة بـ: لغة الوجود، كما أن السحب سحب السماء.
- ✓ الوعي الذاتي عبارة عن فعل ثقافي؛ لأنه يعالج ويدرس العلامات الثقافية والاجتماعية ويحاول الوصول لفهمها السليم، التي فيها توثق النفس ذاتها وتشكلها، وفق عملية تواصلية.
- ✓ إن إثراء الصيغة المنطقية للقول تعني المعنى الحرفي في البناء اللغوي، من خلال هذه العبارة ظهر بما يسمى بـ: التأويل التداولي عند المتلقي.
- ✓ يشترط في تحقيق التأويل التداولي توفر كفايات ثلاثة عند المؤول وهي: الكفاءة اللسانية، والكفاءة التداولية، والكفاءة الاستدلالية.

- ✓ لم يعد المتلقي مستهلكاً بقدر ما أصبح مشاركاً في صنع النص، والقارئ (المخاطَب) والنص كليهما يعملان على إنتاج المعاني الجديدة وخلقها وبلورتها.
- ✓ لولا التأويل لما استطاع المتلقي إدراك معنى لمعنى من الجملة، والذي يمكن ملاحظته أنه هناك علاقة تلازمية بين التأويل والاستعارة، وهذا ما أشار إليه وأكد عليه سيرل.

الفصل الثالث:

العلاقة بين المتحدث والمستمع

المبحث الأول: ميكانيزمات واستراتيجيات الكفاية أو فسيفساء القدرة التواصلية

المبحث الثاني: في مفهوم الخطاب القصدي وعلاقته بالدرس التداولي

المبحث الثالث: السياق النصي ودوره في تحديد العلاقة التخاطبية

المبحث الرابع: هل المعاني في الدماغ؟

المبحث الخامس: الاستلزام الحواري محرك تواصلي فعال

المبحث السادس: استراتيجية وظاهرة الالتباس ودلالتها التواصلية

أهم النتائج المتحصل عليها في الفصل الثالث

كان البشر في حاجة ملحة إلى إحداث تفاهم ونسج وتشكيل علاقات بين أفراد المجتمع بغية التآلف والتجانس داخل المنظومة الاجتماعية، فكانت اللغة ولا زالت من أرقى الأشياء لتحقيق التواصل الإنساني. بالرغم من هذا يُعتبر التواصل البشري أكثر تعقيداً عن ذلك التواصل الذي يحدث بين الكائنات المختلفة الأخرى. فما هو حد التواصل أو القدرة التواصلية؟ ما هي وظائف التواصل ومكوناته الأساسية؟ ما هي أنواع التواصل؟ وكيف يمكن تحقيق تواصل ناجح؟ وما هي مسببات اضطرابات التواصل؟ ما هو مدى قدرة اللغة الطبيعية على عملية التواصل؟ ما هو السياق النصي ودوره في تحديد العلاقة التخاطبية؟ هل المعاني في الرأس؟ ما هو دور الاستلزام الحواري ونظرية الالتباس في هذه العلاقة؟

"لا وجود لشيء خارج اللغة"[1]

المبحث الأول: ميكانيزمات واستراتيجيات الكفاية أو فسيفساء القدرة التواصلية

1_2الحقيقة النطقية الإنسانية

في ظل العملية التواصلية مفهومها ووظائفها ومكوناتها وأنواعها:

التواصل عملية نقل الأفكار والتجارب، وتبادل المعارف الواعية والمشاعر بين الذوات الفاعلة. وقد يكون هذا التواصل ذاتياً شخصياً وتواصلاً غيرياً.

1_2 للتواصل ثلاث وظائف بارزة يمكن إجمالها في:

1. التبادل.2. التبليغ.3. الإقناع بدل لفظة التأثير؛ لأن سيرل يرفض الوظيفة التأثيرية.[2]

وفي تعريف آخر للتواصل (" تبادل المعلومات والرسائل اللغوية وغير اللغوية، سواء أكان هذا التبادل قصدياً أو غير قصدي، بين الأفراد والجماعات". ومن ثم، لا يقتصر التواصل على ما هو ذهني ومعرفي فحسب؛ بل يتعداه إلى ما هو وجداني، وما هو حسي حركي آلي. أي: ليس التواصل

[1]. جمعان عبد الله الكريم الغامدي: نظرات في التواصل والحجاج، مجلة سياقات، جامعة الباحة، السعودية، ع الخامس، ابريل، 2017، ص285.

[2]. جميل حمداوي: التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، مكتبة المثقف، دب، ط1، 2015، ص9، 11.

مجرد تبليغ المعلومات بطريقة خطية أحادية الاتجاه؛ ولكنه تبادل للأفكار والأحاسيس والرسائل التي قد تفهم، وقد لا تفهم بالطريقة نفسها من طرف كل الأفراد المتواجدين في وضعية تواصلية).[1]

وفي تعريف آخر للتواصل هو تلك العملية التي تتضمن تبادل المعلومات والمشاعر والأفكار والمعتقدات. بين البشر. والمشاركة أول ميكانيزمات الحوار التواصلي، هذا الأخير يشتمل ويتضمن كل من الوسائل اللفظية (اللغة المنطوقة والمسموعة والمكتوبة)، والوسائل غير اللفظية (كلغة الإشارة وقراءة الشفاه التي يستخدمها الصم، وكذلك الإيماءات، وتعبيرات الوجه، ولغة العيون، وحركات اليدين والرجلين. وغيرها)، ولذلك يُعد التواصل أعم وأشمل من اللغة والكلام والنطق. أما اللغة تستخدم كوسيلة للتعبير أو الاتصال والتواصل مع الآخرين، وهذه اللغة اللفظية ترتبط بالبقاء البيولوجي، إلا أن هذه اللغة تعتمد على صوت المتكلم وحركاته.[2]

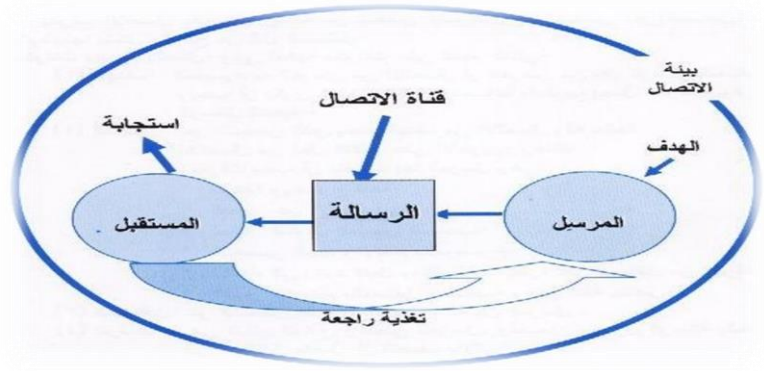

3

شكل رقم 35: صورة توضح عناصر وبنية التواصل

إن التواصل عبارة عن عملية نقل واستقبال للمعلومات بين طرفين أو أكثر. ويستند هذا التواصل، في سياقاته المتنوعة، إلى التغذية الراجعة، التي تقوم بتقوية التواصل، عندما يحدث سوء الاستقبال أو الاستيعاب أو التشويش أو الانحراف الانزياجي.[4]

وإذا تطرقنا لتلك الاختلافات المتعلقة بما تعنيه معرفة استعمال اللغة بالتحديد، يمكن أن نضع تصورين اثنين لمضمون هذا المصطلح:

---

[1]. جميل حمداوي: التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، ص11.

[2]. إيهاب الببلاوي: اضطرابات التواصل، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض ط1، 2010، ص10، 23.

[3]. جميل حمداوي: التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، ص12.

[4]. المرجع نفسه: ص12.

(أ_ تصور يفهم القدرة التواصلية أنها عبارة عن قدرة نحوية مضاف إليها قدرة من نوع آخر، كالقدرة التداولية مثلاً.

ب_ وتصور يَفهم القدرة التواصلية أنها عبارة عن قدرة واحدة من شقين: شق يتعلق باللغة، وشق يتعلق باستعمالها).[1]

وهذا يتعلق بـ: بإنتاجية اللغة، وبعوامل لسانية نفسية، وتلك العلاقة القائمة بين الجمل وسياق ورودها تشمل المظاهر الكلامية وغير الكلامية، وذلك الوعي والطاقة التي يمتلكها ويمارسها المتكلم بما يعنيه تواتر بعض الاستعمالات اللغوية، أو ندرة بعضها الآخر.

يتسع مفهوم القدرة التواصلية ليشمل مفهومه السليم هذا ويتعلق بالجانب المعرفي النحوي، الذي له صلة وثيقة بمظاهر النسق التواصلي، سواء تجلت هذه المعرفة في الطريقة التي يُؤول بها مستعمل اللغة سلوكه وسلوك الآخرين من حوله ويُقومه، أم تجلت في الإحالة على الطاقات التي يمارس بواسطتها مستعملو اللغة التواصل فيما بينهم.

تسعى الكفاية التواصلية عند التداوليين إلى تجاوز ذلك الطابور المتمثل في: معرفة مستعملي اللسان الطبيعي بالقواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية إلى معرفة القواعد التداولية التي تساعد على إنتاج عبارات لغوية سليمة وفهمها في مختلف سياقاتها ومقاماتها التواصلية المتنوعة، بتنوع مقاصد المتكلمين.

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح القدرة التداولية يُنافس مصطلح القدرة التواصلية في الانتشار، وأن معظم الباحثين يستعملانهما للدلالة على المفهوم ذاته.[2]

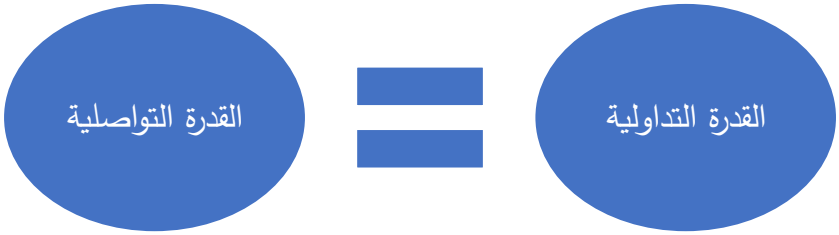

[1]. عِزّ الدين البُوشيخي: التَّواصل اللغوي، مقاربة لسانية وظيفية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص31.

[2]. المرجع نفسه: ص33.

2_3 مكونات القدرة التواصلية

هناك أربع قدرات أو مهارات داخل القدرة التواصلية هي:

أ_ القدرة اللغوية.

ب_ القدرة المعرفية.

ج_ مهارات الاستدلال التي يعزى إليها فهم الأفعال الإنجازية.

ج_ أسس المعرفة التي يتم استعمالها في التواصل اللغوي كما غيره.[1]

شكل رقم 36: التواصل الاجتماعي في صورته القديمة والحديثة. كيف كان؟ وكيف أصبح؟

بالرغم من أن معادلة التَّواصل تبدو بسيطة وسهلة، وذلك عن طريق انتقال الكلام أو الرسالة الصوتية أو الأفعال الكلامية من المتكلم إلى السامع عبر وسيلة ووفق سياق معين؛ إلا أن البلاغيين والمفكرين العرب القدماء كانوا ينظرون للتواصل ونجاحه يخضع إلى مجموعة من الضوابط من بينها: الإفادة والوضوح.[3]

وللمعرفة المزيد عن التواصل وكيفية اشتغاله الاجتماعي والثقافي، خاصة "نظرية الفعل التواصلي" عند هابرماس التي تطرقنا إليها سابقاً من خلال كتابه "الأخلاق والتواصل".

---

[1].عِزّ الدين البُوشيخي: التَّواصل اللغوي، مقاربة لسانية وظيفية، ص30، 31، 32.

[2]. جميل حمداوي: التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، ص28.

[3]. يونس تواتي: عملية التواصل اللغوي بين المتكلم والمتلقي في النظريات البلاغية العربية، مجلة النص، الجزائر، ع2، ديسمبر، 2021، ص512، 513.

2_4 أنواع التواصل

هناك نوعان من التواصل، هما:

أولاً: استراتيجيات التواصل غير اللفظي أو غير اللغوي: من العقلي إلى الجسمي

ومن بين الأساليب غير اللفظية نجد: تعبيرات الوجه، والإشارات والإيماءات والحركات الجسمية المصاحبة للكلام أو للخطاب الكلامي في كونها تساهم في فهم وإدراك مقاصد المتكلم وهدفه التواصلي، وإذ كنا نستطيع إخفاء مشاعرنا بواسطة اللغة المنطوقة؛ فإن الإشارات الجسمية تكشفنا وتفضحنا في غالب الأحيان أمام الآخرين، والصمت للتعبير عوضاً عن اللغة المستعملة في الكلام، وكذلك المسافة بين المتحدث والمستمع، التي تطرقنا إليها سابقاً. وكان تركيزنا على هذه الوسائل بالذات؛ لأنها الأكثر استعمالاً وانتشاراً وقصداً في الأوساط الاجتماعية.

وقد قام سميث بتقسيم أساليب التواصل غير اللفظي إلى ثلاث فئات أساسية هي:

الفئة الأولى: التواصل المرتبط باللغة؛ الذي يتعامل مع الإشارات السمعية غير اللفظية، ويتضمن متغيرات الأصوات التي يمكن إنتاجها عند التحدث والاستخدام مثل: البكاء، والضحك، وطريقة النطق، وطلاقة الكلام، وإيقاعه.[1]

الفئة الثانية: التواصل الحركي؛ يحتاج إلى الإشارات التي تشمل حركات الجسم، التي تشتمل على الإيماءات وتعبيرات الوجه.

الفئة الثالثة: هو التواصل الجسدي؛ الذي يشمل على وضع الجسم والعلاقات المكانية، ويشمل تواجد هذا الانسجام عند ذوي الخلفيات الثقافية الواحدة، وقد يغيب الانسجام.[2]

[1]. ينظر: إيهاب الببلاوي: اضطرابات التواصل، ص15، 16.

[2]. المرجع نفسه: ص16، 17، 18.

_ تصنيف اضطرابات التواصل

يمكن تقسيم وتشريح اضطرابات التواصل وفقاً لهذا التصنيف المعتمد عليه:

1_ الاضطرابات العضوية:

ترتبط هذه الاضطرابات بالنقص أو القصور في الآلية العصبية الفسيولوجية للكلام، فعندما يعاني الشخص من صدمة وإصابة في الجانب الأيسر من المخ؛ فإنهُ يفقد جزء أو كامل قدرته على الكلام، تلك الحالة تعرف بالأفيزيا، وهي عبارة عن اضطراب في التواصل يحدث نتيجة مباشرة لإصابة المخ.

2_ الاضطرابات الوظيفية:

ترجع هذه الاضطرابات إلى التعلم الخاطئ أو المشكلات البيئية أو أسباب غير معروفة. فعندما لا يوجد سبب عضوي؛ فإن الاضطراب لا بد أن تكون سببه وظيفياً، وعادة ما نجد بشر يعانون من اضطرابات التواصل لأسباب وظيفية لا يشكون من أي علل جسمية، وجهازهم العصبي طبيعي.[1]

المستقبلات أو الحواس العامة والخاصة/ التواصل غير اللغوي الذي يساعد في بناء عملية التواصل وتغطية حاجيات وثغرات التواصل اللغوي

تعتبر الحواس العامة من أبرز وأهم قنوات التواصل غير اللفظي، تساهم في الحصول على معلومات، وتنشر مستقبلاتها في جميع أنحاء الجسم السطحية والعميقة، وتنقسم إلى:

1. الحواس السطحية: مثل اللمس، الألم، الحرارة، البرودة.

2. الحواس العميقة: وهي نوعان:

أ. حس توتر العضلي ويتبعه توتر العضلات.

[1]. إيهاب الببلاوي: اضطرابات التواصل، ص 32، 33.

ب. الحس الحركي الوضعي: ويرافق حركة العضلات والأوتار والمفاصل.[1]

الحواس الخاصة:

1) الإبصار:

تسقط الأشعة المنعكسة عند الشيء المرئي فتمر من البؤبؤ الذي يقوم بفعل التوسع أو التضيق، لكي تقوم بعدها بتنظيم مرور الأشعة إلى الشبكية، فعندما يقع على الشبكية يثير المستقبلات البصرية فتحول الضوء إلى جهد في العصب البصري؛ حيث تصل بعد ذلك إلى الدماغ وتفهم معاني الكلمات وقصديتها، وتصحح وضعية الصورة.

حين تنام وترتاح في الفترة المسائية، قد تظن أن جسمك يرتاح أيضاً وفي كمون راحة، غير أن الواقع مختلف تماماً، فجسم الإنسان لا ينام؛ بل هو دائم الانشغال ولا يتوقف عن العمل مثلاً: عندما تنام يستمر قلبك في ضخ الدم وتستمر رئتاك في العمل لتتمكن من التنفس، وتساعدك الأمعاء على هضم الطعام، كما تحل الملايين من الخلايا المجهرية مكان الخلايا الميتة، في المقابل يبقى الدماغ يتحكم في وظائف الجسم. فإن كان هذا كل ما يحصل حين تنام وترتاح، تخيل ما الذي يحصل حين تكون مستيقظاً وتعمل بكل طاقتك؟

وظائف العين ومدلولاتها:

(وقد اقترح بعض الباحثين تصنيفات للوظائف التي يؤديها النظر؛ إذ يرى (أركايل 1984) أن هناك ثلاث وظائف رئيسية للنظر:

ـ إرسال المعلومات مثل النظرة التحذيرية أو الغرامية).[2]

(ـ الحصول على المعلومات التي تُفيد في فهم السلوك الاتصالي للطرف الآخر، والحصول على تغذية راجعة حول مدى تجاوب الطرف الآخر مع السلوك الاتصالي للفرد.

ـ تنظيم التفاعل بين الأفراد)

[1]. جبريل اجريد السعودي وأيمن سليمان مزاهرة: فسيولوجيا الإنسان، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص188.

[2]. يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص33، 34.

هناك مقترح آخر يرى أن لنظرات العين أربع وظائف وهي:

ـ الوظيفة المعرفية، الوظيفة الإرشادية، الوظيفة التنظيمية، الوظيفة التعبيرية.

وقد حظي سلوك العين أثناء الحديث بين الأفراد، باهتمام عدد كبير من الباحثين في ميدان التواصل غير اللفظي.[1]

2) السمع:

سماع الصوت ينشأ عند لقاء الموجات الصوتية لغشاء الطبلة فينتج تغيير في الضغط على غشاء الطبلة، والذي ينتقل إلى المستقبلات السمعية في الأذن الداخلية؛ حيث تبلغ الموجات الصوتية 344 متراً في الثانية الواحدة.[2]

ملاحظة:

(السمع ضروري لعملية التواصل اللفظي، على الرغم من أن السمع ليس مكون للغة والكلام؛ إلا أنه ضرورة حتمية لاكتساب اللغة بشكل طبيعي، ومن هنا يظهر ارتباط قوي ووثيق بين السمع واللغة والكلام، وعلاوة على ذلك فإن السمع ضروري لإدراك الكلام، ولو لم يتم إدراك الكلام أو فهمه يتم إعاقة التواصل).[3]

يتضح أن الشخص يحتاج إلى حاسة السمع لمتابعة إنتاج كلامه، إننا نسمع لأنفسنا؛ حيث نقوم بتعديل ما نقول والطريقة التي نقول بها، بمعنى آخر نجد أن ميكانيزم السمع يقدم تغذية راجعة لأداء الكلام، ووفقاً لهذه التغذية نقوم بعمل التعديلات.[4]

3) التذوق:

توجد على اللسان مستقبلات الذوق، وهي عبارة عن حبيبات أو حلمات عددها حوالي10000 مستقبل.

---

[1]. يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص33، 34.

[2]. ينظر: جبريل اجريد السعودي وأيمن سليمان مزاهرة: فسيولوجيا الإنسان، ص188، 189.

[3]. إيهاب الببلاوي: اضطرابات التواصل، ص30.

[4]. المرجع نفسه: ص30.

4) الشم:

هناك مستقبلات الشم في مخاطية أو عتبة الأنف الشمية الواقعة في الجزء الأعلى للحاجز بين فُتحتي الأنف وعددها حوالي 10_12 خلية مستقبلة لحاسة الشم، كل منها يحوي 10_20 من الأهداف الصغيرة؛ إذ يستطيع الإنسان أن يميز ما بين 2000_4000 رائحة مختلفة بسبب وجود مستقبلات خاصة لكل رائحة.[1]

أنواع المستقبلات:

المستقبلات أنواع يختلف كل منها عن الآخر شكلاً وتركيباً؛ ولذا فتصنف المستقبلات إلى الأنواع التالية:

حسب طبيعة المنبه الذي تتحسس له:

1) المستقبلات الميكانيكية: وهي التي تتحسس للتغيرات الميكانيكية في محيط الجسم وتشمل:

أ. مستقبلات اللمس: وتوجد في الجلد عادةً وهي على أنواع عدة.

ب. مستقبلات الأنسجة العميقة أو المستقبلات الذاتية: الخاصة بشد النسيج أو تقلصه في العضلات. يتمكن الجسم من القيام بمختلف أنواع الحركة بفضل العظام والمفاصل والعضلات التي يتمتع بها.

ج. مستقبلات السمع: تتحسس للاهتزازات الصوتية وهي موجودة في الأذن.[2]

د. مستقبلات التوازن: وتتحسس لحركة الجسم.

هـ. مستقبلات الضغط: تتحسس بزيادة الضغط الدموي وتوجد في جدران بعض الأوعية الدموية.

2) مستقبلات الحرارة:

وتتحسس بالتغيرات الحرارية المحيطة بالجسم، وهي نوعين:

أ. مستقبلات البرودة: وتتحسس بدرجة الحرارة المنخفضة نسبياً.

---

[1]. جبريل اجريد السعودي وأيمن سليمان مزاهرة: فسيولوجيا الإنسان، ص188، 189، 190.

[2]. ينظر: المرجع نفسه، ص190، 192.

ب. مستقبلات الدفء: وتتحسس بدرجة الحرارة العالية نسبياً.[1]

وكل هذا يساعد في بناء التواصل الذي يُعد نظاماً من العلامات للتعبير عن عوالم خاصة أو إدراكات بذاتها، يسمح بإنتاج جمل جديدة لتشكل كلاماً من مركبات مختلفة تترابط فيما بينها مشكلة تلك الجمل، وهذا المد التواصلي تحكمه عوامل نفسية في إنتاج الكلام.[2]

وليس هذه العوامل فقط بل هناك عوامل اجتماعية وثقافية تتحكم في إنتاج الكلام والإدراك وتشكل وتشكيل الخطاب، وبناء عملية تواصلية ناجحة كما سنرى.

إن أساس الاتصالات هو استعمال الرموز التي تحول الصوت والضوء، اللذين هما بمنزلة موجات كهرومغناطيسية في إشارات كهربائية، هذا ما توفره الحواس والمستقبلات.

لكل جزء من أجزاء جسم الإنسان وظيفة محددة، فالقلب يضخ الدم والرئتان تساعدان على التنفس، والدماغ يقوم بتوجيه الإنسان، والمعدة تساعد على هضم الطعام، والخلايا تنشط نفسها بنفسها، والعضلات تساعد على الانقباض والاسترخاء.

ثانياً: استراتيجيات التواصل اللفظي أو التواصل اللغوي: من الجسم إلى العقل

(إن التواصل اللفظي أكثر تحديداً من التواصل غير اللفظي، فتلك الرسائل التي تنقل إما مكتوبة أو منطوقة بين الأشخاص العاديين تكون مشفرة، وعندما يتلقى المستقبل الرسالة ويترجمها إلى معنى ما مفهوم وواضح، فإن هذه العملية تعرف بفك التشفير، وحتى يتمكن المستقبل من تلقي المعنى

---

[1]. جبريل اجريد السعودي وأيمن سليمان مزاهرة: فسيولوجيا الإنسان، ص192، 193.

[2]. أحمد مداس: معالم في مناهج تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، ط1، 2019، ص18، 19.

وما يزال في الإدراكيات أصداء ناجحة للمبدأين الجشطالتيين الشهيرين:

ـ مبدأ الشمول: يعني أن أي تجربة وعي يجب أن تُفحص بشكل شمولي؛ أي التكامل في المعالجة الإدراكية للمثيرات الواردة من حواس متعددة.

ـ ومبدأ التشاكل النفسي الطبيعي: الذي يُقرر ويؤكد على العلاقة التي تجمع بين الوعي والعمليات الفيزيولوجية الكامنة تحته، التي تشمل دراسة وظائف الأعضاء الحسية، والدراسة المفصلة لمختلف أعضاء الدماغ. وهذا ما ارتبط بمدرسة علم النفس التي ازدهرت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وهذا الربط يتعلق بخاصة بفكرة العقل، يصدر من الخصائص الفيزيقية للدماغ، ويتعلق بالأفكار المتصلة بالإدراك عموماً. لمعرفة المزيد يمكن العودة لكتاب: محي الدين محسب: الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهاتٌ تطبيقية، ص11.

الذي يقصده المرسل يجب أن يستخدم أصوات متشابهة جداً ومعاني كلمات قريبة وترتيب معروف، وهكذا تعرف عملية تشفير وفك تشفير الرسائل باللغة). التي تمثل وسيلة للتواصل باعتبارها شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعي الذي يتشكل ويستمر من خلال اللغة اللفظية).[1]

إلى جانب اللغة هناك الكلام، فكلا منهما اللغة والكلام يتأثران وبشكل رهيب بالبناء أو التركيب التشريحي للفرد، والأداء الوظيفي الفسيولوجي، والأداء العضلي الحركي، والقدرات المعرفية، والتوافق الاجتماعي والسيكولوجي، إذ يُعد الكلام (من زاوية التعريف) ذلك الجانب الشفهي المنطوق أو المسموع من اللغة. والكلام عبارة عن سياق من الرموز الصوتية يخضع لنظام معين متفق عليه في الثقافة الواحدة.

بما أن الكلام فعل حركي فإنه يتضمن التنسيق بين أربع عمليات رئيسية هي:

1_ التنفس: توفير التيار الهوائي اللازم للنطق (زفير).

2_ إخراج الأصوات: ويكون هذا بواسطة الحنجرة والأوتار الصوتية.

3_ رنين الصوت: أي استجابة التذبذب في سقف الحنك المليء بالهواء، وحركة الأوتار الصوتية مما يؤدي إلى تغيير في نوع الموجة الصوتية.

4_ نطق الحروف وتشكيلها: أي استخدام الشفاه واللسان والأسنان والحنك لإخراج الأصوات اللازمة للكلام، كما هو الحال في الحروف الساكنة والمتحركة.[2]

والنطق يعتبر حركة لإنتاج أصوات كلامية الذي يسمى بـ: (الفونيم) الذي بمثابة الحجر في استخدام وبناء الكلام. وتكمن أهمية الفونيم في المعنى، إذ تندمج الفونيمات مع بعضها البعض وتتشكل لتكوين مقاطع صوتية وكلمات، وكل لغة لها فونيمات محددة تشكل الكلمات.

لا ننسى الدور الذي تلعبه الأصوات الكلامية والأنماط الصوتية المستخدمة لإنتاج الكلمات والتي تعرف بـ: "علم الفونولوجي"، الذي يهتم بالقواعد والعمليات التي تحكم عملية اكتساب الأصوات، وتتجاوز النطق الفعلي للإنسان.

---

[1]. إيهاب الببلاوي: اضطرابات التواصل، ص24.

[2]. المرجع نفسه: 26، 27.

يُعتبر الصوت الطبيعي بمثابة المكون الأساسي والمادة الخام أو اللبنة الأساسية للتواصل اللفظي أو لعملية الكلام، ودون هذا المكون والميكانيزم يكون التواصل محدوداً ومقتصراً على الطرق غير اللفظية مثل الإشارات والرموز.

حينما يواجه المتكلم صعوبة في نطق بعض الكلمات؛ فإنه يمنح للمستمع انطباع بأنه يفتقر للطلاقة، ولكي نتواصل بفاعلية فعالة يجب علينا أن نكون على دراية بقواعد الطلاقة، ونمتلك القدرة على الكلام بطلاقة.[1]

لا ننسى السمع الذي يعتبر ضرورياً في العملية التواصلية اللفظية، الذي تطرقنا إليها سابقاً، ولم نفصله عن الحواس التابعة للعملية التواصلية غير اللفظية.

ملاحظة:

* قد يزاوج ويجمع المتكلم في الوقت نفسه، بين التواصل اللفظي والتواصل غير اللفظي (بين العقل والحواس الجسمية)، بتشغيل حركات تعبيرية، وحركات إيقاعية تناسب السياق، والحركات الزائدة خارجية (التنقلات).

شكل رقم 37: العملية التواصلية اللفظية والغير لفظية[2]

[1]. إيهاب الببلاوي: اضطرابات التواصل، ص26، 27، 28، 29.

[2]. جميل حمداوي: التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، ص74.

2_ 5 مثالية هابرماس:بين التأثير في المستمع وقصدية المتكلم

يرى هابرماس أن الحوار المثالي لن يدور في الحقيقة إلا في مجتمع متحرر تحرراً أصيلاً، وهنا نرى أن هابرماس قد حقق الدمج بين ما أرادهُ أوستن من تأويل المستمع، وما نظر إليه سيرل من قصد للمتكلم، للتأثير في المستمع، داخل إطار الحالة المثالية للكلام وتحت معيارية النقاش، لتداولية شكلية عامة.

وتتجلى مثالية الفعل التواصلي وفائدة المنعطف اللغوي، حسب هابرماس، في الوصول إلى ثلاث نتائج مهمة وهي:

1_ تسهيل عملية التواصل، إذ تصبح اللغة أداة التفاهم، لجميع ومختلف المستويات، الدنيا منها والعليا، باستعمال المعنى التداولي؛ أي أن اللغة مرتبطة بدلالتها الاستعمالية (فتجنشتاين).

2_ تبرز أهمية المنعطف اللغوي عند هابرماس من أجل تأسيس وإقامة فروض عامة تحكم التواصل، وذلك ما وجده أوستن وسيرل من ضوابط الخطاب نسبة للمتكلم والمستمع.

3_ إبراز شأن القدرة التواصلية، اعتماداً على كشف القدرة اللغوية عند الإنسان وذلك ما أفاده من تشومسكي.[1]

المبحث الثاني: في مفهوم الخطاب وعلاقته بالقصد التداولي

تعرض الخطاب للتعدد المفهومي، فهناك من يرى أن الخطاب عبارة عن سياق يجمع ملفوظات أو متواليات من الجمل أو العبارات بحيث يمنحها قصداً وصفة ترتبط بمجال التخاطب.[2] ومما سبق يتبين أن الخطاب يحدد مفهومه وفق شرطين أساسيين:

_ الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير، بإفهامه قصداً معيناً.

[1]. عَلي عبود المُحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص225.

[2]. ينظر: عفاف سايح: المقصدية في الخطاب الروائي عند إبراهيم سعدي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، نجوى منصوي، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة_01_، الجزائر، 2019، ص10.

_ الآخر: الشكل اللغوي الذي يتعدى الجملة.[1]

إذن فالخطاب هو ثمرة اجتماع العناصر السابقة، ففيه تبرز الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة، ومن خلال تتبع خصائصه التعبيرية يمكن معرفة الكيفية التي تعامل بها المتكلم/ المرسل مع ذاته، ومع المخاطَب/ المرسل إليه، هل أجله واحترمه أم أهانهُ؟ هل حاول أن يقربه أو يبعده؟ هل حاول إقناعه أم فرض سلطته عليه مباشرة؟ هل تنازل عن موقعه الاجتماعي أو الوظيفي تقديراً للمخاطب للمرسل إليه؟ وهل تنحصر وظيفة المرسل في الإرسال، ووظيفة المتلقي في الاستقبال؟ ما هو دور السياق النصي تحديد العلاقة التخاطبية؟ ما هي عناصر السياق؟ أين تكون المعاني الجديدة للاستعمال مخزنة؟ ما هي عناصر الاستلزام الحواري ودورها في بناء تواصلي سليم؟

ومن جهة أخرى، يسعى الخطاب[2] من خلال وظيفته التعاملية والتفاعلية إلى التعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف محددة. إذ يبرز مقاصد كثيرة قد تظهر مباشرة وقد لا تظهر (جلية وخفية)، عندها تصبح لغة الخطاب شكلاً دالاً يقود إلى المدلولات خلفه من خلال المعطيات السياقية، والعلاقات التخاطبية، والافتراضات المسبقة التي يدركها المتكلم أو يفترض وجودها، فيبني لغة خطابه عليها، كما يدركها المخاطَب ليستدل على المقاصد من خلالها. يستخدم كل من المخاطِب والمخاطَب استراتيجيات، بوصفها ثمرة لسلسلة من الإجراءات الذهنية.

---

[1]. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص37.

يسعى تحليل الخطاب إلى ربط الملفوظات بسياقاتها، غير أنه لا يدرس الملفوظات بشكل محايث، لكي يربطها بعد ذلك بالمعايير المختلفة (الخارجية) السياقية؛ بل يسعى إلى الإحاطة بالخطاب بوصفه نشاطاً غير مفصول عن هذا السياق.

[2]. نحن مع الذين يستعملون مصطلح النص وهم يقصدون الخطاب، ويستعملون الخطاب ويقصدون به النص؛ أي أن الخطاب يوازي ويساوي النص، لاشتراكهما في الإخبارية القصدية، من بين الذين يرون هذا الأمر ويركزون عليه نجد هالمسلاف الذي يرى أن الخطاب/ النص "ملفوظ كيفما كان، منطوقاً أو مكتوباً، طويلاً أو قصيراً، قديماً أو حديثاً، وهي تسوية لا تخفى بين النص والخطاب لفظاً وكتابة. وهذا ما نجد أيضاً عند جاكبسون حين يؤكد على أن الخطاب "نص تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام". إذن فالنص أو الخطاب عبارة عن متتالية يرتبط بقصدية المتكلم، المقصود بإعادة صياغة الفعل الحيوي الذي يكون في عملية التلفظ داخل إطارها، ذلك من أجل إنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، مشكلاً رسالة لها بداية ووسط ونهاية تتجاوز الجملة وتفوقها. ويرتبط الخطاب بالظروف السياقية والاهتمام بالإنتاج اللفظي القائم بين المتحاورين (المتحدث والسامع) لهدف ما، وهو جوهر الدرس التداولي. لمعرفة المزيد يمكن العودة لكتاب: أحمد مداس: لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2009، ص10، 11.

فيغدو الخطاب علامة تحتوي على مجموعة من هذه الانتظامات التي تستهدف التفكير النظري والإنجاز اللغوي.

لا يمكن تحديد اللغة من وجهة نظر تداولية بمعزل عن الاستراتيجيات التي يستخدمها المتكلم ولا يمكن تحديد هذه الاستراتيجيات التي يتوخاها في الخطاب بمعزل عن المقاصد التي لديه، وعن المخاطب وإجمالاً عن السياق بعناصره المتعددة.[1]

الرسالة: يقصد بها المحتوى الذي يرغب المرسل في إبلاغه للمتلقي؛ ويتضمن هذا المحتوى المعلومات، والأفكار، والفرضيات بغية التأثير في سلوكه. ويختلف محتوى الرسالة بحسب طبيعة المعلومات التي تحملها: عاطفية، سياسية، لسانية، وقد يكون صريحاً كما قد يكون ضمنياً؛ إلا أن هذا الأخير غالباً ما يكون هو المقصود. لذلك تشكل الرسالة كتلة بنيوية تؤدي إلى تغيير الرسالة وإعادة بنائها من جديد.

(إن نجاح العملية التواصلية متوقف على اتفاق طرفي الحوار على معنى ضمني واحد؛ أي أن يكون هناك تطابق بين ما يقصده المرسل وما يفهمه المتلقي يقول أندري ريتشارد: "طالما أن الاتصال هو إيصال رسالة إلى الغير بغية تغييره، أو إقناعه بشيء ما، فإن نجاحها يتوقف على إيصال المعنى الضمني لها، بينما يصبح فشلها التضارب بين المعنى الصريح والمعنى الضمني").[2]

المبحث الثالث: السياق النصي ودوره في تحديد العلاقة التخاطبية

السياق ما يحف موقف التلفظ وما يتصل به من مكان وزمان وأحوال المتكلمين (المتخاطبين)، والعلاقة بينهما، وكل ما يفيد من أجل فهم ما يقال وتقويمه. فالأقوال حين تنقل إلينا بوسيط دون معرفة سياقاتها تصبح مبهمة المقاصد، أو هو ذلك الإطار العام الذي يساعد في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام والفهم بين طرفي الخطاب، وذلك بتوظيف عدد من العناصر المهمة.

يتضح أن: السياق أكبر من الرسالة وهو سر وجود الفضاء النصي/ الخطابي؛ إذ يكاد يكون بمثابة النص في حد ذاته، له خلفية معرفية ومرجعية تذوقية في عملية زئبقية يتسم بها، فلا حضور لنص ما في غياب السياق وهكذا بشكل دائري وبعملية عكسية، فلا قيمة للكلمة دون جملة مثلما أنه لا

[1]. ينظر: أحمد مداس: لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص3.

[2]. حسن بدوح: المحاورة، مقاربة تداولية، ص34.

وجود للجملة من دون الكلمة، نلاحظ تلك العلاقة المتعالقة والمتعالية بين السياق والنص، إذ يتعذر علينا أن نتخيل وجود السياق في غياب النص، فهذا من باب التخيل فقط.

إن معرفة عناصر السياق تسهم في عملية التعبير عن المقاصد والاستدلال لإدراكها. وعليه، فإن اختيار الأدوات والآليات اللغوية يعد انعكاساً للعناصر التي تشكل في مجموعها سياقاً معينا يبرز من خلال لغة الخطاب، وبمعرفته يمكن تفكيك هذه اللغة للوصول إلى المعنى المقصود أو الغرض المراد.

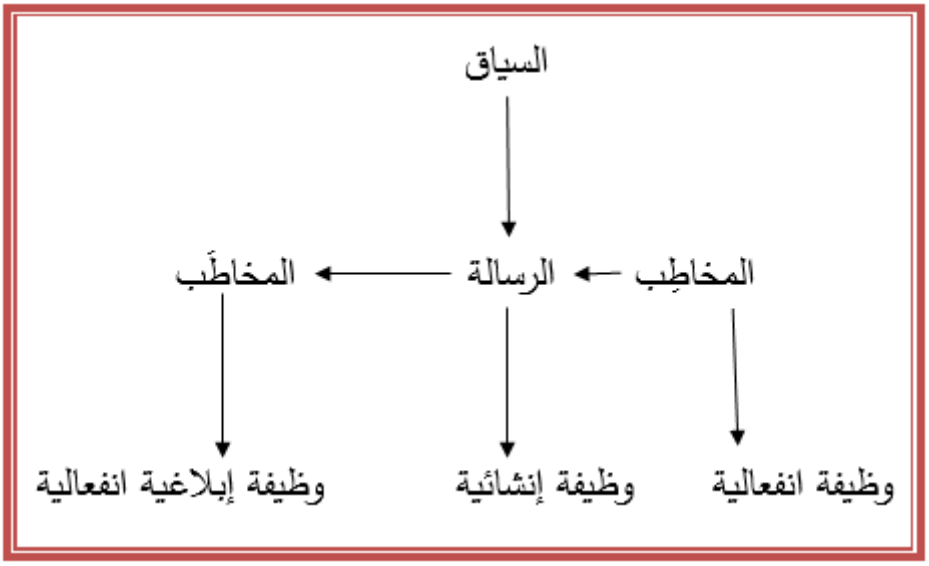

شكل رقم 38: خطاطة تمثل التبليغ الوظيفي عند جاكبسون والمسار الخطابي وخاصيته السياقية [1]

يضطلع السياق بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي، مثل تحديد قصد المتكلم ومرجع العلامات.

جدول رقم 05: العملية التواصلية الطبيعية ومستلزماتها

أطراف التواصل	فعل التلفظ	المعينات	السياق
المرسل والمرسل إليه، أو المتكلم والمستقبل.	الملفوظات والعبارات والجمل والكلمات المكتوبة أو الشفوية.	الوحدات اللغوية ضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات التملك، وظروف المكان والزمان.	السياق التواصلي الذي يتكون من سياقات فرعية، كالسياق الشخوصي، والسياق المكاني، والسياق الزماني.

[2]

[1]. عفاف سايح: المقصدية في الخطاب الروائي عند إبراهيم سعدي، ص10.

[2]. جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، دب، ط1، 2015، ص24.

ومن هنا، يستلزم الحديث عن المعينات وجود أطراف التواصل، وفعل التلفظ، والمعينات، وجود السياق.

نلاحظ أن المعينات (تكون دائماً في علاقة جدلية بلحظات الخطاب الفورية والآنية لفعل القول، وتتعلق كذلك بلحظات فعل التلفظ، لكن حينما يتحول الخطاب أو الحوار المباشر إلى سرد أو حكي، أو يتخذ صيغة الكلام المنقول. فهنا، لا يمكن الحديث عن المعينات).[1] وللتوضيح أكثر، حينما يكون هناك حوار مباشر يكون الحديث بطبيعة الحال عن المعينات) كما في هذا المثال من:

شيماء: سأسافر غدا إلى لندن.

ليلى: أنا سأسافر معك غداً هناك إذا وافق والدي.

نلاحظ في هذا الحوار أو الخطاب المباشر مجموعة من المعينات المتعلقة بأطراف التواصل (شيماء وليلى)، ووجود ضمائر الشخوص (ضمير التكلم)، ومعينات المكان (لندن)، ومعينات الزمان (غداً).

فالمعينات هي الوحدات اللسانية لها وظيفة دلالية ومرجعية، وهذه الوحدات اللسانية هي مجموعة من العناصر التكوينية لوضعية التواصل.

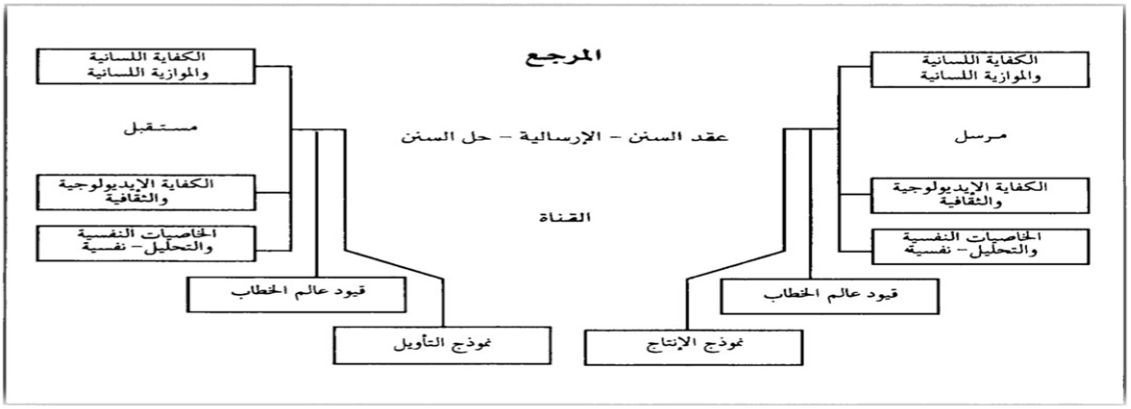

شكل رقم 39: خطاطة أوريشيوني التواصلية

[2]

[1]. جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، ص24.

[2]. محمد نظيف: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2009، ص31.

يمكن الجمع بين الفواعل التواصلية والوظائف الخطابية الأساسية التي ركز عليها ياكبسون في مسألة حضورها وترتيبها، ضمن خطاطة واحدة في الشكل التالي:

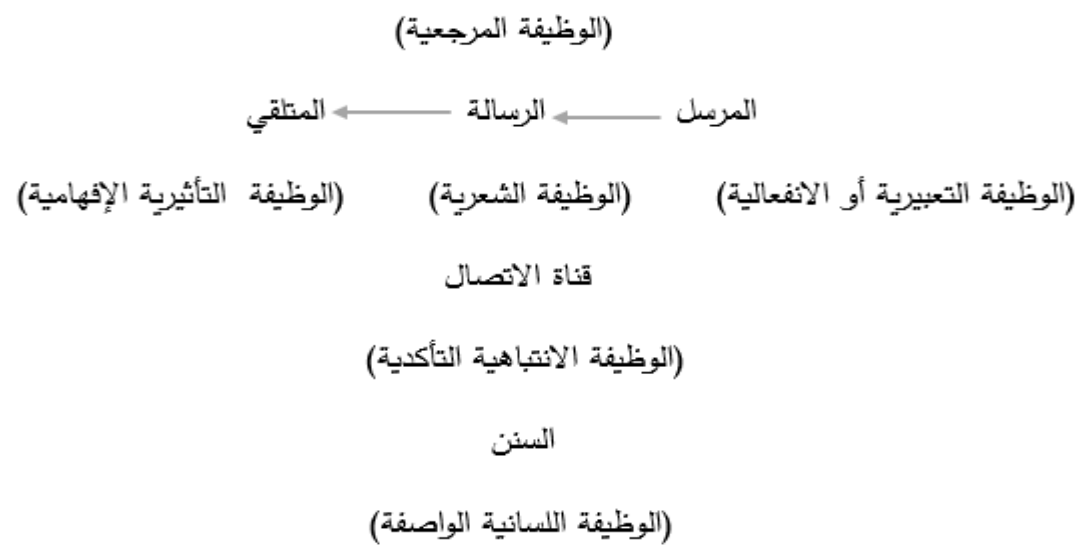

يؤدي السياق دوراً في انتقاء معنّى واحد من بين المعاني المرتبطة بكلمة مُشتركة. في السياق المناسب (الحديث عن الخدود، مثلاً) يتم انتقاء معنى (الشامة) دون المعاني الأخرى، هذا الموضع أطلق عليه البريطاني (كروز) ما يسمى بـ: انتقاء سياقي (للمعاني).[1]

2_1 ما هي عناصر السياق؟

(يقتضي السياق عناصر مختلفة؛ أولاً عنصر ذاتي هو معتقدات المتكلم، فكل متكلم له معتقدات ومقاصد، فهو حين يتكلم يقصد شيئاً، وكذلك اهتمامات المتكلم؛ فقد تكون له أهداف ينبغي أن تدخل في تحديد الظاهرة اللغوية ثم ينبغي أن نراعي في هذا العنصر رغبات المتكلم، فإذن هناك الاهتمامات والرغبات والمقاصد والمعتقدات كلها تدخل كعنصر ذاتي لتحديد السياق، ثم العنصر الثاني، وهو العنصر الموضوعي وهو الوقائع الخارجية التي يتم فيها القول، يعني الظروف الزمانية والمكانية، ثم العنصر الذواتي؛ يعني ما بين ذوات المتخاطبين ونعني به المعرفة المشتركة بين التخاطبين).[2]

[1]. ينظر: يان هوانغ: مُعجم أكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2020، ص176، 181.

[2]. يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص177.

نلاحظ أن العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق بوصفه وسيلة حركية للتعبير عن المعنى المقصود في إطار تداولي، والعلاقة التخاطبية التي سماها دومينيك مانغونو (ميتاتبليغ)، والتي تجمع بين المتكلم والمخاطَب، والمعرفة المشتركة التي تعتبر الأرضية الأساسية في الخطاب، فتغدو العلاقة بين المتحاورين من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجية التواصل المناسبة واختيارها، ذلك بوصفها محدداً ساقيا، له دوره في إنجاح العملية التواصلية، بالإضافة إلى مكان التلفظ وزمانه، وما فيه من شخوص وأشياء وما يحيط بهما من عوامل حياتية: اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافية، وأثر ذلك التبادل الخطابي في أطراف الخطاب الأخرى.

(ويدل ذلك أن المخاطَب حاضر في ذهن المتكلم عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورا عينيا، أم استحضاراً ذهنيا. وهذا الاستحضار للمخاطب، هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المتكلم ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه).[1]

يمكن أن تنقسم هذه المعرفة إلى:

ـ معرفه عامة بالعالم، ومنها معرفة كيف يتصل الناس ببعضهم البعض، وكيف يفكرون، وكيف يستطيعون أن ينجزوا أفعالهم اللغوية داخل المجتمع مع إقامة الاعتبار لأطره العامة الدينية الثقافية، الاقتصادية والاجتماعية.

ـ المعرفة بنظام اللغة، في جميع مستوياتها، بما في ذلك دلالاتها، وعلاقتها بثقافتهما.

(فإن السياق يبدو وكأنه نتاج بناء المتفاعلين: كثيراً ما تكون طبيعة نوع الخطاب ودور المشاركين وطبيعة الإطار الزمكاني موضوع صراعات ومفاوضات، في نهاية التخاطب، يمكن للسياق أن يختلف كثيراً عن السياق الذي كان عليه في البداية والمنطلق، على الأقل لأن المعلومات والسلوكات المعتمدة في التفاعل قد ساهمت في تحويره).[2]

(ويتألف السياق التداولي من جميع العوامل النفسية والاجتماعية والتي تحدد نسقيا ملائمة الأفعال الكلامية، ومن هذه العوامل: المعرفة التي يملكها مستعملو اللغة، ورغباتهم وإرادتهم وأشياؤهم

[1]. يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص178.

[2]. دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص29.

المفضلة، وأراءهم وكذلك علاقاتهم الاجتماعية).[1] حيث يقوم (السياق بتحديد معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاثة متميزة في تحليل النص، أولاً يبدأ بالجملة التي تم نطقها_ إن تم فعلا النطق بجملة. ثانياً أنه يخبرنا عادة أية قضية تم التعبير عنها_ إن تم التعبير عن قضية، ثالثاً أنه يساعدنا على القول إن القضية تحت الدرس قد تم التعبير عنها بموجب نوع معين من القوة اللا كلامية دون غيره. ويكون السياق في الحالات الثلاث هذه ذا علاقة مباشرة بتحديد ما يقال حسب المعاني المتعددة التي يحملها الفعل "يقول")[2] ومن هنا يتضح أن السياق التداولي يحدد لنا الجملة التي تم نطقها، ثم التعبير، وتلك الصلة الوثيقة التي تشكل من الأولويات التي يقوم بها السياق وطرحها، خاصة بهذا الجزء من معنى الوحدات الكلامية، أي على ناحيتين من نواحي معنى الوحدة الكلامية: الناحية الكلامية والناحية اللاكلامية.

أقسام ومستويات السياق لدى فان ديك:

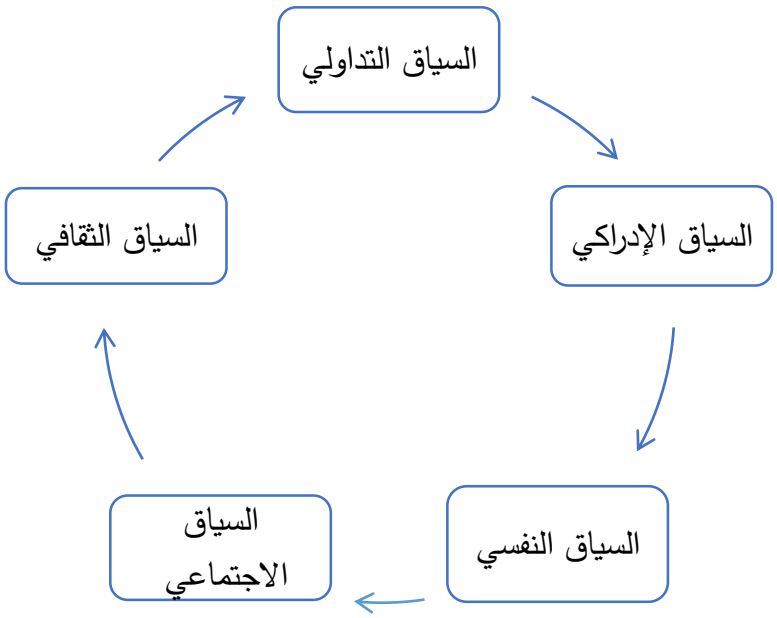

شكل رقم 40: خطاطة توضح التقسيم الذي جاء به اللساني فان ديك لتطوير " نظرية الانسجام في البنية النصية" مقابل السياق.

[1]. علي آيت أوشان: السّياق والنّص الشّعري، ص82، 83.

[2]. جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط1، 1987، ص222.

ينتقل فان ديك للسياق ويقسمه إلى المستويات التالية:

أ_ السياق التداولي: (النص كفعل كلامي):

(يقوم السياق التداولي على تأويل النص كفعل كلامي، أو كسلسلة أفعال كلامية، مثل: الوعود والتهديدات والتأكيدات والأسئلة والأوامر... هي أمثلة على الأفعال الكلامية، ونقوم بفعل كلامي معين حين ننطق بجملة أو عدة جمل في سياق ملائم لها، ومهمة التداولية هي أن تحدد الشروط التي يجب أن تتمتع بها الملفوظات).[1]

ودراسة أي نص لا تكون بهدف معرفه شكله الخارجي ومحتواه الداخلي فقط؛ بل يكون الهدف الأساسي من الدراسة هو معرفة الوظائف التي ينجزها النص.

ب_ السياق الإدراكي: فهم النصوص:

ينطلق فان ديك من الافتراض التالي:

بما أن النص يملك قارئ، فهو يحتاج لفهم، يعالج فيه القارئ السياق النفسي وبالأخص (الاستعداد الإدراكي) وفي هذه الحالة فإن فهم النص يقوم على متتاليات من الجمل التي تفرزها مجموعة من المعطيات والمعايير التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في إطار توضيح (سياق الفهم)، (سياق النص) وهذه المعايير والشروط التالية[2]:

_ لنتمكن من إقامة هذه الروابط يفترض على المستعمل أن يستعين بمعرفته للعالم انطلاقاً من مكتسباته المعرفية المخزنة في الذاكرة، وهذا يعتبر شرطاً وقاعدة أساسية من القواعد التي تتحكم في سيرورة البرمجة العصبية اللغوية كما أشرنا سابقاً وأطلقت عليها اسم: التغذية الراجعة، وهذه التغذية الراجعة كحال الافتراضات السابقة عند التداوليين مع تحديد الهدف، هذا من أجل الوصول للفهم الفعال لعناصر النص وخلجاتهِ، ولكي يكون الحكم على النص بأنه منسجم ينبغي أن نحتفظ ببعض المعلومات في الذاكرة العملية، وكلما كانت قيمة هذه المعلومات أكبر أصبح استرجاعها والعودة إليها بشكل أسهل وأيسر. كما أن لكل نص مجموعة من العوامل التي تساعد على فهمه وإدراكه؛ بحيث

[1]. علي آيت أوشان: السّياق والنّص الشّعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص82.

[2]. ينظر: المرجع نفسه: ص83.

تمكن القارئ من معالجة النص في مواقف خاصة، وبالتالي تساعده على تفسيره وتحليله تحليلاً إدراكياً.[1]

بين التواصل النصي وخاصيته التفاعلية رابطة قوية وعملية صعبة التحقق والتماسك، باعتبار النص وسيطاً تفاعلياً يحتاج الغوص في أعماقه وذلك بالاتكاء على معارفنا السابقة والخلفيات المعرفية المخزنة في الذاكرة والقدرة على استذكارها واسترجاعها.

ج_ السياق النفسي الاجتماعي: تأثير النصوص:

والمقصود به ذلك المفعول الذي تحدثه النصوص على مستعملي اللغة سواء فردياً أو جماعياً، فلم يعد الاهتمام عما يفعله القارئ أو المستمع بالنص؟ بل الأمر أصبح يتعلق بـ: ما هي العوامل الاجتماعية التي تلعب دوراً في فهم النص؟ أو ما هي مظاهر فهم النص التي تحتوي على إيحاءات اجتماعية؟

أصبح التركيز منكباً على تلك العوامل المساعدة في فهم بنية النص ومعالجته والتي تحمل في طياتها صبغة اجتماعية، تساعد على فهم المنطوق والمكتوب أيضاً دون افتقارها الطابع الاجتماعية طبعاً.

_ هناك مبدأ الأول "فعال" في تكوين المعرفة وتغييرها بواسطة النص، وهو مبدأ

(الوظيفة) فالشخص ينمي خاصة نوع المعرفة الضرورية لتنظيم المواقف المهمة والأفعال لتفسيرها، والمواقف التي يستطيع استخدامها في نشاطه الإدراكي والاجتماعي.

_ المبدأ الثاني: ذلك الترابط الإدراكي، الذي له علاقة بالمعرفة وتنظيمها بشكل متسلسل.

_ المبدأ الثالث: أن تكون المعرفة والمواقف متفقة مع الآراء التفسيرية التي يشكلها الفرد عن ذاته وعن علاقاته مع مجموعة معينة من الأفراد.[2]

---

[1]. فطومة لحمادي: السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر_بسكرة، الجزائر، ع الثاني والثالث، جوان، 2008، ص10، 11.

[2]. المرجع نفسه: ص11.

د_ السياق الاجتماعي: النص في التفاعل والمؤسسة:

بما أن النص كفعل كلامي لا يحدده فقط المقام الاجتماعي أو التأويل الذي يعطيه له المستعمل/ المشارك، إنما المقام الاجتماعي نفسه تحدده كيفية استعمال اللغة.[1]

بالتالي يكون الاهتمام بالعلاقات القائمة والمركبة بين السياق الاجتماعي واستعمال اللغة، والمقامات هنا تختلف من نوع إلى آخر فيها تتحدد قيمة النص، إذ أن كل من النص والمقام الاجتماعي يحدد بعضه بعضا، ويؤثر كل منهما في الآخر.

هـ_ السياق الثقافي: النص كظاهرة ثقافية:

بما أن النص أحد عناصر التفاعل الاجتماعي، فإنهُ يمثل ظاهرة ثقافية أيضاً، إذ من خلاله وبواسطته نستخرج بعض الخلاصات التي تهم البنية الاجتماعية للمجموعات الثقافية، كما يمكن أن نستخلص منها المحادثات المستعملة في مقامات خاصة...إلخ.[2]

(لهذا فإن النصوص تتطلب وتحتاج مقاربة متعددة الأبعاد تفرض الربط بين مختلف المستويات، لأن المقصود ليس فقط فهم النص وتحليله لذاته، وإنما قبل كل شيء فهم وتحليل مختلف وظائف النص).[3]

كان تقسيم فان ديك من أهم التقسيمات التفكيكية لبنية السياق وتحديد غايته الاجتماعية والخلفية الثقافية، فكان هذا التقسيم يتمتع بالشمول ويتسم بالدقة التشريحية.

ومن الجدير بالتنويه أنّ السياق وهو المحيط الذي توجد فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أم جملة والذي تحدد من خلال المعنى المقصود.

يذهب بعض الباحثين إلى اقتراح تقسيم آخر للسياق يشمل كل ما يتصل باستعمال الكلمة أو الجملة وعلاقتها اللغوية والظروف الاجتماعية الثقافية والنفسية، وعلى هذا يقسّمه الدارسون إلى قسمين:

---

[1]. علي آيت أوشان: السّياق والنّص الشّعري، ص 86، 87.

[2]. فطومة لحمادي: السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، ص12.

[3]. ينظر: علي آيت أوشان: السّياق والنّص الشّعري، ص89.

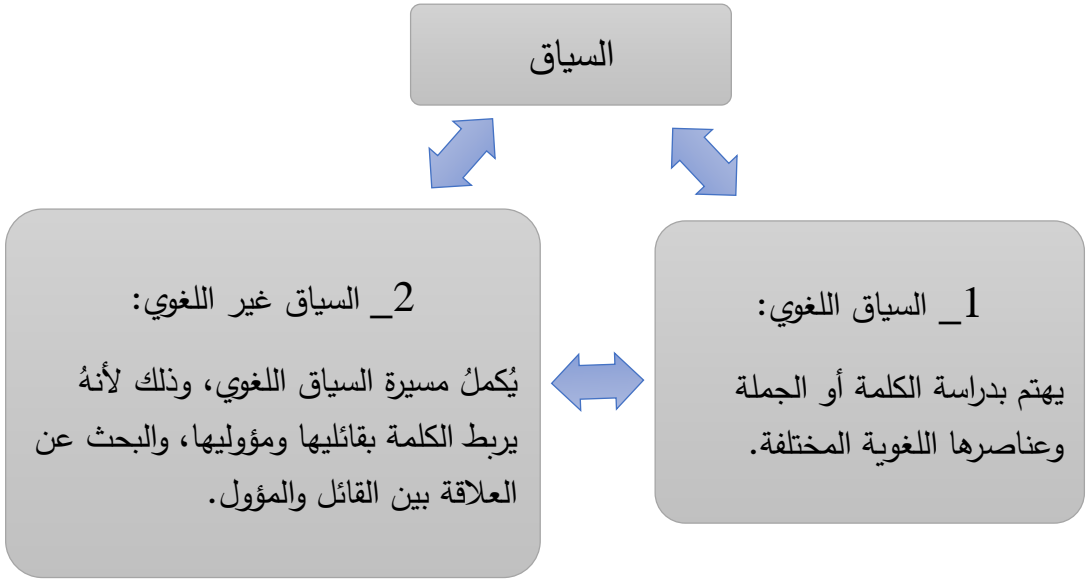

شكل رقم 41: خطاطة توضح أقسام السياق وأنواعه عند جمهور الدارسين التداوليين

1_ السياق اللغوي (الداخلي): البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي بما اشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة، يتعلق بالكلمة ما يسبقها وما يليها من كلمات أخرى، تفيد في الكشف عن معنى الكلمة أو الجملة.

2_ السياق غير اللغوي (الخارجي): ويسميه الدارسون (سياق الحال) ويقصد به الظروف الخارجية عن اللغة المتعلقة بالمقام الذي وردت الكلمة فيه، ويشمل جميع الظروف المحيطة بالحدث اللغوي (سياق الموقف، العنصر، نوع القول، المتكلم أو المخاطِب، المستمع أو القارئ، العلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الثقافة، الجنس والعمر والألفة والطبقة الاجتماعية وظروف الجو وإيماءات أو إشارات عضوية).[1]

وهذه العلاقة وبالتحديد بين الذوات الفاعلة في النص سيكون لنا فيها وقفات في الفصول اللاحقة، على أساس أنها تعتبر المحور والأساس الذي سنعتمد عليه في بحثنا هذا.

تتنوع التقسيمات من منظر لأخر، على سبيل المثال نجد رائد نظرية السياق الإنجليزي فيرث، الذي بنى فكرته على أساس المعنى الذي لا يتحدد إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية ضمن سياقات

[1]. علي متعب جاسم: السياق والقصدية مقاربة تداولية في شعر أبي نواس، المفهوم والتطبيق، مجلة ديالي، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة كرميان، سكول اللغات والعلوم الإنسانية، ع الثامن والستون، دش، 2015، ص338.

مختلفة وقد حدد إلى: السياق اللغوي الذي: يتعلق بالإطار الداخلي للغة (بنية النص) كما تطرقنا إليها سابقاً، وينقسم هذا الأخير بدوره إلى: سياق صوتي، سياق صرفي، سياق نحوي، سياق معجمي، سياق أسلوبي ، وثاني التقسيم السياق العاطفي: ويهتم بدرجات الدلالة وتعددية الدلالة، والتقسيم السياق الثقافي: الذي يحدد درجة المحيط الذي تعيش بداخله الوحدات المستعملة، وغالباً ما يكون المحيط اجتماعياً.[1]

التداوليات أعطت أهمية كبيرة وجانباً وزخما للسياق بمعاملته سياق مستعمل اللغة وليس سياقاً بحد ذاته؛ لأنه يُعنى بمعالجة اللغات الطبيعية، تتحكم في هذا شروط تواصلية، ويعتبر المخاطِب والمخاطَب أحد أطرافه الأساسية في تحليل الخطاب، إذ يجب أن يكون انتظام عمل هذه السياقات من أجل خدمة النص وبناء الذوات الفاعلة.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن السياق في ثقافتنا العربية هو نفسه السياق في الثقافة الغربية، فهو في كلا الثقافتين لا غنى عنه في فهم أي نص. نلاحظ أن أغلب الدارسين والباحثين اتبع وسار على نهج فكرة فردينان دو سوسير، التي تقول: " والكلمة إذا وقعت في سياق ما، لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق، ولما هو لاحق بها أو كليهما" فالكلمة الواحدة لها سياقها، والتركيب له سياقه، وكل هذه السياقات تتشابك لتنضوي تحت السياق العام للنص.

والسياق هو: السمة المميزة في التداولية عموماً.

ويمكن أن نشير ذلك التعريف الذي منحه اللغوي سيرل لهذا المبحث التداولي ألا وهو: "السياق": نقصد به الموقف الفعلي حيث توظف الملفوظات، والمتضمن لكل ما نحتاجه لفهم وتقييم ما يقال.[2]

[1]. سميرة فرطاس: السياق الشعري عند المتنبي من منظور النقد الثقافي، شهادة ماجستير في النقد الأدبي، زينب بو صبيعة، قسم اللغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2013، ص19، 20.

[2]. عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التراث اللغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، ص259.

المبحث الرابع: هل المعاني في الدماغ؟

يتفق تفسير سيرل مع فريج وتفسيره (تحليله الباطني) الذي ترفضه معظم النظريات الحديثة الخاصة بالإشارة والمعنى؛ إذ يرى أن هناك كائن ميتافيزيقي غامض: "أن يكون التواصل في نطق تعبير معين ممكناً بين المتحدث والمستمع بسبب إدراكهما لمعنى مجرد مشترك يرتبط بالتعبير".

فبسبب وجود حالة عقلية واعية معينة في رأس المتحدث والمستمع_ أي الحالة الذهنية التي تجمع بينهما ولديهما كائن مشترك أو على الأقل مضمون قصدي مشترك_ يستطيعان أن يفهما الدلالة الإشارية اللغوية.

تكون عناصر "السياق" حاضرة في هذه الحالة، بصورة باطنية؛ أي أنها تكون جزءاً من المضمون القصدي، ويجب أن نلاحظ أن هذا الاعتقاد الكلامي (الكلمات) يكون كافياً لتحديد أي شيء. فيمكن لمثل هذا الاعتقاد أن يحدث داخل الرأس أو في مخ في وعاء.[1]

يعتمد القارئ على التأويل[2] للوصول إلى المعنى الحقيقي السليم. نفترض أن في الحالة ليس تعبيراً عن واقعٍ فردي وشخصي محض، عندئذ يتعذر فهمه من جانب شخص آخر.

صحيح أن هناك معيقات تقف ضد الإنتاج والفهم معاً؛ ولكن نحن هنا نركز على الخطاب الناجح والناجع في خضم العملية التواصلية.

---

[1]. ينظر: جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص250.

[2]. شلايرماخر: من مؤسسِ التأويلية الكبار نجد الذي يعتبر مُعاصراً لكبار مفكري المثالية الألمانية استوحى واستعار فكرته من التقليد البلاغي مركزاً على أهمية اللغة والتفسير النفسي للمعنى. ففي بداية تأويليته الكُلية التي تتخذ بعداً شمولياً نقرأ أن "كلّ فعل فَهْم إنما هو قلب لفعل الخطاب حيث يجب أن نُحمل إلى الوعي الفكرة التي نجدها في أساس الخطاب" أي "كلّ خطاب يستند إلى فكرة سابقة"، ففي الفهم محاولة إعادة العبارة إلى إرادة المعنى التي تُحييها؛ إذ يرى أن التأويلية بوصفها فن الفهم لم تكن موجودة بشكلها العام؛ بل كانت عدّة تأويليات خاصة فقط". فالتأويلية عامة لا تتحدد بقطاع محدد، مثل التأويليات الخاصة، وهنا يميز شلايرماخر بين فكرتين مميزتين في التفسير:

1_ مُمارسة مُتوانية تتوافق مُمارسة حدسْية لا تخضع لأية قواعد ولا لأي فن أي "تنطلق من الفكرة التي تقول إن الفهم يُنتج نفسه".

2_ مُمارسة صارمة، تنطلق بالعكس "من عند سوء الفهم حدثاً يحصل من تلقاء ذاته، وأنه لا بد من البحث عن الفهم في كل نقطة وإرادتها"_ ينظر: جان عروندان: التأويلية، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص19 وما بعدها.

عندما يأخذ التعبير شكل الكتابة فإنه يستعمل اللغة، وهي وسيطٌ مشتركٌ بين الكاتب والمتلقي. وبالمثل فإن الخبر هي شيءٌ مشترك بين القائل والمستمع، فالفهم يأتي في حقيقة الأمر بفضل تماثل الخبرة.[1]

فالذي يُقيم النص هو القارئ المستوعب له، وهذا يعني أن القارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى وفي العملية الإبداعية ثلاثة أركان: المتحدث والنص والمستمع، وهو (القارئ) شريك مشروع لأن النص لم يكتب إلا من أجله.

هناك علاقة بين المبدع والقارئ تلازمية، وكثيراً ما نجد المتحدث يُخاطب هذا المستمع الذي يدرك أنه يفهم المعنى العام من النص، وهذا ما نجده في الشعر العربي المعاصرين ويقرأ أشعاراً أخرى ويكون فهمه على حسب إدراكه، وقد يكون التأثير متفاوت بين قارئ وآخر.

إن المبدع يعتمد على تجربته في الحياة وعلى المؤثرات التي ساهمت في تكوينه، وهو ينطلق منها ليخلق لنا نصاً تجتمع فيه مجموعة من الخبرات، يحاول فيها فهو ذاته من خلال محاورته للآخر، ومن خلال فهم نواميس الحياة "إن التجربة الذاتية هي أساس المعرفة، وهي الشرط الذي لا يمكن تجاوزه لأي معرفة وطالما أن هناك مشتركاً بين الأحاد البشرية، فإن التجربة تصبح هي الأساس الصالح لإدراك الموضوعي القائم خارج الذات".

هذا ما ركزت عليه التداولية عامة والقصدية بصفة خاصة على دراسة التواصل بين المتحدث والمستمع، ودراسة الرموز[2] التي يستخدمها المتكلم في عملية التواصل، والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وسياق الحال والموقف معاً.[3]

---

[1]. عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخا إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص141.

[2]. يذهب إيليا الحاوي إلى أن "الرمز ينقل الحقيقة المبهمة بإبهامها وليس من حقيقة عميقة، إلا وهي مبهمة"، أو هو بؤرة تنظيم الوحدات الدلالية وخلق علاقات بينها تحيل إلى خارج النص بما تشير به من تأويلات، والتأويل هو ذلك المعنى المرجح المستند إلى النص ويكون خارجة. بالتالي فإن الرموز وتنوعها تمتلك فعالية عالية في خلق الإيحاء القادر على النهوض بالمعاني المبتغاة. لمعرفة المزيد يمكن الرجوع لكتاب: حسن كريم عاتي: الرمز في الخطاب الأدبي، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع، شارع المتنبي، بغداد، ط1، 2015، ص48 وما بعدها.

[3]. نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، ص9.

ومن ثم فهي تعنى بدراسة:

أ_ كيفية تفسير الأقوال المستعملة، أو اعتمادها على المعرفة بالعالم الواقعي المحيط بالنص.

ب_ كيفية فهم المتحدثين للأحداث الكلامية.

ج_ كيفية تأثر تركيب الجمل بالعلاقة بين المتحدث والسامع.[1]

المبحث الخامس: الاستلزام الحواري محرك تواصلي فعال

عندما ننجز جملة ما، يمكن حسب المقام الذي أنجز فيه، أن نقوم بفعلين لغويين: الأول: فعل لغوي مباشر (دلالة لغوية مباشرة).

الثاني: فعل لغوي غير مباشر (دلالة لغوية غير مباشرة).

وقد سمى "كرايس" هذه الظاهرة "الاستلزام الحواري".

(إن هذه القواعد تستهدف من وجهة نظراً "كرايس" مبتغى واحداً يتمثل في ضبط مسار الحوار؛ بحيث يؤكد على أن احترام هذه القواعد، بالإضافة إلى المبدأ العام، هو السبيل الكفيل بجعلنا نبلغ مقاصدنا حيث يفضي كل خروج عنها أو عن إحداها إلى اختلال العملية الحوارية، وفي هذه الحالة على المحاور أن ينقل كلام مخاطبه من معناه الظاهر إلى المعنى الخفي الذي يقتضيه المقام. وهو ما قمنا بمعالجته سابقاً "الاستلزام الحواري").[2]

يتلاءم الملفوظ مع السياق، وقد يخلق المعنى لدى المخاطَب قبل أن ينتهي المتكلم من التلفظ بالعبارة.

المتكلم في سعي إلى إبلاغ المخاطب أمراً بجعله يتعرف على قصده. وعليه فالآليات التأويلية التي يستخدمها المخاطب لإدراك مدلول الخطاب الموجه إليه، تقوم على فرضية تنبني على مقاصده؛ إذ من دونها لن يتمكن من إعطاء تأويل ملائم لما يوجه إليه. وبما أن "كرايس" يعتبر القصد مركباً فقد عمد إلى تفريعه إلى مقاصد متداخلة حددها في:

---

[1]. نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، ص10.

[2]. العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ص100.

_ القصد الأول: قصد المتكلم إبلاغ المخاطب محتوى دلالياً معينا.

_ القصد الثاني: قصده أن يتعرف المخاطب على القصد الأول.

_ القصد الثالث: قصده أن يبلغ المخاطب أن القصد الأول يتحقق بتعرف المخاطب على القصد الثاني.

وعليه فالمقاصد تتداخل وتتعدد وتتراتب على شكل مقاصد ثلاثة تتحدد في "القصد" و "قصد القصد" و "قصد قصد القصد" لهذا يذهب "كرايس" إلى أن القواعد العادية للحوار تشكل مبادئ تتم الاستجابة لها بوحي من العقل، وعن اقتناع بضرورة التشبث بها أثناء كل مساهمة حوارية، إذ هي الضابطة للحوار في المقامات العادية.

وقد برهن "كرايس" على التلاحم الحاصل بين مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه وبين الاستلزام الحواري، على اعتبار أن الاستلزام الحواري ينجم عن خرق قاعدة من القواعد الأربع مع عدم التخلي عن مبدأ التعاون. وعليه فإن المتكلم عند تلفظه بجملة ما، قاصداً معنى جملة أخرى، يجب أن يلتزم بالشروط الآتية لتحقيق فحوى الاستلزام.[1]

1_ يجب ألا يترك مجال للاعتقاد بأنه لم يتم احترام مبدأ التعاون.

2_ يجب افتراض أن الشخص المعنى بالأمر يدرك أن المعنى غير الحرفي ضروري لكي لا يقع تناقض بين المعنى الحرفي وبين ما نص عليه في الشرط الأول.

3_ يظن المتكلم أن المخاطب قادر على الاستنتاج والإدراك الحدسي للفكرة التي تتعلق بضرورة الانطلاق من الافتراض الوارد في الشرط الثاني.

وبالجملة فإن الاستلزام الحواري ينجم عن العدول "الانزياح" عن إحدى القواعد المتحكمة في الحوار اللغوي مع التشبث بمبدأ التعاون.[2]

---

[1]. العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ص101، 102.

[2]. المرجع نفسه: ص103 وما بعدها.

➢ **نظرية غرايس في المعنى والتواصل**

تنقسم نظرية غرايس في المعنى والتواصل على قسمين أو نظريتين فرعيتين:

القسم الأول مخصص لتعريف المعنى ولا سيما ما يسميه غرايس (المعنى اللاّطبيعي)، أما القسم الثاني فيتناول (التلويح أو التعويض الحواري) من خلال قواعد المحاورة. وقد اشتهر غرايس بنظرية (التلويح أو التعريض الحواري) واقترن اسمه بها.

المعنى الطبيعي والمعنى اللاطبيعي:

يبدأ غرايس عام 1957 نظريته في المعنى بالتمييز بين نوعين من المعنى أو الدلالة. على سبيل المثال تمثيله للأول:

1-هذه البقع تعني (تدل على) الحصبة.

2_ هذه البقع لم تعنِ (لم تدل على) أي شيء لي، لكنها بالنسبة للطبيب تعني الحصبة.

3-الميزانية المالية الأخيرة (تدل على) أننا مقبلون على سنة صعبة.[1]

ويضيف (لقنسن) عام 1983 المثال الآتي:

4-هذه الغيوم تعني (تدل على) المطر.

من الواضح أن لفظة (المعنى) استعملت هنا للإشارة إلى الدلالة أو المعنى الذي ليس وراءه قصد؛ إذ لا يمكن للبقع أو الميزانية أن تقصد شيئًا وإنما المقصود هو أننا نستدل من هذه الأشياء الحصبة والمطر. تدل عليها ولا تعنيها. وقد أطلق غرايس على هذه الدلالة الخالية من القصد اسم المعنى الطبيعي.

وعلى النوع الثاني يعطي غرايس مثالين:

5-إطلاق صفارة الإنذار يعني: (هناك غارة جوية).

6-إن عبارة (لا غنى لفلان عن مشاكله ونزاعاته) تعني أن فلاناً لا يستغني عن زوجته.

[1]. هشام إ. عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحواري، ص16، 17.

يُبين غرايس اختلافات عديدة بين مجموعتي الجُمل الأولى (1، 2، 3، 4) والثانية (4، 5)، أهمها أننا نستطيع أن من الجملة (5) بأن شخصاً ما قد قصد من صفارة الإنذار الإخبار بوجود غارة. وكذلك الأمر بالنسبة للجملة (6)، نستطيع افتراض وجود شخص يقصد من الجملة ذلك المعنى. وقد أطلق غرايس على لفظ (المعنى) المستعملة في المجموعة الثانية اسم (المعنى اللاطبيعي).

- علاقة المعنى اللاطبيعي بالتلويح الحواري:

هناك من يقول بأن لا علاقة لنظرية غرايس في المعنى بنظريته في التلويح الحواري مثلا: وكر عام 1975، لكن لقنسن عام 1983 يشير إلى وجود علاقة مهمة جداً بين الاثنين، لأن التلويح الحواري هو من نوع الاستدلال التواصلي المقصود بالصورة الخاصة التي يتطلبها (المعنى اللاطبيعي).[1]

بهذا الصدد قال غرايس: "أن الناس قد يقولون ما يقصدون، وقد يقولون أكثر مما يقصدون وقد يقولون العكس" وبهذا فالاستلزام الحواري قام على فكرة أساسية وجوهرية ألا وهي: جمل اللغة تدل أغلبها وتتضمن معنيين هما:

_ معنى ظاهري غير مقصود والذي سماه غرايس بـ: المعنى الطبيعي (لا قصد فيه).

_ ومعنى ضمني باطني هو المقصود أو المراد بالقصد أطلق عليه غرايس اسم: المعنى اللاطبيعي (فيه قصد المراد).

على النحو التالي:

الأم: هل تريد قدحاً من الماء؟

الابن: سأنام مبكرا.

هنا نلاحظ أن إجابة الابن جاءت مخالفة لتوقعات الأم، من المفروض تكون الإجابة بـ: نعم أريد أو لا أريد. هنا وجب حضور الاستلزام الحواري؛ لأن جملة سأنام مبكراً تحتوي على معنى ظاهري

[1]. هشام إ. عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحواري، ص17، 18،26.

غير مقصود، ومعنى الوظيفة الإخبارية أي يخبرها بأنه سينام مبكراً، وفي معنى ضمني هو المقصود لن أشرب قدحاً من الماء. أنا كمتلقي أقول جملة سأنام مبكرا أصبحت تساوي نعم أشرب أو لا أشرب والقهوة فيها منبهات.

ولتفسير ظاهرة التلويح في الكلام، يقول غرايس: إن المتحاورين عادة يتبعون ما أسماه غرايس بـ: مبدأ التعاون ويهتدون به. وينص هذا المبدأ على الآتي:

(اجعل إسهامك الحواري، حين تدلى به، مناسباً للاتجاه والغاية المتوخاة من المحاورة التي تشارك فيها).[1]

يرتكز الاستلزام الحواري على مبدأ التعاون أو التشارك ويكون الاتفاق على العناصر الأربعة التي سنذكرها بين المرسل والمستقبل من أجل فهم الرسالة التبليغية جيداً، هذا المبدأ (مبدأ التعاون) يعتمد ويحتوي على قواعد سُلوكية أو قرارات في أربعة مجالات وقواعد رئيسية للتخاطب في باب القصد هي:

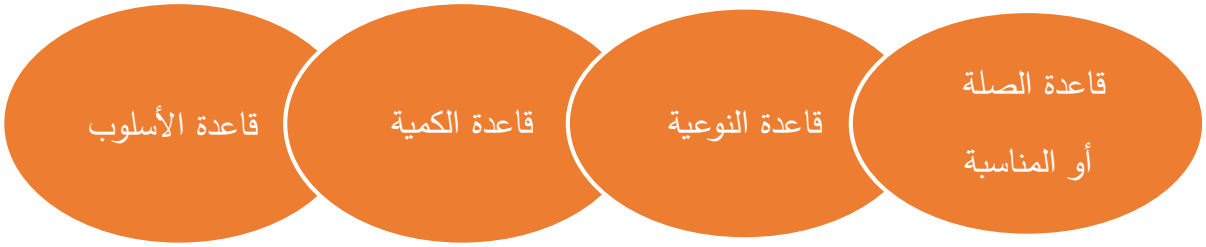

شكل رقم 42: خطاطة توضح العناصر الأربعة لـ: مبدأ التعاون

[1]. هشام إ. عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحواري، ص29.

تحديد عناصر ومبادئ الاستلزام الحواري في رواية لَوْ لـ: مراد بوكرزازة_أنموذجاً_

أولاً: قاعدة الصلة أو الكم أو المناسبة:

وهو المبدأ الذي يفرض على المرسل أن يوفق في كلامه بين كم المعلومات وكم مفردات المستعملة في نقلها إلى المتلقي، لجعل الكلام مناسباً له صلة بموضوع الحديث دون إيجاز أو إسهاب، ويسمى هذا في البلاغة العربية بـ: "المساواة"، وتندرج تحت هذا المبدأ قاعدتان فرعيتان هما:

_ اجعل تدخلك إخباريا بالقدر المطلوب.

_ لا تجعل تدخلك الإخباري يتجاوز المطلوب.

في قول الروائي:

(أسرع للمرآة الصغيرة بحقيبة يدي

تسقط ملامح امرأة منطوية وحزينة ومنكوبة).[1]

لقد توفرت شروط الكم في هذه الرسالة التبليغية؛ إذ جاء التدخل في النص الروائي بصيغة إخبارية مباشرة مقصودة من المتكلم وهي: بطلة الرواية. نحن كمستمعين نعلم أنه كلما زاد الإنسان سناً كلما كبرت ملامحه، فحكايتنا شبيهة بـ: سيرورة القمر. من هنا نلاحظ أن هناك مساواة بين الكم المعلوماتي وكم المفردات (دون إسهاب وإيجاز في المشاركة) مما أدى إلى التشارك والتعاون بين المتحدث والمستمع لإنجاح النص، وتحقيق التعاضد النصي.

ثانيا: قاعدة النوعية أو الكيف:

يفرض هذا المبدأ على المرسل لا يقول ما يعتقده كاذباً، أو ما لا يستطيع برهنة صدقه؛ إذ يجب أن يكون صادقاً في تدخله. وتندرج تحته قاعدتان فرعيتان هما:

_ لا تقل ما تعتقده خاطئاً.

[1]. مراد بوكرزازة: لَوْ...، رواية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2019، ص152.

_ لا تقل ما لا تستطيع إثباته بدليل.[1]

في قول الروائي:

(في لحظة رفعت بصري للسماء... كانت مزدهرة بالنجوم

_ لماذا يتهاطل الثلج بروحي وبكل هذه الكثافة؟).[2]

جاء سرد الكلام وسيطاً مقبولاً للمشاركة والممارسة؛ أي ما اعتقده الروائي موازياً لا كاذباً ولا صادقاً، لا يحتمل التبرير ولا البرهنة ولا الخيال مع همس البرودة المخزنة في الجانب الداخلي المخفي، من كبت للحريات وخنقها، التي يبلغها لها البشري عامة وتطرق أبوابه من جديد وما وصل لها بطل الرواية شوقي خاصة، ففي داخلك تدرك وتكتشف أن للهمس الداخلي أشكال أخرى وضدية في الآن نفسه، بعد معاناة كبيرة وغيبوبة متواصلة مع الأفكار السوداوية والمحيط الخارجي وعواطف الحياة نتيجة تلفاً يصيب الأنسجة مما يؤدي إلى الضياع والوصول لهذه المرحلة.

ثالثاً: قاعدة الكمية أو الملاءمة:

يفرض هذا المبدأ على المرسل أن يكون كلامه وارداً، ملائماً لمعنى المستقبل.

في قول الروائي:

(صمتت قليلاً:

_ إذن عائلتك أو أقاربك من سكيكدة...

_ لا عائلة ولا أقارب لي...

قلت رسالتي، التزمت الصمت

فهمت رسالتي، التزمت الصمت).[3]

---

[1]. حسن بدوح: المحاورة، مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد شارع الجامعة، الأردن، ط1، 2012، ص161، 162.

[2]. مراد بوكرزازة: لَوْ...، رواية، ص173.

[3]. المرجع نفسه: ص233.

في هذه الرسالة القصدية جاء كلام الروائي وارداً ملائماً لمعنى المستمع وغير مخالفاً له. في الحين الصمت في كل مكان، ونحن نعلم ذلك التحول الذي يصيب ردود أفعال المرء أمام ذات الأمر من ثورة، إلى هزة رأس وإيماءات، حينها يصبح الصمتُ لغة المعنى والوجود.

رابعاً: قاعدة الأسلوب أو مبدأ الطريقة:

ينص هذا المبدأ على أن يكون تدخل المرسل واضحاً؛ وتندرج تحت هذا المبدأ قواعد أربع هي:

1_ دع الغموض، بحيث يكون الوضوح في الكلام.

2_ عدم وجود لبس في الكلام.

3_ تجنب الحشو والابتعاد عن الإيجاز.

4_ ترتيب الأفكار بشكل منتظم.

يقول الروائي في نص روايته:

(زارتني زهية أمس... أيقظت كل جراحي دفعة واحدة ثم غادرت).[1]

جاء الأسلوب في العبارة واضحاً خالياً من أي لبس وغموض، مبتعداً عن الإيجاز بطريقة منظمة متناسقة الأجزاء والمطالب.

نلاحظ أن النماذج أغلبها تحتوي على النزعة التشاؤمية بنبرة حزينة، مع المسحة الضبابية التي تسود الأجناس الأدبية الحديثة خاصة في الآونة الأخيرة، من أجل تحقيق شرطية الأثر، من خلال استمالة القارئ وجذبه وربط النص بواقعه (المتحدث باعتباره منتجاً والمستمع في كونه مدركاً ومؤولاً لنصوص). ففي هذه الحالة، يكون المخاطِب مدركاً أن المخاطَب سيؤول خطابه تأويلاً صحيحاً، وسيفهم قصده، دون عناء.

العناصر الأربعة هذه قد تجتمع في سياقاً واحداً مثل حوار ما بين الأم وابنتها:

الأم: أين مفاتيح باب الغرفة؟

---

[1]. مراد بوكرزازة: لَوْ...، رواية، ص129.

الابنة: على الطاولة.

نلاحظ أن مبدأ التعاون تحقق، من توفير القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة أو نقصان، يبقى حقق مبدأ الكم، الابنة أجابت إجابة منطقية صادقة فحققت مبدأ الكيف، الابنة أجابت إجابة ملاءمة للسؤال يبقى حقق مبدأ الملاءمة، كما الابنة أجابت إجابة واضحة يبقى حقق مبدأ الطريقة.

إن الهدف الجوهري من وراء هذه المبادئ والقواعد هو تحقيق الفعالية القصوى لتبادل معلومات بين المتحاورين؛ أي تحقيق تواصل مثالي وشفاف.[1]

ويؤدي خرق العناصر، مع احترام مبدأ التعاون إلى توليد ما يسمى عند غرايس بالاستلزام الحواري، حيث إن الشخص الذي يصرح بالقضية (ق) أو يتظاهر أنه يصرح بذلك، يكون قد استلزم حواريا (س)، وذلك وفق الشروط التالية:

1_ يفترض فيه أنه عالم بمبادئ الحوار، محترم لها، أو لمبدأ التعاون على الأقل.

2_ يفترض فيه أيضاً أن يكون مدركاً، أو معتقداً أن (س) ضروري لكي يكون قوله (ق) لا يتناقض مع الافتراض الأول (رقم 1).

3_ أن يعتقد المرسل (وينتظر من المتلقي أن يعتقد ما اعتقده) أن المتلقي قادر على أن يستنبط ضرورة الافتراض الثاني (رقم 2) أو أن يدرك حدساً ضرورة هذا الافتراض.

إذن فالاستلزام هو " قضية معبر عنها ضمنياً بواسطة ملفوظ دون أن يستلزمها منطقياً، ولكي يستطيع المتلقي استنباط المعنى المستلزم حوارياً عليه أن يأخذ في اعتباره المعطيات الآتية:

1_ المعنى الاصطلاحي للمفردات المستعملة، وكذا هوية الإحالات الممكنة.

2_ مبدأ التعاون، والقواعد المصاحبة له.

3_ السياق اللساني وغير اللساني للملفوظ.

4_ العناصر المشكلة للخلفية المعرفية.

[1]. حسن بدوح: المحاورة، مقاربة تداولية، ص 162.

5_ وجود (أو افتراض وجود) كل العناصر السابقة (1_4) في متناول المتحاورين، يعرفانها ويفترضان ورودها.[1]

لقد استعار غرايس هذه القواعد من الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت الذي تحدث عن المقولات الكيف والكم والجهة والإضافة.[2]

من خلال هذا نطرح سؤال التالي: متى يجب حضور الاستلزام الحواري؟

يجب حضور الاستلزام[3] عند مخالفة والانزياح خرق عنصر من عناصر مبدأ التعاون لـ: الكم_ الكيف_ الملاءمة_ الطريقة بمعنى واضح أن تكون الردود الصادرة من المستقبل مخالفة أي: تأتي عكساً مخالفاً للمعنى الذي استقبله، وأيضاً تأتي عكس افتراضات وتوقعات المرسل.

ومثال ذلك على خرق عنصر الكيف:

التلميذ: الخرطوم عاصمة تونس أليس هذا صحيحاً؟ الأستاذ: طبعا وطوكيو عاصمة أمريكا. (غير صادق في كلامه).

المعنى أن الأستاذ يسخر من التلميذ وينقص من قيمة فهمه. هذا خرق لعنصر من عناصر مبدأ التعاون هنا يستدعي حضور جميع القواعد لفهم الخطاب وتحقيق التواصل اللغوي المطلوب بين الطرفين هما: المرسل والمستقبل.

---

[1]. حسن بدوح: المحاورة، مقاربة تداولية، ص164.

[2]. هشام إ. عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحواري، ص30.

[3]. يرى بول غرايس أن الاستلزام نوعان:

أولا: الاستلزام العرفي: وهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة، ويسمى أيضاً بـ: الاقتضاء مثال ذلك: أيمن رجل كبير في السن لكنه شجاع وكريم. ثانيا: الاستلزام الحواري: وهذا الاستلزام يُفهم ويستنتج من السّياق، وتتعدد الاستلزامات الحواري بتعدّد السّياقات، ويُمكن للعبارة الواحدة أن تستلزم معاني عديدة حسب السّياقات التي ترد فيها، هنا يدرس كيف أن يقول المتكلم شيئاً ويعني به شيئاً آخر؟ أو كيف للمخاطَب أن يسمع شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟ مثال ذلك: إذا قال شخص ما لشخص آخر: نفذت سجائري، فإنّ المعنى الصّريح في هذه الجملة هو الإخبار بنفاذ السجائر. هذا ما تقوله العبارة، أمّا ما يقوله المتكلم فهو شيء آخر. فالعبارة تستلزم تداوليا، أنّ المتكلم يطلب من المتلقي أن يمده بسيجارة، وهذا المعنى يُفهم ويُستنتج من السّياق، هذه الآلية الأساسية لفهم الرسالة التبليغية. لمعرفة المزيد يمكن العودة لـ: عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، ص41.

النص الأدبي الذي لا يستدعي حضور الاستلزام الحواري يبقى نصاً ضعيفاً لغوياً؛ لأنه قائم على المباشرة والوضوح؛ لكن النص الأدبي الذي يعتمد في أجزاء كبيرة منه على الاستلزام الحواري، هذا يدفع المتلقي لإثارة الذهن للوصول للمعنى الضمني المستتر ليبقى نص جيداً.[1]

المبحث السادس: استراتيجية وظاهرة الالتباس ودلالتها التواصلية في شعر تميم البرغوثي_نماذج مختارة_

لا تخلو العملية التواصلية اللغوية الطبيعية من ظاهرة الالتباس، إذ يحاول المتكلم قصار جهده من أجل تضييق في التعدد الدلالي، بالتالي يقوم بتفاديها ويتجنب الوقوع في مطباتها وعراقيلها، ويتنحى عن استعمالها، لما تحدثه من شوشرة وتشويش، وهذا التشويش يقع على المخاطَب أو المستمع حينما يقوم بفك التشفير الذي يحدث على مستوى اللغة، في المقابل نجد من يستعمل الالتباس في خطابه، وبشكل مقصود.

تُعد العبارة الملتبسة: هي كل عبارة تحتمل قراءتين أو أكثر، أي تحمل في جعبتها احتمالات ومعاني عدة أو معنيين على الأقل، وتتجاوز معناها ودلالتها الأصلية.[2]

يمكن تقسيم الالتباس أو ظاهرة الغموض إلى ثلاثة أنماط أساسية بحسب طبيعته وحيزه ومقصوديته، فمن حيث طبيعته يكون التباس دلالي وآخر تداولي وثالث بنيوي، ومن حيث حيزه، يشتمل على التباس ظاهر وآخر خفي وآخر محتمل، ومن حيث مقصوديته، نميز بين التباس مقصود وآخر عرضي.

والالتباس القصدي هو المهم في هذه الدراسة، الذي يلجأ إليه المتكلم في خطابه كلما أراد أن يحمل إلى المتلقي أكثر من معنى قاصداً من وراء ذلك تحقيق تواصل بليغ؛ لأنه موجه إلى الخاصة من جهابذة الفكر.[3]

---

[1]. ينظر: إبراهيم حجاج عبر شبكة التواصل الاجتماعي اليوتيوب، الفيس بوك.

_ المبدأ التعاوني: افتراض أساسي في المحادثة مفاده أن كل مشارك سيحاول المساهمة بشكل مناسب، في الوقت المطلوب، إلى تبادل الحديث الآني. _جورج يول: التداولية، ص187.

[2]. ينظر: يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص42.

[3]. المرجع نفسه: ص43.

ما هو مدى تأثير ظاهرة الالتباس في شعر تميم البرغوثي؟

ومن ذلك نورد الأمثلة التالية:

يقول الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي في قصيدته "الجليل":

1_ وفي وَسَطِ الشامِ لفظُ الجلالةِ يا سيَّدي قابلٌ للزراعةْ

ويزرعهُ الناسُ فِعلاً، وتثمرُ أشجارُه كلَّ عام[1]

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان "لا شيء جذريا":

2_ لا شيء جذرياً

أشجارُ الخريف التي عَرِيَتْ من أوراقها[2]

وفي بيت شعري آخر من قصيدة أُخرى بعنوان "أمير المؤمنين" يقول فيها:

3_ وامتدَّت يدٌ

مُتَعَدِيَةً أربعةَ عَشرَ قرناً[3]

قبل التطرق للقراءة العبارات كلٌ على حِدَة، وقبل الدخول في معالم المعاني ودلالتها علينا طرح أسئلة حول هذه الأبيات الشعرية، من خلالها نقوم باستخراج القراءات المتعددة للعبارة الملتبسة مثل:

1_ ماذا زرع الناسُ؟

---

[1]. تميم البرغوثي: في القدس، شعر، مكتبة الرمحي أحمد، دار الشروق للنشر والتوزيع، مصر، د ط، 2005، ص14.

[2]. المرجع نفسه: ص49.

[3]. المرجع نفسه: ص81.

_ لفظة الحشيش نقصد بها كل شيئاً قابلاً ومستعداً وجاهزاً للزراعة والنمو والاستهلاك البشري.

_ لفظة "الشام" و "الزراعة" أدت أكثر من قصد واحد في سياق الجملة، مثلها مثل لفظة "أشجار الخريف" و "اعتريت" في المقطع الثاني، وفي المقطع الثالث لفظة أو فعل "امتدت يدٌ".

2_ كم هي مدة العيش التي سيقضيها الناس في فصل الخريف؟

3_ لماذا امتدت اليد وتجاوزت أربعة عشر قرنا؟

فهذه العبارات الشعرية تحتمل قراءتين على الأقل (أي معنيين)، كما سنوضح ذلك من خلال هذه الأمثلة المقترحة:

1_ يزرع أهل الشام الحشيش والكروم.

1_ يزرع الناسُ الكروم، لجني ثمار ما زرعوا.

2_ أشجارُ الخريف تعاني في صمت، بعدما أُصيبت بالجفاف والضياع واعتراها الفقدان.

2_ أشجار الخريف تذوق الموت ومن بعدها تعود للحياة والولادة والانبعاث من جديد للتواكب الفضاء السرمدي.

2_ حالة ضمور لأوراق أشجار الخريف، مما سيؤدي إلى حتمية فقدان الأكسجين لدى الإنسان.

3_ وامتدت يدٌ في غسق الليل.

3_ وامتدت يدٌ في الظهيرة.

من هنا تتضح دلالة هذه الأبيات الشعرية، تختلف من سياق إلى آخر حسب ما يتوخاه المتكلم من خطابه وفق نواياه الخاصة.

فالقصدية في هذه النصوص الشعرية تقتضي الحضور؛ إذ تتجلى وتكمن في تفجير اللغة، وجعلِها لغةٌ في مستوى الإحساس النفسي والانفعال الداخلي بغية التحرر الفكري، كما تكمن الشعرية أيضاً في فيوضات المعاني المتشعبة الرؤى رغم قلة التعبير اللغوي (فالنص قصير؛ ولكن إشعاعهُ التخيلي جعلهُ يُغطي هذا القُصر في اللغة).

وهذا كله كان من رحم الأدب؛ إذ قال طه حسين بهذا الصدد في نموذج نقدي مقتطف من كتاب "خصام ونقد" من مقال "الأدب والحياة":

("أما بعد فقد خُلق الأدب للحياة، وعاش للحياة دائماً، ولاءم البيئات التي كان ينشأ فيها على اختلاف العصور والظروف، ولن يكون الأدب الجديد عندنا بدعاً من آداب الدنيا كلها).[1]

من خلال هذا يتضح أن لكل بيئة أدبها الخالص الخاص بها، والأدب فن جميل موجه للعامة وأحياناً للخاصة (يستهدف فئة معينة) في سياق وقالب ومقام طوباوي مثالي في فضاء يوتيوبياً.

وإنه لحديث طويل في هذه المسألة التي ينبغي أن يدور حولها الحديث.

[1]. طه حسين: خصام ونقد، مؤسسة هنداوي، دب، د ط، 2017، ص34.

أهم النتائج المتحصل عليها في الفصل الثالث

- ✓ لكل خطاب مقصديته الخاصة به؛ بالتالي يصبح الخطاب ثمرة اجتماع بين الملفوظ والشكل اللغوي الذي يتعدى من خلال وظيفته التعاملية والتفاعلية، لتعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف محددة (جلية وخفية).
- ✓ نجاح الرسالة يتوقف على إيصال المعنى الضمني لها. وهذا هو المقصود من الكلام.
- ✓ يحقق السياق أدوار كثيرة في التفاعل الخطابي، مثل تحديد قصد المتكلم وفهم المتلقي.
- ✓ تُعد المعينات التواصلية من أبرز الوحدات اللسانية التي تتمتع بوظيفة دلالية مرجعية.
- ✓ يركز عنصر السياق على العلاقة التخاطبية (ميتاتبليغ) التي تجمع بين المتكلم والمخاطَب، والمعرفة المشتركة الأساسية الكامنة في الأدمغة البشرية وفي أي خطاب أدبي.
- ✓ النص يقوم على القارئ المستوعب لمعانيه ودلالاته، وهذا يعني أن القارئ شريك للمؤلف فلا وجود لتأويل خارج الفهم، ولا تكون ولادة النصوص من فراغ؛ بل تحتاج إنتاجاً واعياً.
- ✓ ركزت التداولية على دراسة التواصل الذي يدور بين الذوات، ودراسة الرموز المنتجة المحددة وتأويلها وفق فهم محدد.
- ✓ تتشابك المقاصد وتتداخل، كونها تعتمد على القواعد الطبيعية للحوار.
- ✓ غرايس من دعاة المدخل الاستدلالي في نظرية التواصل، وهو البديل للمدخل السميوطيقي الذي وصل إلى طريق مسدود.
- ✓ هناك تلاحم حاصل بين مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه، وبين الاستلزام الحواري.
- ✓ يحاول المتكلم قصار جهده من أجل تضييق في التعدد الدلالي، محاولاً تفادي ظاهرة الالتباس وتجنب الوقوع في مطباتها وعراقيلها، لما تحدثه من تشويش يقع على المخاطَب حينما يقوم بفك التشفير الذي يحدث على مستوى اللغة، في المقابل نجد من يستعمل الالتباس في خطابه، وبشكل مقصود.

الخاتمة

لقد سعى هذا البحث من خلال مدارات القصدية ومباحثها في تحليل الخطاب من منظور الفكر التداولي الوقوف على الإشكاليات الجوهرية التي تمس صميم الموضوع، والإجابة عن أهم ما النقاط المحورية في ظل المنهج التداولي، ولعل ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات يكشف جوانب كثيرة، نختصرها على النحو التالي:

1. إن التواصل غير ممكن إلا من خلال الاستعمال الإنساني لنص وهذا ما حاولت أن تبرزه النظرية التداولية وتمارسه على اللغة العادية الطبيعية.
2. يعتبر المتكلم مداراً من مدارات القصدية المحورية في إنتاج الخطاب القصدي، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابة.
3. من المستحيل أن يقوم المتكلم بإنتاج خطاب دون أن يمنح اعتباراً للسياق، فلا خطاب خارج سياق؛ حيث يقوم بإنجاز أفعال كلامية متعددة في آن واحد حين ينطق بالجملة، وقد تتنوع هذه الأفعال بحسب المستمعين وأدوارهم وعلاقاتهم بالمتكلم.
4. الإشارة تصاحب الكلام في استعمال اللغة؛ إذ لا يوجد شخص يتكلم دون اللجوء إلى الإشارة، التي يتوقف استعمالها على مزاج الشخص وثقافته وتقاليده الاجتماعية. وأن وظيفة الإشارة في الكلام تتمثل في كونها ترسم حدود الجمل التي ينطق بها المتكلم، كما أنها تساعد أفكارنا على الانطلاق؛ إذ يكون وعياً وتوافق بين التوظيف لهذه الإشارات الجسمية وما هو كلامي.
5. المتلقي هو الطرف الثاني في العملية التواصلية والذي يعتبر مداراً أساسياً من مدارات القصدية، يسعى إلى تلقي المعلومات والمعاني؛ حيث يعمل على تفكيك الرسائل، ومن ثمة، فإن دوره لا يقل عن دور المرسل؛ بل يعتبر عنصر فعال في الخطاب.
6. تكمن حقيقة الكلام في تأسيسه على قصدين اثنين هما: قصد التوجه إلى الغير، وقصد إفهام هذا الغير.
7. تتضح حقيقة التواصل في كونه يتيح الدخول في علاقة مع الغير لتحقيق "العلاقة التخاطبية".

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع من طريق الشاطبية.

المراجع العربية

1. هشام إ. عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحواري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
2. أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، مؤسسة كونراد أديناور، الرباط، المغرب، ط1، 1993.
3. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة نشر وتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.
4. أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2003.
5. أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2015.
6. أحمد عمار مداس: قراءات في النص ومناهج التأويل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، ط1، 2018.
7. أحمد مداس: التأويل في المنظومات المعرفية المشتركة، قراءة في مفاهيم، وإجراءات المنجز اللساني والنقدي المعاصر، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، ط1، 2021.
8. أحمد مداس: لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2009.
9. أحمد مداس: معالم في مناهج تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، ط1، 2019.
10. أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015.
11. تميم البرغوثي: في القدس، شعر، مكتبة الرمحي أحمد، دار الشروق للنشر والتوزيع، مصر، دط، 2005.
12. أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011.

13. إيهاب الببلاوي: اضطرابات التواصل، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض ط1، 2010.
14. بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب (لندن)، بغداد، ط1، 2012.
15. بهاء الدين محمد مزيد: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010.
16. جبريل اجريد السعودي وأيمن سليمان مزاهرة: فسيولوجيا الإنسان، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.
17. جمال الدين خنفري: تراتيل الجراح على الأجساد المهترئة، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2016.
18. جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، دب، ط1، 2015.
19. جميل حمداوي: التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، مكتبة المثقف، دب، ط1، 2015.
20. جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، وسط البلد، الأردن، ط1، 2016.
21. جيل لندنفيلد: إدارة الغضب، مكتبة جرير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط4، 2008.
22. حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014.
23. حسام الدين فياض: النظرية النقدية للمجتمع، مدرسة فرانكفورت نموذجاً، نحو علم اجتماع تنويري، النقد الاجتماعي، دب، ط1، 2010.
24. حسن بدوح: المحاورة، مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد شارع الجامعة، الأردن، ط1، 2012.
25. حسن كريم عاتي: الرمز في الخطاب الأدبي، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع، شارع المتنبي، بغداد، ط1، 2015.
26. حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

27. خالد حوير الشمس: اشتغالات في اللسانيات التداولية، مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع_ نشر_ توزيع)، بغداد، العراق، ط1، 2022.

28. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.

29. عبد الرحمن العِيسَوي: الوعي السّيكولوجي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، دط، 2008.

30. رشيد الحاج صالح: المنطق واللغة والمعنى في فلسفة فيتغنشتاين، دار كيوان للطباعة للنشر والتوزيع، دمشق الحلبوني، سوريا، ط1، 2005.

31. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1997.

32. زهير بختي دحمور: نظرية النظم، قراءة في مشروع عبد القاهر الجرجاني، منشورات زخة الشهب للنشر الإلكتروني، د ب، ط1، 2019.

33. الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

34. سامية الدريدي: الحِجاج في الشّعر العربي، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط2، 2011.

35. سعيد بنكراد: السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س. بورس، مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

36. إدريس مقبول: الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2011.

37. عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، شارع يعقوب المنصور، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006.

38. صابر حباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط1، 2008.

39. صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم، في الفلسفة المعاصرة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2018.

40. صلاح عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

41. طه حسين: خصام ونقد، مؤسسة هنداوي، دب، دط، 2017.

42. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.

43. طه عبد الرحمن: في أُصُول الحوار وتجديد عِلْم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

44. عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيُوطيقا، رؤية للنشر والتوزيع، القاهر، مصر، ط1، 2007.

45. عِزّ الدين البُوشيخي: التَّواصل اللغوي، مقاربة لسانية وظيفية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

46. علي آيت أوشان: السّياق والنّص الشّعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

47. عَلي عبود المُحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2015.

48. عمر أوكان: اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2001.

49. عطية سليمان أحمد: اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية. عصبية. عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، دط، 2019.

50. العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2011.

51. فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010.

52. محمد العيد آل خليفة: ديوان شعري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلية، الجزائر، دط، 2010.

53. عبد الله محمد الغذامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998.

54. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، كلمة للنشر والتوزيع، 12 نهج بيروت، أريانة، تونس، ط1، 2015.

55. محمد بن الجزري: كفاية الألمعي في آية يا أرض إبلعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

56. محمد محضار: خصائص القصة القصيرة جداً عند القاص: عبد الحميد الغرباوي/ مجموعة "قال لي ومضى" نموذجا، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب، ط1، 2021.

57. محمد مشبال: مقولات بلاغية في تحليل الشعر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1993.

58. محمد محمود السيد أبو حسين: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي بالقاهرة، دط، 2010.

59. محمد نظيف: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2009.

60. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، مصر، دط، 2002.

61. محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية {التداولية} "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة، مصر، ط1، 2013.

62. محي الدين محسب: الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهاتٌ تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2017.

63. محمد سناجلة: رواية صقيع، رواية واقعية رقيمة، تقديم سعيد يقطين، مساعدة عمر الشاويش، منشورات اتحاد كتاب الأنترنت العرب، أكتوبر ،2006.

64. مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

65. نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، ط1، 2013.

66. عبد الناصر حسن محمد: نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، دار الشرق للطباعة، القاهرة، مصر، دط، 2002.

67. نصر أبو زيد: فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين ابن عربي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

68. نعيمة سعدية: الأسلوبية والنص الشعري، المرجعية الفكرية والآليات الإجرائية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، دب، ط1، 2016.

69. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

70. هشام صويلح: القصدية مبحث فلسفي تداولي: من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام "جون سيرل نموذجا"، مجلة تاريخ العلوم، جامعة سكيكدة، الجزائر، ع الثامن ج2، جوان، 2017.

71. وليد محمد السراقبيّ: الألسنيّة، مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها، دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، بيروت، لبنان، ط1، 2019.

72. وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر بدمشق، سورية، ط1، 1983.

73. ياسين حسين علوان الويسي: الأنطولوجيا، في المصطلح والمفهوم والاستعمال الفلسفي، دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، بيروت، لبنان، ط1، 2019.

74. مراد بوكرزازة: لَوْ...، رواية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2019.

75. يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، شارع الجامعة، ط1، 2014.

76. يوسف سليم سلامة: الفينومينولوجيا، المنطق عند إدمون هسرل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2007.

77. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من "اللاّنسونية" إلى "الألسنية"، كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2002.

78. ياسمينة خضرا: ليس لهافانا ربّ يحميها، رواية، نقله من الفرنسية حسين قبيسي، عن نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان.

المراجع المترجمة

79. آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

80. إيرين تامبا: علم الدلالة، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2018.

81. بول_ لوران آسون: مدرسة فرانكفورتْ، تر: سُعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2005.

82. بيير جيرو: علم الدلالة، تر: منذر عيّاشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1988.

83. توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون: تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، تر: لاهاي عبد الحسين، دار أوما، بغداد، العراق، ط1، 2013.

84. تيرنس دبليو وديكون: الإنسان.. اللغة.. الرمز، التطور المشترك للغة والمخ، تر: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014.

85. جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين تحت إشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، د ط، 2010.

86. جان سيرفوني: الملفوظية، تر: قاسم المقداد، دراسة، اتحاد الكتاب العرب دمشق، دب، د ط، 1998.

87. جان عروندان: التأويلية، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة.

88. جورج لايكوف ومارك جونسون: الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، تر: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016.

89. جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

90. جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط1، 1987.

91. الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، (لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها)، تر: محمد يحياين، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.

92. دان سبيربر ديدري ولسون: نظريّة الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2016.

93. دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

94. روبير مارتان: مدخل لفهم اللسانيات، إيبِستيمولوجيا أوليّة لمجال علمي، تر: عبد القادر المهيري، بيت النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

95. رولان بارت: هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، دار كنعان، دمشق، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1999.

96. فان ديك: النص والسياق، استقصاء البحث، في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د ط، 2000.

97. فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

98. أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2006.

99. جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 2009.

100. جون ر. سيرل: رؤية الأشياء كما هي، تر: إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، دولة الكويت، د ط، 2018.

101. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2006.

102. فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش.

103. فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت، نشأتها ومغزاها، وجهة نظر ماركسية، تر: خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، شارع الجبلاية بالأوبرا، الجزيرة، القاهرة، مصر، ط2، 2004.

104. فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط1، 2013.

105. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007.

106. مارك تورنر: مدخل في نظرية المزج، تر: الأزهر الزناد، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون الإنسانيات، تونس، د ط، 2011.

107. هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، الأصول. المبادئ. الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط2، 2006.

108. هاينس هالم: الغنوصية في الإسلام، تر: سالمة صالح، بيروت، لبنان، ط2، 2010.

109. هُسّرل: الفلسفة علما دقيقا، تر: محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

110. يان هوانغ: مُعجم أكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2020.

111. يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، تر: أبو النور حمدي أبو النور حسن، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 2012.

112. أدموند هوسرل: تأمُّلات ديكارتية، تر: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1958.

113. إدموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا: تر: فتحي إنقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

114. أرسطو: الخطابة، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2008.

115. أرفالد ديكرو: السلميات الحجاجية، تر: أبو بكر العزاوي،الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2020.

116. أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2004.

117. إلفي بولان: المقاربة التداولية للأدب: تر: محمد تنفو وليلى أحمياني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2018.

118. آلن هاو: النظرية النقدية، مدرسة فرانكفورات، تر: ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

المعاجم والقواميس

119. محمد بن علي السكاكي: مفتاح العُلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

المجلات والدوريات

120. جمعان عبد الله الكريم الغامدي: نظرات في التواصل والحجاج، مجلة سياقات، جامعة الباحة، السعودية، ع الخامس، ابريل، 2017.

121. زينب عادل محمود الشمري: قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، ع32، نيسان، 2017.

122. سناء هادي عباس وساهرة عدنان وهيب: أساليب الإقناع في سورة لقمان، دراسة تداولية، مجلة العلامة، تصدر عن مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع4، جوان، 2017.

123. عبد الله الصالح العثيمين، الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الهجرة، مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ع2، ربيع الآخر 1422هـ، السنة السابعة والعشرون.

124. علي متعب جاسم: السياق والقصدية مقاربة تداولية في شعر أبي نواس، المفهوم والتطبيق، مجلة ديالي، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة كرميان، سكول اللغات والعلوم الإنسانية، ع الثامن والستون، دش، 2015.

125. المتمرس محمد علي الصغير وجنان تكليف علي: التعبير بالمزج التصوري عن التقابلات الوجدانية في القرآن الكريم، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ع60 آذار، 2012.

126. محمد مكاكي: الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية، جسور المعرفة، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر، ع 5، ديسمبر، 2021.

127. فطومة لحمادي: السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر_بسكرة، الجزائر، ع الثاني والثالث، جوان، 2008.

128. نورة سيد أبو المجد محمد: القصدية والإشاريات: دراسة تداولية، مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، مصر، ع 56، يوليو، سبتمبر، 2020.

129. محمد دعاوي: نظرية التلقي...، القارئ شريكاً، الثقافة_مدحت عكاش، سوريا، ع7، تموز 2008.

130. محمد سرير: الكتابة الأدبية بين هيمنة الذات وسلطة القارئ، مجلة البحوث والدراسات العلمية، جامعة يحيى فارس المدية، الجزائر، ع1، جانفي، 2023.

131. يونس تواتي: عملية التواصل اللغوي بين المتكلم والمتلقي في النظريات البلاغية العربية، مجلة النص، الجزائر، ع2، ديسمبر، 2021.

الرسائل الجامعية

132. حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف_أنموذجا_، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، عز الدين صحراوي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012.

133. سميرة فرطاس: السياق الشعري عند المتنبي من منظور النقد الثقافي، شهادة ماجستير في النقد الأدبي، زينب بو صبيعة، قسم اللغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2013.

134. عزيز عز الدين: ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث اللّغوي العربي والدّرس اللساني الحديث، (دراسة تأصيلية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص اللسانيات واللغة العربية، بلقاسم دفة، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة1 (الحاج لخضر)، 2020.

135. مباركة رفرافي: التراكيب النحوية بين البلاغة العربية والتداولية، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه، نعيمة سعدية، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر_بسكرة_، الجزائر، 2018.

136. عماد بوخاري: تداولية الخطاب السياسي عند محمد البشير الإبراهيمي، مقالات فصل الدين عن الحكومة وسجع الكهان_أنموذجا_، أطروحة دكتوراه، علي منصوري، قسم اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاج لخضر_باتنة1_، 2018.

137. عفاف سايح: المقصدية في الخطاب الروائي عند إبراهيم سعدي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، نجوى منصوي، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة_01_، الجزائر، 2019.

الملاحق

بعض أعلام التداولية

. لودفيغ فيتغنشتاينLudwig Wittgenstein : فيلسوف إنجليزي (1889_ 1951م) تدور جُل أعماله وأهم كتبه عن المعنى، خصوصا عن العلاقة بين المعنى الذي يقصده المتكلم والمعنى اللغوي. لقد كان يسير على نهج بهذه الفقرة (إن المعنى هو شيء في مجال الذهن، إنه شيء لا يدرك بالحواس ولا يمكن مقارنته بالوعي) بقصدية **هوسرل**، الذي حلل الشعور بوساطة المنهج الفينومينولوجي ووجد أنه دائما مسير بقصد معين، وبالتالي فكلاهما ركز على طريقة الاستخدام، ومحتوى السياق الذي من خلاله يفهم القصد، إذ كانت فلسفة نقطة فيتغنشتاين تحول كبيرة في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر، ولا سيما الإنكليزي والأمريكي منه، وفق اتباع منهج جديد ألا وهو: منهج التحليل المنطقي للغة، فإذا كان اليوناني أرسطو طاليس أعظم فيلسوف عرفته البشرية. إن فيتغنشتاين أعظم فيلسوف عرفه القرن العشرين. تتلخص وظيفة الفلسفة عند فيتغنشتاين في توضيح منطق اللغة والفحص الدقيق لكيفية عملها، وإذا وضعنا أصابعنا على بؤرة الداء ومنبع القلق، فسرعان ما تتحلل المشكلات الفلسفية وتتوارى، ومن هنا كانت الفلسفة عند فيتغنشتاين نشاطا علاجيا.

. يورجين هابرماسJürgen Habermas: فيلسوف الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت الألماني يورجين هابرماس (1929م) يُعتبر من أبرز المفكرين الألمان المعاصرين وأخر أعلام المدرسة النقدية، ينتمي لنفس التيار الفكري لمدرسة فرانكفورت أو النقدية الجديدة التي تتميز بدفاعها عن الفرد ضد كل سلطة، وبدفاعها عن العقل ضد كل مظاهر اللاعقلانية التي سادت العالم الغربي في أواسط القرن العشرين. انصب اهتمام هابرماس على استكمال دور مدرسة فرانكفورت في نقد وتحليل أزمات وإشكاليات المجتمعات الغربية المعاصر، من أجل إعادة صياغة العقل الغربي وبناء نظرية تواصلية خالصة وبلورة القوانين التي تتحكم فيها، محاولة في هذا وذاك تكوين توجه أخلاقي جديد يفتح أمامهُ أفاقاً جديدة للتواصل تعمق الرابطة بين الفرد ومجتمعه، ذلك من خلال التأكيد على الممارسة العقلية، وعليه يصير التواصل تناغماً بين الإنسان وذاته بين الذات ووعيها ويصير مدخلاً لعالم المعاصرة الجديد. فقد اتبع هابرماس الخط الفلسفي النقدي نفسه الذي تأسس على يد فلاسفة مدرسة فرانكفورت، تأثر بعددا كثيرا من الفلاسفة والمذاهب والاتجاهات الفلسفية، إلى جانب الكانطية والهيجلية والماركسية وكارل ياسبرز والتيارات الفلسفية الألمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتأثر الكبير

والعميق بفلسفة هيدجر الذي كان يظهر في كتابه "جوانب فلسفية وسياسية" الصادر عام 1983 وهذا الكتاب يعكس التكوين النقدي المبكر لدى هابرماس.

. جون سيرل John Searle: فيلسوف أمريكي (1932م) معروف بإسهاماته في فلسفة العقل واللغة، بعد استفادته من دروس أستاذه أوستين اقترح بعض التعديلات وطور نظرية الأفعال اللغوية. كما ألح على انقسام الفعل اللغوي والطابع الخاص الذي ينطوي عليه بعض الأفعال المسماة بـ: "غير المباشرة"، وقام بتصنيف الأفعال الكلامية إلى خمس أصناف: التأكيدات، التوجيهات، الالتزاميات، التعبيرات، التصريحات.

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسملة	
دعاء	
مقدمة	أ–و
مدخل مفاهيمي: المناخ التداولي وسيرورة تأسيسه	**09–84**
01. التداولية منهجاً فلسفياً (التداولية مبدأ السيميوزيس)	09–15
02. سيرورة اللغة واستراتيجية بناءها ورحلة البحث عن دلالة المعاني	15–22
03. محطة ورؤى عربية، ملامح تداولية وأمارات الاستعمال اللغوي عند النحاة المحدثين	22–25
04. الروافد الفلسفية والمرجعيات الغربية والمشارب المعرفية النقدية والخلفيات الثقافية لتشكّل وبناء الفكر التداولي	25–44
05. مباحث ومستويات وموضوعات التداولية	44–69
06. في حدود التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى	69–82
07. مهام التداولية ومجالها التحليلي	82–83
08. أهمية الدراسة التداولية	83–84
الفصل الأول: تفعيل حد المتكلم ولوازمه	**88–145**
المبحث الأول: الثورة الإدراكية بوابة للدخول في عالم المقصدية البيولوجية	88–93
المبحث الثاني: الأنماط الخمسة من النقاط التمريرية	94–107

المبحث الثالث: بنية مقاصد المتحدث ومشكلة المعنى والتقارير الكلامية	128-108
المبحث الرابع: العلاقة بين العقل والجسد في رسم مسار القصدية	132-128
المبحث الخامس: الحجاج رافداً ومبحثاً من مباحث الفعل القصدي لبناء هوية المتكلم	143-132
أهم النتائج المتحصل عليها في الفصل الأول	145-144
الفصل الثاني: حد المستمع ومعيناته على الفهم والإدراك	**172-149**
المبحث الأول: نظرية المزج التصوري في بلورة وتجديد عملية الإدراك الذهني لصاحبها مارك تورنر	158-149
المبحث الثاني: عملية البحث عن التأويل التداولي والمعنى المقصود داخل دائرة الفهم أو التصور المسبق	163-159
المبحث الثالث: الصيغة المنطقية للقول القائمة على الممارسة الذهنية	165-163
المبحث الرابع: سلطة القارئ التداولي ومدارك فهمه في بناء المعنى وولادة النص الأدبي	166
المبحث الخامس: من الافتراض المسبق إلى الفهم المسبق	170-167
أهم النتائج المتحصل عليها في الفصل الثاني	172-171
الفصل الثالث: العلاقة بين المتحدث والمستمع	**214-173**
المبحث الأول: ميكانيزمات واستراتيجيات الكفاية أو فسيفساء القدرة التواصلية	185-173
المبحث الثاني: في مفهوم الخطاب القصدي وعلاقته بالدرس التداولي	187-185
المبحث الثالث: السياق النصي ودوره في تحديد العلاقة التخاطبية	197-187
المبحث الرابع: هل المعاني في الدماغ؟	200-198

المبحث الخامس: الاستلزام الحواري محرك تواصلي فعال	210-200
المبحث السادس: استراتيجية وظاهرة الالتباس ودلالتها التواصلية	213-210
أهم النتائج المتحصل عليها في الفصل الثالث	214
الخاتمة	216
قائمة المصادر والمراجع	230-219
الملاحق	234-233
فهرس الموضوعات	238-236
فهرس الأشكال	241-239
فهرس الجداول	241
الملخص	

فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
01	خطاطة توضح المناخ الفلسفي الذي انبثقت من رحمه التداولية	12
02	خطاطة تمثل مسار الدرس التداولي وعلاقته التواصلية مع العلوم الإنسانية الأخرى	14
03	تشكيل توليفي يوضح أهم الرؤى حول اللغة ووظيفتها نحو بناء نص	19
04	التواصل التام وعلاقته التفاعلية بين مقوماته الأربعة: المتكلم والمخاطَب ونص الخطاب والسياق	20
05	خطاطة توضح أهم النظريات الحديثة المعاصرة وميدان اشتغالها ومجالها اللغوي	22
06	تشكيلة تمثل رؤيا أحمد المتوكل للوظائف التداولية العربية الحديثة	23
07	خطاطة تمثل علاقتي المشابهة والمجاورة التي تتأطر وتندرج ضمنها مجموعة من الوجوه البلاغية	25
08	خطاطة توضح نظرية الفعل التواصلي الثلاثي المتشابك لبناء العالم الاجتماعي المعاش	39
09	خطاطة توضح المباحث الأربعة التي تقوم عليها الدراسات التداولية	45
10	المعاني الضمنية الخفية في الاستراتيجية التداولية	55
11	خطاطة توضح أصناف وأنواع الإشاريات التداولية الأربعة	56
12	الإدراك البصري وعناصره الثلاثة (المدرك، الخبرة البصرية، والموضوع المدرك)	66
13	خطاطة توضح العلاقة التتابعية، المتعاقبة، الامتدادية، التكاملية بين الألسنية والتداولية	71
14	خطاطة توضح الانطلاقة والجذور الأولى لكلاً من: اللسانيات والتداولية المستمدتان بالوشج المنطقي	71
15	نموذج خطاطي يوضح القدرة التواصلية	74
16	نموذج مستعملي اللغة الطبيعية	75

17	خطاطة تُبِين العلاقة الدورية بين التداولية والنشاط التأويلي، لصالح العملية التواصلية وللحفاظ على إرادة الفهم	77
18	الدلالة اللسانية والقدرة اللغوية	79
19	خطاطة توضح العلاقة التبعية التداخلية بين علم الدلالة والتداولية	81
20	خطاطة توضح نقطة تلاقي المعارف، وأثرها في سَبَكَ النص	82
21	كيفية الإتصال بالفكر والإدراك الإنسانيين	88
22	يمثل أجهزة التحكم الحركي لإخراج الصوت عند البشر، وتحكمها في عضلات الوجه والفك، وكذا التحكم في اللسان وساق المخ وعلاقته بالمناطق الحركية للتنفس، ولا ننسى أن تنظيم إخراج الصوت يستلزم ويتطلب النشاط المتآزر للمجموعات من الخلايا العصبية الحركية.	90
23	أصناف الفعل الكلامي عند سيرل	96
24	خطاطة تقريبية توضح القصدية الإدراكية بوصفها ظاهرة وطابعاً بيولوجياً تحدث في المخ، وكل حالة قصدية تحتوي على مضمون ونمط نفسي	110
25	تمثيل تشكيلي يوضح العلاقة التواصلية بين المقاصد والمتحدث، فلا يكون عملاً كلامياً أو فعلاً كلامياً ناجحاً خارج إطار المقاصد، لكل عملاً سواء أكان شفهياً أو مكتوباً له مقصدية معينة وإطار زماني ومكاني معين، وطبعاً هدفاً وغاية معينة.	117
26	خطاطة توضح أهم عناصر "مقاصد المعاني" والعلاقة التشابكية بينهما التي تساعد في بناء هوية المتحدث	118
27	تصور تشكيلي للقصد اللغوي وبعض موجهاته الداخلية لدى المتكلم	120
28	صورة البداية للرواية	126
29	الرؤيا الثلاثية لعناصر المعنى عند فريج	128
30	خطاطة نلاحظ من خلالها ذلك التساوي والتطابق الذي يجمع بين أمرين هما: المظهر والواقع، شرط أن يكون هذا التساوي داخل الإطار العقلي.	129
31	نظرية الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا	140
32	خطاطة تصورية توضح مفهومين في عملية واحدة ألا وهي: فهم المعنى المقصود وتلك القدرة الذهنية في ظل التطور البيولوجي للغة والذهن معاً.	151

33	رسماً بيانياً رباعي الأفضية الدال على المزج، الذي عرضه أصحاب نظرية المزج الذهني اعتماداً على شبكة المرآة، من خلال فضاءين دخلين مختلفين وفضاء مزيج وفضاء جامع.	153
34	المثيرات والمنبهات أثناء عملية الإدراك	158
35	صورة توضح عناصر وبنية التواصل	174
36	التواصل الاجتماعي في صورته القديمة والحديثة. كيف كان؟ وكيف أصبح؟	176
37	العملية التواصلية اللفظية والغير لفظية	184
38	خطاطة تمثل التبليغ الوظيفي عند جاكبسون والمسار الخطابي وخاصيته السياقية	188
39	خطاطة أوريشيوني التواصلية	189
40	خطاطةتوضح التقسيم الذي جاء به اللساني فان ديك لتطوير " نظرية الانسجام في البنية النصية في مقابل السياق	192
41	خطاطة توضح أقسام السياق وأنواعه عند جمهور الدارسين التداوليين	196
42	خطاطة توضح العناصر الأربعة لـ: مبدأ التعاون	204

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	تصنيف أفعال الكلام عند سورل وهابرماس	52
02	مقاصد المتحدث في "رواية صقيع"	121
03	الاستدلال البرهاني والحجاج عند بيرلمان	139
04	المقاصد الحجاجية في آية: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ}	142
05	العملية التواصلية الطبيعية ومستلزماتها	188

تم بحمد الله

ملخص

تقوم التداولية بدراسة استعمال اللغة لا من حيث بنيتها كما تفعل البنيوية؛ بل عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، خاصة عندما ترتبط اللغة بمقاصد المتخاطبين؛ أي ترتبط بما يقرره المتكلم في ذهنه، ثم يسعى إلى توجيه المستمع إلى الإدراك لما يحتوي خطابه من معلومات ومعاني ودلالات؛ فإنه من الصعوبة أحياناً على المتلقي أن يفهم قصد المتكلم وما أراد توصيله وإبلاغه، مما أدى إلى ظهور ما يسمى بـ: التعدد الوظيفي للغة الطبيعية بوصفها كأداة تفاعل اجتماعي، وهذه الأداة لا تتحقق في ذاتها؛ بل تتحقق عن طريق فعالية الاستعمال المحدد للتفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، هذا ما تقتضيه القصدية التي تعد مبحثاً من مباحث التداولية.

الكلمات المفتاحية

التداولية، المنهج التداولي، استعمال اللغة الطبيعية، البرمجة العصبية، القدرة التواصلية، بداية العقول نهاية المحسوسات، المدار القصدي، الفعل الكلامي، نظرية الحجاج، مقاصد المتكلم، خاصية التصريح والتلميح، الإدراك والفهم عند المتلقي، نظرية المزج التصوري، الفهم المسبق، التأويل التداولي، المعنى المقصود، العلاقة التخاطبية، السياق النصي، الاستلزام الحواري، ظاهرة الالتباس.

Abstract

Pragmatics studies language not in terms of its structure, as structuralism does; But in terms of its use, especially when the language is linked to the purposes of the interlocutors; That is, it is related to what the speaker decides in his mind, and then seeks to direct the listener to realize the information, meanings and connotations contained in his speech. It is sometimes difficult for the recipient to understand the intention of the speaker, which led to the emergence of what is called: the multifunctionality of natural language, as a tool for social interaction, and this tool is not realized in itself; Rather, it is achieved through the effectiveness of the specific use of social interaction between members of society, and this is what is required by intentionality, which is a topic of pragmatics.

Keywords

Pragmatics, neuroprogramming, communicative ability, verbal action, speaker intent, multifunctionality of natural language.